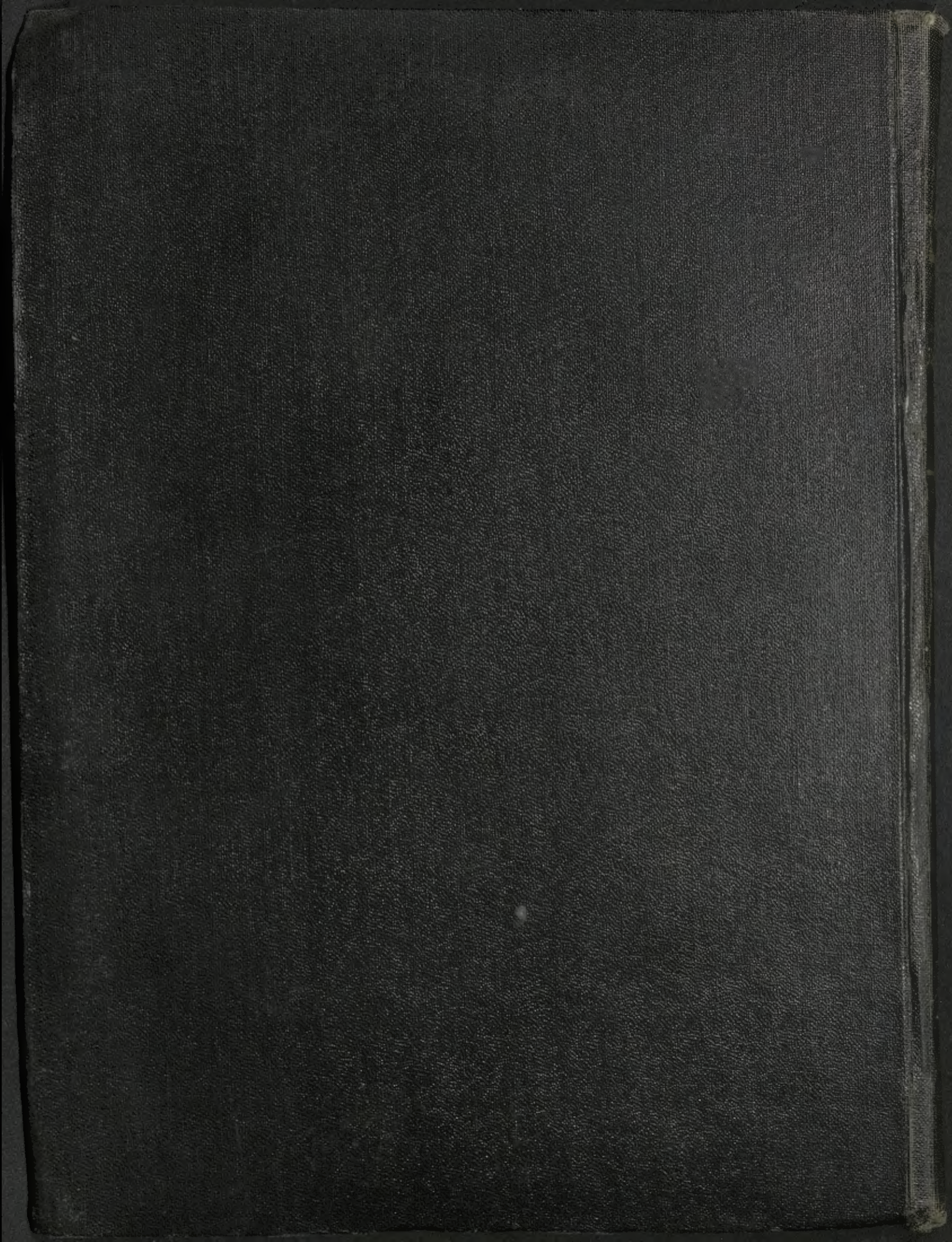
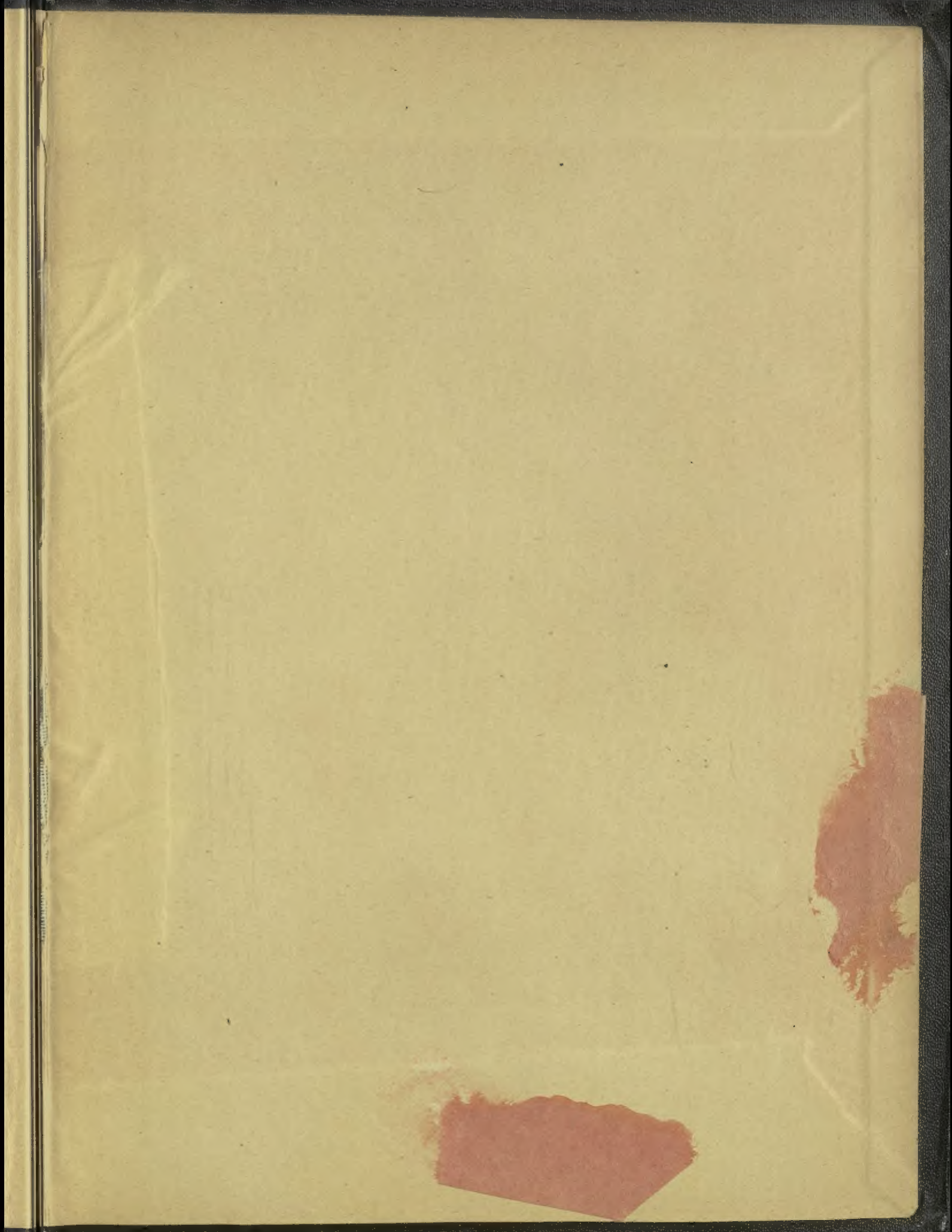






297.3:113i mA

ابن تيمية الحراني، تقي الدين أحمد
بن عبد الحليم.

الايمان.

DEC 20 X 380

297.3

113i mA

JAFET LIB.

1 FEB 1990

Est. 1900



AS-

297.3

I13imA

C.1

كِتَابُ

الايمان

نَالَيْفٌ

شيخ الاسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية
الحراني المتوفى سنة ٧٢٨ نور الله ضريحه

عن تقي الدين محمد بن عبد الله النعساني المجلس

﴿ الطبعة الأولى ﴾

(سنة ١٣٢٥ هـ)

(على نفقة أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه بمصر)



78838

(طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر لمصاحبها محمد اسماعيل)

cat. May. 52

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله نستعينه ونستغفره • ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من • يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له • ونشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له • ونشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً • • اعلم أن الايمان والاسلام يجتمع فيهما الدين كله وقد كثر كلام الناس في حقيقة الايمان والاسلام ونزاعهم واضطرابهم وقد صُنفت في ذلك مجلدات والنزاع في ذلك من حين خرجت الخوارج بين عامة الطوائف ونحن نذكر ما يستفاد من كلام النبي صلى الله عليه وسلم مع كلام الله تعالى في فصل المؤمن الى ذلك من نفس كلام الله ورسوله فان هذا هو المقصود فلا نذكر اختلاف الناس ابتداء بل نذكر من ذلك في ضمن بيان ما يستفاد من كلام الله ورسوله ما يبين أن رد موارد النزاع الى الله والى الرسول خير وأحسن تأويلاً وأحسن عاقبة في الدنيا والآخرة

فنقول قد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل عليه السلام بين مسمى الاسلام ومسمى الايمان ومسمى الاحسان فقال الاسلام أن تشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلاً • وقال الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره والفرق المذكور في حديث عمر الذي انفرد به مسلم وفي حديث أبي هريرة الذي اتفق البخاري ومسلم عليه وكلاهما فيه ان جبرائيل جاءه في صورة انسان اعرابي فسأله وفي حديث عمر أنه جاء في صورة اعرابي وكذلك فسر الاسلام في حديث ابن عمر المشهور قال بني الاسلام على خمس شهادة أن لا إله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان وحديث جبريل يبين أن الاسلام المبني على خمس هو الاسلام نفسه ليس المبني غير المبني عليه بل جعل النبي صلى الله عليه وسلم الدين ثلاث درجات أعلاها الاحسان وأوسطها الايمان ويليها الاسلام فكل محسن مؤمن وكل مؤمن مسلم وليس كل مؤمن محسن ولا كل مسلم مؤمن كما سيأتي بيانه ان شاء الله في سائر الاحاديث كالحديث الذي رواه حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن رجل من أهل الشام عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال له اسلم تسلم قال وما الاسلام قال أن تسلم قلبك لله وأن يسلم المسلمون من لسانك ويذكرك قال فأبى الاسلام أفضل قال الايمان قال وما الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت قال فأبى الايمان أفضل قال الهجرة قال وما الهجرة قال أن تهجر السوء قال فأبى الهجرة أفضل قال الجهاد قال وما الجهاد قال أن تجاهد أو تقاتل الكفار اذا لقيتهم ولا تغل ولا تحجب ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عملان هما أفضل الاعمال الامن

عمل بمثلهما قالها ثلاثا حجة مبرورة أو عمرة رواء أحمد ومحمد بن نصر المروزي .. ولهذا نذكر هذه
المراتب الاربعة فنقول المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس على دماهم
وأموالهم والمهاجر من هجر السيئات والمجاهد من جاهد نفسه لله وهذا مروى عن النبي صلى الله عليه
وسلم من حديث عبد الله بن عمرو وفضالة بن عبيد وغيرهما بإسناد جيد وهو في السنن وبعضه في
الصحيحين وقد ثبت عنه من غير وجه المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس
على دماهم وأموالهم .. ومعلوم ان من كان مأمونا على الدماء والاموال كان المسلمون يسلمون من لسانه
ويده ولولا سلامتهم منه لما ائتمنوه وكذلك في حديث عبيد بن عمير عن عمرو بن عبسة وفي حديث عبد
الله بن عبيد بن عمير أيضاً عن أبيه عن جده انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما الاسلام قال اطعام
الطعام وطيب الكلام قيل فما الايمان قال السباحة والصبر قيل فمن أفضل المسلمين اسلاما قال من سلم
المسلمون من لسانه ويده قيل فمن أفضل المؤمنين ايمانا قال أحسنهم خلقا قيل فما أفضل الهجرة قال من
هجر ما حرم الله عليه قال أي الصلاة أفضل قال طول القنوت قال أي الصدقة أفضل قال جهد مقل قال
أي الجهاد أفضل قال أن تجاهد بمالك ونفسك فيعقر جوادك ويراق دمك قال أي الساعات أفضل قال
جوف الليل الغابر .. ومعلوم ان هذا كله مراتب بعضها فوق بعض والا فلهماجر لا بد أن يكون مؤمنا
وكذلك المجاهد ولهذا قال الايمان السباحة والصبر وقال في الاسلام اطعام الطعام وطيب الكلام والاول
مستلزم للثاني فان من كان خلقه السباحة فعل هذا بخلاف الاول فان الانسان قد يفعل ذلك تخلقا ولا
يكون في خلقه سباحة وصبر وكذلك قال أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده وقال أفضل
المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا .. ومعلوم ان هذا يتضمن الاول فمن كان حسن الخلق فعل ذلك .. قيل
لاحسن البصري ما حسن الخلق قال بذل الندي وكف الاذى وطلاقة الوجه فكف الاذى جزء من
حسن الخلق وستأتي الاحاديث الصحيحة بأنه جعل الاعمال الظاهرة من الايمان كقوله الايمان بضع
وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله الا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق وقوله لو قد عبد القيس آمركم
بالايمان بالله وحده أتدرون ما الايمان بالله شهادة أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وإقام الصلاة وإيتاء
الزكاة وأن تؤدوا خمس ما غنمتم .. ومعلوم انه لم يرد أن هذه الاعمال تكون ايمانا بالله بدون ايمان القلب
لما قد أخبر في غير موضع انه لا بد من ايمان القلب فعلم ان هذه مع ايمان القلب هو الايمان وفي المسند عن
أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاسلام علانية والايمان في القلب وقال صلى الله عليه وسلم ان في
الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب فمن صاح
قلبه صاح جسده قطعاً بخلاف العكس وقال سفيان بن عيينة كان العلماء فيما مضى يكتب بعضهم الى بعض
بهؤلاء الكلمات من أصاح سريره أصلح الله علانيته ومن أصاح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين
الناس ومن عمل لا آخرته كفاه الله أمر دنياه رواء ابن أبي الدنيا في كتاب الاخلاص .. فعلم ان القلب
اذا صاح بالايمان صاح الجسد بالاسلام وهو من الايمان يدل على ذلك انه قال في حديث جبريل هذا

جبريل جاءكم دينكم فجعل الدين هو الاسلام والايمان والاحسان فتبين أن ديننا يجمع الثلاثة لكن
 هو درجات ثلاث مسلم ثم مؤمن ثم محسن كما قال تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا
 فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) والمقتصد والسابق كلاهما يدخلان الجنة
 بلا عقوبة بخلاف الظالم لنفسه وهكذا من أتى بالاسلام الظاهر مع تصديق القلب لكن لم يقم بما يجب عليه
 من الايمان الباطن فانه معرض لاوعيد كما سيأتي بيانه ان شاء الله . . وأما الاحسان فهو أعم من جهة
 نفسه وأخص من جهة أصحابه من الايمان والايمان اعم من جهة نفسه وأخص من جهة أصحابه من
 الاسلام فالاحسان يدخل فيه الايمان والايمان يدخل فيه الاسلام والمحسنون أخص من المؤمنين
 والمؤمنون أخص من المسلمين وهذا كما يقال في الرسالة والنبوة فالنبوة داخلية في الرسالة والرسالة
 أعم من جهة نفسها وأخص من جهة أهلها فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا فالانبياء أعم والنبوة
 نفسها جزء من الرسالة فالرسالة تتناول النبوة وغيرها بخلاف النبوة فانها لا تتناول الرسالة . . والنبي صلى
 الله عليه وسلم فسر الاسلام والايمان بما أجاب به كما يجاب عن المحدود بالحد اذا قيل ما كذا قيل كذا وكذا
 كما في الحديث الصحيح لما قيل ما الغيبة قال ذكرك أخاك بما يكره وفي الحديث الآخر الكبير بطر الحق
 وغبط الناس وطر الحق جعده ودفعه وغبط الناس احتقارهم وازدراؤهم وسندكر ان شاء الله تعالى
 سبب تنوع أجوبته وانها كلها حق ولكن المقصود ان قوله نبي الاسلام على خمس كقوله الاسلام هو
 الخمس كما ذكر في حديث جبريل فان الامر مركب من أجزاء تكون الهيئة الاجتماعية فيه مبنية على
 تلك الاجزاء ومركبة منها فالاسلام مبنى على هذه الاركان وسنبين ان شاء الله اختصاص هذه الخمس
 بكونها هي الاسلام وعليها بني الاسلام ولم خصت بذلك دون غيرها من الواجبات وقد فسر الايمان في
 في حديث وفد عبد القيس بما فسر به الاسلام هنالك لانه لم يذكر فيه الحج وهو متفق عليه فقال أمركم
 بالايمان بالله وحده هل تدرون ما الايمان بالله وحده قالوا الله ورسوله أعلم قال شهادة أن لا إله الا الله وأن
 محمدا رسول الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تؤدوا خمس ما غنمتم أو خمساً من المغنم
 وقد روى في بعض طرق الايمان بالله وشهادة أن لا إله الا الله لكن الاول أشهر وفي رواية أبي سعيد
 أمركم بأربع وأنها كم عن أربع اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وقد فسر في حديث شعب الايمان
 الايمان بهذا وبغيره فقال الايمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله الا الله وأدناها
 إمطة الاذي عن الطريق والحياة شعبة من الايمان وثبت عنه من وجوه متعددة أنه قال الحياة شعبة
 من الايمان من حديث ابن عمر وابن مسعود وعمران بن حصين وقال أيضاً لا يؤمن أحدكم حتى أكون
 أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين وقال لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وقال
 والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يارسل الله الذي لا يأمن جاره بوائفه وقال من
 رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فليسلنه فان لم يستطع فليقلبه وذلك أضعف الايمان وقال
 ما بعث الله من نبي الا كان في أمته قوم يهتدون بهديه ويستنون بسنته ثم انه يخلف من بعدهم خلف

يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون فنجاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدتهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدتهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل وهذا من افراد مسلم وكذلك في افراد مسلم قوله والذي نفسى بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا ادلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم وقال في الحديث المتفق عليه من رواية أبي هريرة ورواه البخاري من حديث ابن عباس قال انبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يفتنّب النّبهة يرفع الناس اليه فيها أبصارهم وهو مؤمن .. فيقال اسم الايمان تارة يذكر مفردا غير مقرون باسم الاسلام ولا باسم العمل الصالح ولا غيرهما وتارة يذكر مقرونا إما بالاسلام كقوله في حديث جبريل ما الاسلام وما الايمان وكقوله تعالى (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) وقوله عز وجل (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) وقوله تعالى (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) وكذلك ذكر الايمان مع العمل الصالح وذلك في مواضع من القرآن كقوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وإما مقرونا بالذين أوتوا العلم كقوله تعالى (والذين أوتوا العلم والايمان) وقوله (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) وحيث ذكر الذين آمنوا فقد دخل فيهم الذين أوتوا العلم فانهم خيارهم قال تعالى (والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) وقال (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) . ويذكر أيضاً لفظ المؤمنين مقرونا بالذين هادوا والنصارى والصابئين ثم يقول من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم فالمؤمنون في ابتداء الخطاب غير الثلاثة والايمان الآخر عنهم كما عنهم في قوله (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) وسنبسط هذا ان شاء الله ..

فالمقصود هنا العموم والخصوص بالنسبة الى مافي الباطن والظاهر من الايمان وأما العموم بالنسبة الى الملك فذلك مسألة أخرى فلما ذكر الايمان مع الاسلام جعل الاسلام هو الاعمال الظاهرة الشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحج وجعل الايمان مافي القلب من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وهكذا في الحديث الذي رواه أحمد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاسلام علانية والايمان في القلب .. واذا ذكر اسم الايمان مجردا دخل فيه الاسلام والاعمال الصالحة كقوله في حديث الشعب الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله الا الله وأدناها إمطة الاذي عن الطريق وكذلك سائر الأحاديث التي يجعل فيها أعمال البر من الايمان .. ثم ان في الايمان عند عدمها دل على انها واجبة وان ذكر فضل ايمان صاحبها ولم ينف ايمانه دل على انها مستحبة فان الله ورسوله لا ينفق اسم مسمى أمر الله به ورسوله الا اذا ترك بعض واجباته كقوله لا صلاة إلا بام القرآن وقوله لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له ونحو ذلك .. فأما اذا كان الفعل مستحبيا في العبادة لم ينفها لانتهاء المستحب فان هذا لو جاز لجاز أن ينف عن جمهور المؤمنين اسم الايمان والصلاة والزكاة والحج لانه مامن عمل الا وغيره أفضل منه وليس

أحد يفعل أفعال البر مثل ما فعلها النبي صلى الله عليه وسلم بل ولا أبو بكر ولا عمر فلو كان من لم يأت بكاملها المستعجب يجوز نفيها عنه لحاز أن ينفي عن جمهور المسلمين من الاولين والآخرين وهذا لا يقوله عاقل فمن قال ان المنفي هو الكمال فان أراد انه نفي الكمال الذي يذم تاركة ويتعرض للعقوبة فقد صدق وان أراد انه نفي الكمال المستعجب فهذا لم يقع قط في كلام الله ورسوله ولا يجوز أن يقع فان من فعل الواجب كما وجب عليه ولم ينتقص من واجبه شيئاً لم يجز أن يقال ما فعلته لاحقيقه ولا مجازاً فاذا قال للأمراني المسئء في صلاته ارجع فصل فانك لم تصل وقال لمن صلى خلف الصف وقد أمره بالاعادة لاصلاة لفني خلف الصف كان لترك واجب وكذلك قوله تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) بين أن الجهاد واجب وترك الارتباب واجب والجهاد وان كان فرضاً على الكفاية لجميع المؤمنين مخاطبون به ابتداء فعليهم كلهم اعتقاد وجوبه والعزم على فعله اذا تعين ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة نفاق رواه مسلم فاخبر انه من لم يهزم به كان على شعبة نفاق . وأيضاً فالجهاد جنس تحته أنواع متعددة ولا بد أن يجب على المؤمن نوع من أنواعه وكذلك قوله (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا) هذا كله واجب فان التوكل على الله واجب من أعظم الواجبات كما أن الاخلاص لله واجب وحب الله ورسوله واجب وقد أمر الله بالتوكل في غير آية أعظم مما أمر بالوضوء والغسل من الجنابة ونهى عن التوكل على غير الله قال تعالى (فاعبدوه وتوكلوا عليه) وقال تعالى (الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وقال تعالى (ان ينصرم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصرمكم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وقال تعالى (وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) وأما قوله (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً) فيقال من أحوال القلب وأعماله ما يكون من لوازم الايمان الثابتة فيه بحيث اذا كان الانسان مؤمناً لزم ذلك بغير قصد منه ولا تعمد له واذا لم يوجد دل على أن الايمان الواجب لم يحصل في القلب وهذا كقوله تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأبدهم بروح منه) فاخبر انك لا تجد مؤمناً يواد المحادين لله ورسوله فان نفس الايمان ينافي موادته كما ينفي أحد الضدين للآخر فاذا وجد الايمان انتفى ضده وهو موالاته أعداء الله فاذا كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه كان ذلك دليلاً على أن قلبه ليس فيه الايمان الواجب ومثله قوله تعالى في الآية الاخرى (تري كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون) فذكر جملة شرطية تقتضي انه اذا وجد الشرط وجد المشروط بحرف لوالتي تقتضي مع الشرط انتفاء المشروط فقال (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه

ما اتخذوهم أولياء) فدل على أن الايمان المذكور بنى اتخاذهم أولياء وبضاده ولا يجتمع الايمان واتخاذهم أولياء في القلب ودل ذلك على أن من اتخذهم أولياء ما فعل الايمان الواجب من الايمان بالله والنبي وما أنزل اليه ومثله قوله تعالى (لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فانه منهم) فانه أخبر في تلك الآيات أن متولهم لا يكون مؤمنا وأخبر هنا أن متولهم هو منهم فلو قرآن يصدق بعضه بعضاً قال الله تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) الآية وكذلك قوله (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه) دليل على أن الذهاب المذكور بدون استئذانه لا يجوز وانه يجب أن لا يذهب حتى يستأذن فمن ذهب ولم يستأذن كان قد ترك بعض ما يجب من الايمان فلهذا نفي عنه الايمان فان حُرِفَ انما تدل على اثبات المذكور ونفي غيره ومن الأصوليين من يقول إن إثبات الأثبات وما للنفي فاذا جمع بينهما دل على النفي والأثبات وليس كذلك عند أهل العربية ومن يتكلم في ذلك يعلم فان ما هذه هي الكافة التي تدخل على إن وأخواتها فتكشفها عن العمل لانها انما تعمل اذا اختصت بالجلل الاسمية فلما كفت بطل اختصاصها فصار يليها الجلل الفعلية والاسمية فتغير معناها وعملها جيمما باضمامها اليها وكذلك كانتا وغيرها وكذلك قوله تعالى (ويقولون آمنا بالله وبالرسل وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) ٥٠ فان قيل اذا كان المؤمن حقا هو الفاعل للأوجبات التارك للمحرمات فقد قال أولئك هم المؤمنون حقا ولم يذكر الا خمسة أشياء وكذلك قال في الآية الاخرى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) وكذلك قوله (ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) قيل عن هذا جوابان أحدهما أن يكون ما ذكر مستلزما لما ترك فانه ذكر وجل قلوبهم اذا ذكر الله وزيادة ايمانهم اذا تليت آياته مع اتوكل عليه وإقام الصلاة على الوجه المأمور به باطنا وظاهرا وكذلك الاتفاق من المال والمنافع فكان هذا مستلزما للباقي فان وجل القلب عند ذكر الله يقضي خشية والخوف منه وقد فسروا وجلت بفرقت وفي قراءة ابن مسعود اذا ذكر الله فرقت قلوبهم وهذا صحيح فان وجل في اللغة هو الخوف يقال حمرة الخجل وصفرة الوجل ومنه قوله تعالى (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجله انهم الى ربهم راجعون) قالت عائشة يا رسول الله هو الرجل يزني ويسرق ويخاف أن يعاقب قال لا يا بنت الصديق هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه وقال السدي في قوله تعالى (اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) هو الرجل يريد أن يظلم أو يهمل بمعصية فينزع عنه وهذا كقوله تعالى (وأما من حاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) وقوله (ولن خاف مقام ربه جنتان) قال مجاهد وغيره من المفسرين هو الرجل يهمل بالمعصية

فيذكر مقامه بين يدي الله فيتركها خوفا من الله واذا كان وجل القلب من ذكره يتضمن خشيته وخافته
 فذلك يدغو صاحبه الى فعل المأمور وترك المحذور قال سهل بن عبد الله ليس بين العبد وبين الله حجاب
 أغلظ من الدعوي ولا طريق اليه أقرب من الاقترار وأصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله
 ويدل على ذلك قوله تعالى (ولما سكنت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين
 هم لربهم يرهبون) فاخبر أن الهدى والرحمة للذين يرهبون الله قال مجاهد وابراهيم هو الرجل يريد
 أن يذنب الذنب فيذكر مقام الله فيدع الذنب رواه ابن أبي الدنيا عن ابن الجعد عن شعبة عن منصور
 عنهما في قوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وهؤلاء هم أهل الفلاح المذكورون في قوله تعالى
 (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) وهم المؤمنون وهم المتقون المذكورون في قوله
 تعالى (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) كما قال في آية البر (أولئك الذين صدقوا وأولئك هم
 المتقون) وهؤلاء هم المتبعون للكتاب كما في قوله تعالى (فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى) واذا لم يضل
 فهو متبع مهتد واذا لم يشقى فهو مرحوم وهؤلاء هم أهل الصراط المستقيم الذين أنعم الله عليهم من
 التبيين والصديقين والشهداء والصالحين غير المغضوب عليهم ولا الضالين فإن أهل الرحمة ليسوا مغضوبا
 عليهم وأهل الهدى ليسوا ضالين فتبين أن أهل رهبة الله يكونون متقين لله مستحقين لجنته بلا عذاب
 وهؤلاء هم الذين أتوا بالايمان الواجب . . . وما يدل على هذا المعنى قوله تعالى (انما يخشى الله من عباده
 العلماء) والمعنى انه لا يخشاه الا عالم فقد أخبر الله أن كل من خشى الله فهو عالم كما قال في الآية الاخرى
 (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون
 والذين لا يعلمون) والخشية أبدا متضمنة للرجاء ونولا ذلك لكات قنوطا كما أن الرجاء يستلزم الخوف
 ولولا ذلك لكان أمنا فاهل الخوف لله والرجاء له هم أهل العلم الذين مدحهم الله وقد روي عن أبي حيان
 التيمي أنه قال العلماء ثلاثة فعالم بالله ليس عالما بأمر الله وعالم بأمر الله ليس عالما بالله وعالم بالله عالم بأمر الله
 فالعالم بالله هو الذي يخافه والعالم بأمر الله هو الذي يعلم أمره ونهيه وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه
 وسلم أنه قال والله اني لارجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بحدوده واذا كان أهل الخشية هم العلماء
 الممدوحون في الكتاب والسنة لم يكونوا مستحقين للدم وذلك لا يكون الا مع فعل الواجبات . يدل عليه
 قوله تعالى (فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف
 وعيدي) وقوله (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فوعده بنصر الدنيا وبثواب الآخرة لاهل الخوف وذلك
 انما يكون لانهم أدوا الواجب فدل على أن الخوف يستلزم فعل الواجب ولهذا يقال للفاجر لا يخاف الله
 ويدل على هذا المعنى قوله تعالى (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب)
 قال أبو العالية سألت أبا محمد عن هذه الآية فقالوا لي كل من عصى الله فهو جاهل وكل من تاب قبل
 الموت فقد تاب من قريب وكذلك قال سائر المفسرين قال مجاهد كل عاص فهو جاهل حين معصيته وقال
 الحسن وقتادة وعطاء والسدي وغيرهم انما سموا جهالا لمعاصيهم لانهم غير مبشرين وقال الزجاج ليس معنى

الآية أنهم يجهلون أنه سوء لان المسلم لو كلفني ما يجزئني كان كمن لم يوافق سوءاً وانما يحتمل أمرين أحدهما أنهم عملوه وهم يجهلون المكروه فيه والثاني أنهم أقدموا على بصيرة وعلم بان عاقبته مكروهة وآثروا العاجل على الآجل فسموا جهالاً لا يبنارهم القليل على الراحة الكثيرة والراحة الدائمة فقد جعل الزجاج الجهل اما عدم العلم بعاقبة الفعل واما فساد الارادة وقد يقال هاتان لزمان وهذا مبسوط في الكلام مع الجهمية . والمقصود هنا أن كل عاص لله فهو جاهل وكل خائف منه فهو عالم مطيع لله وانما يكون جاهلاً انقص خوفه من الله اذ لو تم خوفه لم يعص ومنه قول ابن مسعود رضى الله عنه كفى بخشية الله علماً وكفى بالاغترار بالله جهلاً وذلك لان تصور الخوف يوجب الهرب منه وتصور المحبوب يوجب طلبه فاذا لم يهرب من هذا ولم يطلب هذا دل على أنه لم يتصوره تصوراً تاماً ولكن قد يتصور الخبر عنه وتصور الخبر وتصديقه وحفظ حروفه غير تصور الخبر به وكذلك اذا لم يكن المتصور محبوباً له ولا مكروهاً فان الانسان يصدق بما هو مخوف على غيره ومحبوب لغيره ولا يورثه ذلك هرباً ولا طلباً وكذلك اذا أخبر بما هو محبوب له ومكروه ولم يكذب الخبر بل عرف صدقه لكن قلبه مشغول بأمر آخرى عن تصور ما أخبر به فهذا لا يتحرك للهرب ولا للطلب وفي الكلام المعروف عن الحسن البصري وروي مرسل عن النبي صلى الله عليه وسلم العلم علمان فعلم في القلب وعلم على اللسان فعلم القلب هو العلم النافع وعلم اللسان حجة الله على عباده وقد أخرجنا في الصحيحين عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل الثمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها وهذا المنافق الذي يقرأ القرآن يحفظه ويتصور معانيه وقد يصدق انه كلام الله وأن الرسول حق ولا يكون مؤمناً كما ان اليهود يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وليسوا مؤمنين وكذلك ابليس وفرعون وغيرهما لكن من كان كذلك لم يكن حصل له العلم التام والمعرفة التامة فان ذلك يستلزم العمل بموجبه لا محالة ولهذا صار يقال لمن لم يعمل بعلمه انه جاهل كما تقدم وكذلك لفظ العقل وان كان هو في الأصل مصدر عقل يعقل عقلاً وكثير من النظائر جعله من جالس العلوم فلا بد أن يعتبر مع ذلك انه علم يعمل بموجبه فلا يسمى عاقلاً إلا من عرف الخير فطلبه والشر فتركه ولهذا قال أصحاب النار (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) وقال (نحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) ومتى فعل ما يعلم انه يضره ففعل هذا ماله عقل فكما أن الخوف من الله يستلزم العلم به فالعلم به يستلزم خشيته وخشيته تستلزم طاعته فالخائف من الله بمنثل لاول امره محتجب لواهيه وهذا هو الذي قصدنا بيانه أولاً ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى (فذكر إن نعت الذكري سيذكر من يخشى ويجنبها الأشقي الذي يصلى النار الكبرى) فأخبر ان من يخشاه يتذكر والتذكر هنا مستلزم لعبادته قال تعالى (هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقاً وما يتذكر إلا من ينيب) وقال (تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) ولهذا قالوا في قوله سيذكر من يخشى

سيعتبط بالقرآن من يخشى الله وفي قوله وما يتذكر إلا من يتوب إنما يتعظ من يرجع الى الطاعة وهذا
 لان التذكر التام يستلزم العمل بما تذكره فان تذكر محبوباً طلبه وان تذكر مرهوباً هرب منه ومنه
 قوله تعالى (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) وقال سبحانه (انما تنذر من اتبع الذكر
 وخشى الرحمن بالغيب) ففي الانذار عن غير هؤلاء مع قوله (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم
 لا يؤمنون) فثبت لهم الانذار من وجه ونفاه عنهم من وجه فان الانذار هو الاعلام بالخوف فلا انذار
 مثل التعليم والتخويف فن علمته فتعلم ففسدت تعليمه وآخر يقول علمته فلم يتعلم وكذلك من خوفته
 نخاف فهذا هو الذي تم تخويفه وأما من خوف فما خاف فلم يتم تخويفه وكذلك من هديته فاهتدى ثم
 هدام ومنه قوله تعالى (هدي للمتقين) ومن هديته فلم يهتد كما قال (وأما نوح فهديناها فاستمعوا للهي
 على الهدى) فلم يتم هدام كما تقول قطعته فانقطع وقطعته فما انقطع فالمؤثر التام يستلزم أثره فتم لم يحصل
 أثره لم يكن تاماً والفعل اذا صادف محلاً قابلاً له وإلا لم يتم والعلم بالحبيب يورث طلبه والعلم بالمكروه
 يورث تركه ولهذا يسمى هذا العلم الداعي ويقال الداعي مع القدرة يستلزم وجود المقدور وهو العلم
 بالمطلوب المستلزم لارادة المعلوم المراد وهذا كله مع صحة الفطرة وسلامتها وأما مع فسادها فقد يحس
 الانسان بالمزيد فلا يجد له لذة بل يؤلمه وكذلك يلتذ بالتؤلم لفساد الفطرة والفساد يتناول القوة العلمية
 والقوة العمالية جميعاً كالمرور الذي يجد العسل مرّاً فانه فسد نفس احساسه حتى كان يحس به على خلاف
 ما هو عليه للمرّة التي مازجته وكذلك من فسد باطنه قال تعالى (وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون
 ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) وقال تعالى (فلما
 زاغوا عن الله قلوبهم) وقال تعالى (فلو شاغف بل طبع الله عليها بكفرهم) وقل في الآية الأخرى
 (وقالوا قلوبنا غاف بل لعنهم الله بكفرهم) والغاف جمع أغلف وهو ذو الغلاف الذي في غلاف
 مثل الألقف كأنهم جعلوا المانع خلة أي خلقت القلوب عليها أغطية فقال تعالى (بل لعنهم الله بكفرهم
 وطبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً) وقال تعالى (ومنهم من يستمع البك حتى اذا خرجوا
 من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم)
 وكذلك قالوا (يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول) قال (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم) أي لا أفهمهم ماسمعوه
 ثم قال (ولو أفهمهم مع هذه الحال التي هم عليها لنولوا وهم معرضون فقد فسدت فطرتهم فلم يفهموا ولو
 فهموا لم يعملوا فتنى عنهم صحة القوة العلمية وصحة القوة العمالية وقال (أم تحسب ان أكثرهم يسمعون
 أو يعقلون ان هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً) وقال (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم
 قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل
 أولئك هم الغافلون) وقال (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً صمٌّ بكم عمى
 فهم لا يعقلون) وقال عن المنافقين (صمٌّ بكم عمى فهم لا يرجعون) ومن الناس من يقول لما لم ينتفعوا بالسمع
 والبصر والنطق جعلوا صماً بكياً عمياً أو لما عرضوا عن السمع والبصر صاروا كالعَمى وليس كذلك

بل نفس قلوبهم عميت وصمت وبكمت كما قال الله تعالى (فانها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور) والقلب هو الملك والأعضاء جنوده واذا صاح صاح سائر الجسد واذا فسد فسد سائر الجسد فيبقى يسمع بالبدن الصوت كما تسمع البهائم والمعنى لا تفقهه وان فقه بعض الفقه لم يفقه فقهاً تاماً فان الفقه التام يستلزم تأثيره في القلب بحجة المحبوب وبغض المكروه فحق لم يحصل هذا لم يكن التصور التام حاصلًا فجوز فيه لان ما لم يتم ينفي كقوله للذي أساء في صلاته صل فانك لم تصل ونفى الايمان حيث نفى من هذا الباب . وقد جمع الله بين وصفهم بوجل القلب اذا ذكر وبزيادة الايمان اذا سمعوا آياته قال الضحاك زادتهم يقيناً وقال الربيع بن أنس خشية وعن ابن عباس تصديقاً وهكذا قد ذكر الله هذين الأصلين في مواضع قال تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) والخشوع يتضمن معنيين أحدهما التواضع والذل والثاني السكون والطمأنينة وذلك مستلزم للين القلب المنافي للقسوة فخشوع القلب يتضمن عبوديته لله وطمأنينته أيضاً ولهذا كان الخشوع في الصلاة يتضمن هذا وهذا التواضع والسكون وعن ابن عباس في قوله (الذين هم في صلاتهم خاشعون) قال مخبتون أذلاء وعن الحسن وقتادة خائفون وعن مقاتل متواضعون وعن علي الخشوع في القلب وان يلين لامره المسلم كنفق ولا تلتفت يمينا ولا شمالا وقال مجاهد غض البصر وخفض الجناح وكان الرجل من العلماء اذا قام الى الصلاة هاب الرحمن أن يشد بصره أو ان يحدث نفسه بشئ من أمر الدنيا وعن عمرو بن دينار ليس الخشوع الركوع والسجود ولكنه السكون وحسن الهيئة في الصلاة وعن ابن سيرين وغيره كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ينظرون بأبصارهم في الصلاة الى السماء وينظرون يمينا وشمالا حتى تزل هذه (قد أفاح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) الآية فجعلوا بعد ذلك وجوههم حيث يسجدون وما رؤي أحد منهم بعد ذلك ينظر إلا الى الأرض وعن عطاء هو أن لا تعبت بشئ من جسدك وأنت في الصلاة وأبصر النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يعبت بلمحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ولفظ الخشوع ان شاء الله يبسط في مواضع أخرى . وخشوع الجسد تبع لخشوع القلب اذا لم يكن الرجل مرآياً يظهر ما ليس في قلبه كما روى تعوذوا بالله من خشوع النفاق وهو أن يري الجسد خاشعاً والقلب خالياً لا هياً فهو سبحانه استبطاً للمؤمنين بقوله (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) فدعاهم الى خشوع القلب لذكره وما نزل من كتابه ونهاهم أن يكونوا كالذين طال عليهم الأمد فقست قلوبهم وهؤلاء هم الذين اذا ذكر الله وجات قلوبهم واذا تابت عليهم آياته زادتهم إيماناً وكذلك قال في الآية الأخرى (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تفشع منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) والذين يخشون ربهم هم الذين اذا ذكر الله تعالى وجات قلوبهم . فان قيل فخشوع القلب لذكر الله وما نزل من الحق واجب قيل نعم لكن الناس فيه على قسمين مقصد وسابق فالسابقون يخلصون بالمستحبات

والمقصدون الأبرار هم عموم المؤمنين المستحقين للجنة ومن لم يكن من هؤلاء ولا هؤلاء فهو ظالم لنفسه
وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع
ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع وقد ذم الله فسوة القلوب المنافية للخشوع في غير موضع فقال تعالى (ثم
قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) قال الزجاج قست في اللغة غلظت وبيست
وعست فسوة القلب ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه والقاسى والعاسى الشديد الصلابة وقال ابن
قتيبة قست وعست وعنت أي بيست وقوة القلب المحمودة غير قسوته المدمومة فانه ينبغي أن يكون قويا
من غير غف ولينا من غير ضعف وفي الاثر القلوب آنية الله في أرضه فاجبها الى الله أصلها وأرقها
وأصفها وهذا كاليد فانها قوية لينة بخلاف ما يحسو من العقب فانه يابس لالين فيه وان كان فيه قوة وهو
سبعانه ذكر وجل القلب من ذكره ثم ذكر زيادة الايمان عند تلاوة كتابه علما وعملا ثم لا بد من التوكل
على الله فيما لا يقدر عليه ومن طاعته فيما يقدر عليه وأصل ذلك الصلاة والزكاة فمن قام بهذه الخمس كما
أمر لزم أن يأتي بسائر الواجبات بل الصلاة نفسها اذا فعلها كما أمر فهي تنهي عن الفحشاء والمنكر كما
روى عن ابن مسعود وابن عباس ان في الصلاة منهى ومزجرا عن معاصي الله فمن لم تنه صلاته عن
الفحشاء والمنكر لم يزد بصلاته من الله الا بعدا وقوله لم يزد الا بعدا اذا كان مترك من الواجب منها
أعظم مما فعله أبعد ترك الواجب الاكثر من الله أكثر مما قرب فعل الواجب الاقل وهذا كما في الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق بقلب الشمس
حتى اذا كانت بين قرني شيطان قام فقهر أربعاً لا يذكر الله فيها لا قايلاً وقد قال تعالى (ان المنافقين
يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله لا قايلاً)
وفي السنن عن عمار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان العبد لينصرف من صلاته ولم يكتب له منها
الا نصفها الا ثلثها حتى قال الا عشرها وعن ابن عباس قال ليس لك من صلاتك الا ماعقت منها وهذا
وان لم يؤمر باعادة الصلاة عند أكثر العلماء لكن يؤمر بأن يأتي من التطوعات بما يجبر نقص فرضه
ومعلوم ان من حافظ على الصلوات بخشوعها الباطن وأعمالها الطاهرة وكان يخشي الله الخشية التي أمره
بها فانه يأتي بالواجبات ولا يأتي كبيرة ومن أتى الكبائر مثل الزنا أو السرقة أو شرب الخمر وغير ذلك
فلا بد أن يذهب ما في قلبه من تلك الخشية والخشوع والتور وان بقي أصل التصديق في قلبه وهذا من
الايمان الذي ينزع منه عند فعل الكبيرة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو
مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن فان المتقين كما وصفهم الله بقوله (ان الذين اتقوا اذا
مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) فاذا طاف بقلوبهم طيف من الشيطان تذكروا
فيبصرون قال سعيد بن جبير هو الرجل يفضب الفضبة فيذكر الله فيكظم الغيظ وقال ايث عن مجاهد
هو الرجل يهيم بالذنوب فيذكر الله فيدعه والشهوة والغضب مبدأ السيئات فاذا أبصر رجوع ثم قال
(واخوانهم يدعونهم في الفنى ثم لا يقصرون) أي واخوان الشياطين تمدهم الشياطين في الفنى ثم لا يقصرون

قال ابن عباس لا الاله الا الله تعالى ولا الشياطين تمسك عنهم فاذا لم يبصر بقى قلبه في غمر والشيطان يمد من غيه وان كان التصديق في قلبه لم يكذب فذلك النور والابصار وتلك الخشية والخوف يخرج من قلبه وهذا كما ان الانسان يغض عينيه فلا يرى وان لم يكن أعشى فكذلك القلب بما يغشاه من رين الذنوب لا يبصر الحق وان لم يكن أعشى كعمى الكافر وهكذا جاء في الآثار قال أحمد بن حنبل في كتاب الايمان حدثنا يحيى عن أنس عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ينزع منه الايمان فان تاب أعيد اليه وقال حدثنا يحيى عن عوف قال قال الحسن بجانبه الايمان مادام كذلك فان راجع راجعه الايمان وقال أحمد حدثنا معاوية عن أبي اسحاق عن الازاعي قال وقد قلت للزهري حين ذكر هذا الحديث لا يزني الزاني وهو مؤمن فانهم يقولون فان لم يكن مؤمناً فما هو قال فانكر ذلك وكره مسأله عنه وقال أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال لعلمانه من أراد منكم البقاء زوجناه لا يزني منكم زان الا نزع الله منه نور الايمان فان شاء أن يرد رده وان شاء أن يمتنع منه وقال أبو داود السجستاني حدثنا عبد الوهاب بن نجدة حدثنا بقيق بن الوليد حدثنا صفوان بن عمرو عن عبد الله بن ربيعة الحضرمي أنه أخبره عن أبي هريرة أنه كان يقول انما الايمان كثوب أحدهم يلبسه مرة ويقالعه أخرى وكذلك رواه بإسناده عن عمرو روى عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل وفي حديث عن أبي هريرة مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم إذا زنى الزاني خرج منه الايمان فكان كالخنة فاذا انقطع رجع اليه الايمان وهذا ان شاء الله ببسط في موضع آخر

(فصل) وقد جاءت أحاديث تنازع الناس في صحتها مثل قوله لا صلاة الا بوضوء ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه فالأول فهو كقوله لا صلاة الا بظهور وهذا متفق عليه بين المسلمين فان الظهور واجب في الصلاة فانما نفي الصلاة لانتفاء واجب فيها وأما ذكر اسم الله تعالى على الوضوء ففي وجوبه نزاع معروف وأكثر العلماء لا يوجبونه وهو مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وهو احدي الروايتين عن أحمد اختارها الخرق وأبو محمد وغيرهما والثاني يجب وهو قول طائفة من أهل العلم وهو الرواية الأخرى عن أحمد اختارها أبو بكر عبد العزيز والقاضي أبو يعلى وأصحابه وكذلك قوله لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد رواه الدارقطني فمن الناس من يضعفه مرفوعاً ويقول هو من كلام علي رضي الله عنه ومنهم من ينسبه كعبد الحق وكذلك قوله لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل قد رواه أهل السنن وقيل ان رفعه لم يصح وانما يصح موقوفاً على ابن عمر أو حفصة فليس لاحد أن يثبت لفظاً عن الرسول مع أنه أريد به نفي الكمال المستعجب فان صحت هذه الالفاظ دلت قطعاً على وجوب هذه الامور فان لم تصح فلا ينتقض بها أصل مستقر من الكتاب والسنة وليس لاحد أن يحمل كلام الله ورسوله على وفق مذهبه ان لم يتبين من كلام الله ورسوله ما يدل على مراد الله ورسوله والا فاقوال العلماء تابعة لقول الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ليس قول الله ورسوله تابعاً لاقوالهم فاذا كان في وجوب شيء نزاع

بين العلماء ولفظ الشارع قد اطرده لم يحز أن ينقض الاصل المعروف من كلام الله ورسوله بقول فيه نزاع بين العلماء ولكن من الناس من لا يعرف مذاهب أهل العلم وقد نشأ على قول لا يعرف غيره فيظنه اجماعاً كمن يظن أنه اذا ترك الانسان الجماعة وصلى وحده برئت ذمته اجماعاً وليس الامر كذلك بل للعلماء قولان معروفان في أجزاء هذه الصلاة وفي مذهب أحد فيها قولان فطائفة من قدماء أصحابه حكاه عنهم القاضي أبو يعلى في شرح المذهب ومن متأخريهم كابن عقيل وغيره يقولون من صلى المكتوبة وحده من غير عذر يسوغ له ذلك فهو كمن صلى الظهر يوم الجمعة فإن أمكنه أن يؤديها في جماعة بعد ذلك فعليه ذلك والاباء بائمه كما يبوء تارك الجمعة بائمه والثوبة معروضة وهذا قول غير واحد من أهل العلم وأكثر الآثار المروية عن السلف من الصحابة والتابعين تدل على هذا . . . وقد احتجوا بما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من سمع النداء ثم لم يجب من غير عذر فلا صلاة له وأجابوا عن حديث الفضيل بأنه في المعذور الذي تباح له الصلاة وحده كما ثبت عنه أنه قال صلاة الرجل قاعدا على النصف من صلاة القائم وصلاة المضطجع على النصف من صلاة القاعد والمراد به المعذور كما في الحديث أنه خرج وقد أصابهم وعك وهم يصلون قعوداً فقال ذلك ولم يجوز أحد من السلف صلاة التطوع مضطجماً من غير عذر ولا يعرف أن أحداً من السلف فعل ذلك وجوازه وجه في مذهب الشافعي وأحمد لا يعرف لصاحبه سلف صدق مع أن هذه المسألة مما أتم به البلوى فلو كان يجوز لكل مسلم أن يصلي التطوع على جنبه وهو صحيح لمرض به كما يجوز أن يصلي التطوع قاعداً وعلى الراحلة لكان هذا مما قد بينه الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته وكان الصحابة تعلم ذلك ثم مع قوة الداعي إلى الخبر لا بد أن يفعل ذلك بعضهم فلما لم يفعله أحد منهم دل على أنه لم يكن مشروعاً عندهم وهذا مبسوط في موضعه . . . والمقصود هنا أنه ينبغي للمسلم أن يقدر قدر كلام الله ورسوله بل ليس لاحد أن يحمل كلام أحد من الناس إلا على ما عرف أنه أراده لا على ما يحتمله ذلك اللفظ في كلام كل أحد فإن كثيراً من الناس يتناول النصوص الخلقية بقوله يسلك مسلك من يجعل التأويل كأنه ذكر ما يحتمله اللفظ وقصده به دفع ذلك المحتج عليه بذلك النص وهذا خطأ بل جميع ما قاله الله ورسوله يجب الايمان به فليس لنا أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض وليس الاعتناء بمراعاة أحد النصين دون الآخر بأولى من العكس فإذا كان النص الذي وافقه يعتقد أنه اتبع فيه مراد الرسول فكذلك النص الآخر الذي تأوله فيكون أصل مقصوده معرفة ما أراده الرسول بكلامه وهذا هو المقصود بكل ما يجوز من تفسير وتأويل عند من يكون اصطلاحه تباير معانيها وأما من يجعلها بمعنى واحد كما هو الغالب على اصطلاح المفسرين فالتأويل عندهم هو التفسير وأما التأويل في كلام الله ورسوله فله معنى ثالث غير معناه في اصطلاح المفسرين وغيرها في اصطلاح متأخري الفقهاء والاصوليين كما قد بسط في موضعه . . . والمقصود هنا أن كل مانفاه الله ورسوله من مسمى أسماء الامور الواجبة كالسم الايمان والاسلام والدين والصلاة والصيام والطهارة والحج وغير ذلك فانما يكون لترك واجب في ذلك المسمى ومن هذا قوله تعالى ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً

مما قضيت ويسلموا تسليما) فلما نفي الايمان حتى توجد هذه الغاية دل على أن هذه الغاية فرض على الناس
 فمن تركها كان من أهل الوعيد لم يكن قد أتى بالايمان الواجب الذي وعده أهله بدخول الجنة بلا
 عذاب فان الله انما وعده بذلك من فعل ما أمر به وأما من فعل بعض الواجبات وترك بعضها فهو معرض
 للوعيد ومعلوم بأنه في المسلمين أنه يجب تحكيم الرسول في كل ما شجر بين الناس في دينهم ودنياهم
 في أصول دينهم وفروعه وعليهم كلهم اذا حكم بشيء أن لا يجحدوا في أنفسهم حرجا مما حكم ويسلموا له تسليما
 قال تعالى (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا
 الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى
 ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) وقوله الى ما أنزل الله وقد أنزل الله
 الكتاب والحكمة وهي السنة قال تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة
 يعظكم به) وقال تعالى (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك
 عظيما) والدعاء الى ما أنزل يستلزم الدعاء الى الرسول والدعاء الى الرسول يستلزم الدعاء الى ما أنزله الله
 وهذا مثل طاعة الله والرسول فانهما متلازمان فمن يطع الرسول فقد أطاع الله ومن أطاع الله فقد أطاع
 الرسول وكذلك قوله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين)
 فانهما متلازمان فكل من شق الرسول من بعد ما تبين له الهدى فقد اتبع غير سبيل المؤمنين وكل من
 اتبع غير سبيل المؤمنين فقد شاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى فان كان يظن أنه متبع سبيل المؤمنين
 وهو بخفي فهو بمنزلة من ظن أنه متبع للرسول وهو مخفي . . . وهذه الآية تدل على أن اجماع المؤمنين
 حجة من جهة ان مخالفتهم مستلزمة لمخالفة الرسول وان كل ما أجمعوا عليه فلا بد أن يكون فيه نص عن
 الرسول فكل مسألة يقطع فيها بالاجماع وبانتفاء المنازع من المؤمنين فانها ما بين الله فيه الهدى ومخالف
 مثل هذا الاجماع يكفر كما يكفر مخالف النص البين وأما اذا كان يظن الاجماع ولا يقطع به فهذا قد
 لا يقطع أيضا بانها مما تبين فيه الهدى من جهة الرسول ومخالف مثل هذا الاجماع قد لا يكفر بل قد
 يكون ظن الاجماع خطأ والصواب في خلاف هذا القول وهذا هو فصل الخطاب فيما يكفر به من
 مخالفة الاجماع ومالا يكفر . . . والاجماع هل هو قطعي الدلالة أو ظني الدلالة فان من الناس من يطلق
 الاثبات بهذا أو هذا ومنهم من يطلق الذي لهذا ولهذا والصواب التفصيل بين ما يقطع به من الاجماع
 ويعلم يقينا أنه ليس فيه منازع من المؤمنين أصلا فهذا يجب القطع بأنه حق وهذا لا بد أن يكون مما بين
 فيه الرسول الهدى كما قد بسط هذا في موضع آخر ومن جهة أنه اذا وصف الواجب بصفات متلازمة
 دل على أن كل صفة من تلك الصفات متى ظهرت وجب اتباعها وهذا مثل الصراط المستقيم الذي أمرنا
 الله بسؤال هدايته فانه قد وصف بأنه الاسلام ووصف بأنه اتباع القرآن ووصف بأنه طاعة الله ورسوله
 ووصف بأنه طريق العبودية ومعلوم أن كل اسم من هذه الاسماء يجب اتباع مسماها كلها واحدا
 وان تنوعت صفاته فاي صفة ظهرت وجب اتباع مدلولها فانه مدلول الاخرى وكذلك أسماء الله تعالى

وأسماء كتابه وأسماء رسوله هي مثل أسمائه دينه وكذلك قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)
 حبل الله هو دين الاسلام وقيل القرآن وقيل عهده وقيل طاعته وأمره وقيل الجماعة المسلمون وكل
 هذا حق وكذلك اذا قلنا الكتاب والسنة والاجماع فمدلول الثلاث واحد فان كل من في الكتاب فالرسول
 موافق له والامة مجمعة عليه من حيث الجملة فليس في المؤمنين الا من يوجب اتباع الكتاب وكذلك
 كل ماسمه الرسول صلى الله عليه وسلم فالقرآن يأمر باتباعه فيه والمؤمنون مجمعون على ذلك وكذلك
 كل ما أجمع عليه المسلمون فانه لا يكون الا حقاً موافقاً لما في الكتاب والسنة لكن المسلمون يتقون دينهم
 كله عن الرسول وأما الرسول فينزل عليه وحى هو القرآن ووحى آخر هو الحكمة كما قال صلى الله
 عليه وسلم الا أنى أوتيت الكتاب ومثله معه وقال حسان بن عطية كان جبريل ينزل على النبي صلى الله
 عليه وسلم بالسنة فيعلمه ايها كما يعلمه القرآن فليس كل ما جاءت به السنة يجب أن يكون مفسراً في القرآن
 بخلاف ما يقوله أهل الاجماع فانه لا بد أن يدل عليه الكتاب والسنة فان الرسول هو الواسطة بينهم وبين
 الله في أمره ونهيه وتحليله وتحريمه والمقصود ذكر الايمان ٥٥ ومن هذا الباب قول النبي صلى الله عليه
 وسلم لا يفيض الانصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر وقوله آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغض
 الانصار فان من علم ما قامت به الانصار من نصر الله ورسوله من أول الامر وكان محباً لله ولرسوله
 أحبهم قطعاً فيكون حبه لهم علامة الايمان الذي في قلبه ومن أبغضهم لم يكن في قلبه الايمان الذي أوجبه
 الله عليه وكذلك من لم يكن في قلبه بغض ما يبغضه الله ورسوله من المنكر الذي حرمه من الكفر
 والفسوق والعصيان لم يكن في قلبه الايمان الذي يوجبه الله عليه فان من لم يكن مبغضاً لشيء من المحرمات
 أصلاً لم يكن معه ايمان أصلاً كما سنبينه ان شاء الله تعالى وكذلك من لا يحب لآخيه المؤمن ما يحبه لنفسه
 لم يكن معه ما أوجب الله عليه من الايمان فحيث نفى الله الايمان عن شخص فلا يكون الا لقص ما يجب
 عليه من الايمان ويكون من المعرضين للوعيد ليس من المستحقين للوعد المعاق وكذلك قوله صلى الله
 عليه وسلم من غشنا فليس منا ومن حمل علينا السلاح فليس منا كنه من هذا الباب لا يقوله الا من ترك
 ما أوجب الله عليه أو فعل ما حرمه الله ورسوله فيكون قد ترك من الايمان المفروض عليه ما ينفي عنه
 الاسم لاجله فلا يكون من المؤمنين المستحقين للوعد السالمين من الوعيد وكذلك قوله تعالى (ويقولون
 آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين واذا دعوا الى الله
 ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق بأنوا اليه مدعين في قلوبهم مرض أم
 ارتابوا أم يخافون أن يحيف عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله
 ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) فهذا حكم اسم الايمان اذا أطلق
 في كلام الله ورسوله فانه يتناول فعل الواجبات وترك المحرمات ومن نفى الله ورسوله عنه الايمان فلا بد
 أن يكون قد ترك واجباً أو فعل محرماً فلا يدخل في الاسم الذي يستحق أهله الوعد دون الوعيد بل يكون
 من أهل الوعيد وكذلك قوله تعالى (حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ)

والعصيان أولئك هم الراشدون .. قال محمد بن نصر المروزي لما كانت المعاصي بعضها كفر وبعضها ليس بكفر ففرق بينها فجعلها ثلاثة أنواع منها كفر ونوع منها فسوق وليس بكفر ونوع عصيان وليس بكفر ولا فسوق وأخبر أنه كرها كلها إلى المؤمنين ولما كانت الطاعات كلها داخلية في الايمان وليس فيها شيء خارج عنه لم يفرق بينها فيقول حبيب اليكم الايمان والفرائض وسائر الطاعات بل أجمل ذلك فقال حبيب اليكم الايمان فدخل في ذلك جميع الطاعات لانه قد حبيب إلى المؤمنين الصلاة والزكاة وسائر الطاعات حب تدين لان الله أخبر أنه حب ذلك اليهم وزينه في قلوبهم كقوله (حبيب اليكم الايمان) ويكرهون جميع المعاصي الكفر منها والفسوق وسائر المعاصي كراهة تدين لان الله أخبر أنه كره ذلك اليهم ومن ذلك قول رسول الله رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرته حسنته وسأته سيئته فهو مؤمن لان الله حبيب إلى المؤمنين الحسنات وكره اليهم السيئات .. قلت وتكره جميع المعاصي اليهم يستلزم حب جميع الطاعات لان ترك الطاعات معصية ولانه لا يترك المعاصي كلها ان لم يتلبس بضدها فيكون محبا لضدها وهو الطاعة اذ القلب لا بدله من ارادة فاذا كان يكره الشر كله فلا بد أن يريد الخير والمباح بالنية الحسنة يكون خيرا وبالنية السيئة يكون شرا ولا يكون فعل اختياري الا بارادة ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح أحب الاسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن وأصدق الاسماء الحارث وهام وأقبحها حرب ومرة فاصدق الاسماء الحارث وهام لان كل انسان هام حارث والحارث الكاسب العامل والهوام الكثير الهام وهو مبدأ الارادة وهو حيوان وكل حيوان حساس متحرك بالارادة فاذا فعل شيئا من المباحات فلا بد له من غاية ينتهي اليها قصده وكل مقصود اما أن يقصد لنفسه واما أن يقصد لغيره فان كان منتهى مقصوده ومراده عبادة الله وحده لا شريك له وهو اله الذي يعبد لا يعبد شيئا سواه وهو أحب اليه من كل ما سواه فان ارادته تنتهي إلى ارادته وجه الله فيثاب على مباحاته التي يقصد الاستعانة بها على الطاعة كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نفقة الرجل على أهله يحسبها صدقة وفي الصحيحين عنه انه قال لسعد بن أبي وقاص لما مرض بمكة وعاده قال انك ان تنفق نفقة تبني بها وجه الله الا ازددت بها درجة ورفعة حتى للقامة ترفعها إلى في امرأتك وقال معاذ بن جبل لابي موسى اني أحسب نومتي كما أحسب قومتي وفي الاثر نوم العالم تسبيح وان كان أصل مقصوده عبادة غير الله لم تكن الطيبات مباحة له فان الله انما أباحها للمؤمنين من عباده بل الكفار وأهل الجرائم والذنوب وأهل الشهوات يحاسبون يوم القيامة على نعم الله التي تنعموا بها فلم يشكروا ولم يعبدوه بها ويقال لهم (اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) وقال تعالى (ثم لتسئلن يومئذ عن النعم) أي عن شكره والكافر لم يشكر على النعم الذي أنعم الله عليه به فيعاقبه على ذلك والله انما أباحها للمؤمنين وأمرهم معها بالشكر كما قال تعالى (كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله) وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله ليرضى عن العبد أن يأكل الاكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها وفي سنن ابن ماجه وغيره الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وكذلك قال للرسول

(كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً) وقال تعالى (أحلّت لكم بهيمة الانعام الا مايتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم) وقال الخليل (وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر) قال الله تعالى (ومن كفر فامتعه قليلاً ثم أضطره الى عذاب النار وبئس المصير) فالخليل انما دعا بالطيبات للمؤمنين خاصة والله انما أباح بهيمة الانعام لمن حرم ما حرمه الله من الصيد وهو محرم والمؤمنون أمرهم أن يأكلوا من الطيبات ويشكروه ولهذا ميز سبحانه وتعالى بين خطاب الناس مطلقاً وخطاب المؤمنين فقال (يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون) فانما أذن للناس أن يأكلوا مما في الارض بشرطين أن يكون طيباً وأن يكون حلالاً ثم قال (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله) فاذن للمؤمنين في الاكل من الطيبات ولم يشترط الحل وأخبر انه لم يحرم عليهم الا ما ذكره فما سواه لم يكن محرماً على المؤمنين ومع هذا فلم يكن أحله بخطابه بل كان عفواً كما في الحديث عن سلمان موقوفاً ومرفوعاً للحلال ما أحله الله في كتابه والحرام ما حرمه الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفى عنه وفي حديث أبي ثعلبة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحدوداً فلا تعتدوها وحرم حرماً فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تنجسوا عنها وكذلك قوله تعالى (قل لا أجد فيها أوحى الى محرماً على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة) نفى التحريم عن غير المذكور فيكون الباقي مسكوتاً عن تحريمه عفواً والتحليل انما يكون بخطاب ولهذا قال في سورة المائدة التي أنزلت بعد هذا (يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين الى قوله اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم) ففي ذلك اليوم أحل لهم الطيبات وقبل هذا لم يكن محرماً عليهم الا ما استثناه وقد حرم النبي صلى الله عليه وسلم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخالب من الطير ولم يكن هذا نسخاً للكتاب لان الكتاب لم يحل ذلك ولكن سكت عن تحريمه فكان تحريمه ابتداء شرع ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المروي من طرق من حديث أبي رافع وأبي ثعلبة وأبي هريرة وغيرهم لا الفين أحدهم متكثراً على أريكته يأتيه الامر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول بيننا وبينكم هذا القرآن فما وجدنا فيه من حلال أحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا واني أوتيت الكتاب ومثله معه وفي لفظ الا وانه مثل القرآن أو أكثر الا واني حرمت كل ذي ناب من السباع فبين انه أنزل عليه وحي آخر وهو الحكمة غير الكتاب وان الله حرم عليه في هذا الوحي ما أخبر بتحريمه ولم يكن ذلك نسخاً للكتاب فان الكتاب لم يحل هذه قط انما أحل الطيبات وهذه ليست من الطيبات وقال (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) فلم تدخل هذه الآية في العموم لكنه لم يكن حرماً فكانت معفواً عن تحريمها لا ما ذونا في أكلها وأما الكفار فلم يأذن الله لهم في كل شيء ولا أحل لهم شيئاً ولا

عفا لهم عن شيء يأكلونه بل قال (يأبها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيباً) فشرط فيما يأكلونه أن يكون حلالا وهو المأذون فيه من جهة الله ورسوله والله لم يأذن في الاكل الا للمؤمن به فلم يأذن لهم في أكل شيء الا اذا آمنوا ولهذا لم تكن أموالهم مملوكة لهم ملكا شرعياً لان الملك الشرعي هو القدرة على التصرف الذي أباحه الشارع صلى الله عليه وسلم والشارع لم يبيع لهم تصرفا في الاموال الا بشرط الايمان فكانت أموالهم على الاباحة فاذا قهر طائفة منهم طائفة قهراً استعملونه في دينهم وأخذوها منهم صار هؤلاء فيها كما كان أولئك والمسلمون اذا استولوا عليها فغنموها ملكوها شرعاً لان الله أباح لهم الغنائم ولم يحبسها لغيرهم ويجوز لهم أن يعاملوا الكفار فيما أخذهم بعضهم من بعض بالقهر الذي يستعملونه في دينهم ويجوز أن يشتري من بعضهم ماسباء من غيره لان هذا بمنزلة استيلائه على المباحات ولهذا سمي الله ماعاد من أموالهم الى المسلمين فيثالان الله أفاءه الى مستحقه أي رده الى المؤمنين به الذين يعبدونه ويستعينون برزقه على عبادته فانه انما خلق الخلق ليعبدوه وانما خلق الرزق لهم ليستعينوا به على عبادته ولفظ النبي قد يتناول الغنيمة كقول النبي صلى الله عليه وسلم في غنائم حنين ليس لي مما أفاء الله عليكم الا الخمس والخمس مردود عليكم لكنه لما قال تعالى (ما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) صار لفظ النبي اذا أطلق في صرف الفقهاء فهو مأخوذ من مال الكفار بغير ايجاف خيل ولا ركاب والايجاب نوع من التحريك. وأما اذا فعل المؤمن ما يباح له قاصدا للعدول عن الحرام الى الحلال لحاجته اليه فانه يثاب على ذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وفي بضع أحدكم صدقة قالوا يا رسول الله يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال رأيتم ان وضعها في حرام كان عليه فيها وزر فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له أجر وهذا كقوله في حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يكره أن تؤمن معصيته ورواه أحمد وابن خزيمة في صحيحه وغيرهما فاخبر أن الله يحب اتيان رخصه كما يكره فعل معصيته وبعض الفقهاء يرويه كما يجب أن تؤتي عزائمه وليس هذا لفظ الحديث وذلك لان الرخص انما أباحها الله لحاجة العباد اليها والمؤمنون يستعينون بها على عبادته فهو يجب الاخذ بها لان الكريم يحب قبول احسانه كما قال في حديث القصر صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته ولانه بها تتم عبادته وطاعته وأما ما يحتاج اليه الانسان من قول وعمل بل يفعله عبثاً فهذا عليه لاله كما في الحديث كل كلام ابن آدم عليه لاله الا أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر وذكر الله وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت فامر المؤمن بأحد امرين اما قول الخير أو الصمت ولهذا كان قول الخير خيراً من السكوت عنه والسكوت عن الشر خيراً من قوله ولهذا قال تعالى (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) .. وقد اختلف هل يكتب جميع أقواله فقال مجاهد وغيره يكتبان كل شيء حتى أنبئه في مرضه وقال عكرمة لا يكتبان الا ما يؤجر عليه أو يوزر والقرآن يدل على أنهما يكتبان الجميع فانه قال ما يلفظ من قول نكرة في الشرط مؤثمة بحرف من فهذا يعم كل قوله وأيضاً فكونه يؤجر على قول معين أو يوزر يحتاج الى أن يعرف

الكاتب مأمراً به وما نهى عنه فلا بد في اثبات معرفة الكاتب به الى نقل وأيضاً فهو مأمور بما يقول الخبير
واما بالصمت فاذا عدل عما أمر به من الصمت الى فضول القول الذي ليس بخير كان هذا عليه فانه يكون
مكروها والمكروه ينقصه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه فاذا
خاض فيما لا يعنيه نقص من حسن اسلامه فكان هذا عليه اذ ليس من شرط ما هو عليه أن يكون عذاب
جهنم وغضب الله بل نقص قدره ودرجته عليه ولهذا قال تعالى (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) فما
يعمل أحد الا عليه وله فان كان مما أمر به كان له والا كان عليه ولو أنه ينقص قدره والنفس طبعها الحركة
لا تسكن قط لكن قد عفا الله عما حدث به المؤمنون أنفسهم ما لم يتكلموا به أو يعملوا به فاذا عملوا به
دخل في الامر والنهي فاذا كان الله قد كره الى المؤمنين جميع المعاصي وهو قد حجب اليهم الايمان الذي يقتضي
جميع الطاعات اذا لم يعارضه ضد باتفاق الناس فان المرجئة لا تنازع في ان الايمان الذي في القلب يدعو الى
فعل الطاعة ويقتضي ذلك والطاعة من ثمراته ونتائجها لكنها تنازع هل يستلزم الطاعة فانه وان كان يدعو الى
الطاعة فله معارض من النفس والشيطان فاذا كان قد كره الى المؤمنين المعارض كان المقتضى للطاعة سالماً عن
هذا المعارض وأيضاً فاذا كرهوا جميع السيئات لم يبق الا حسنات أو مباحات والمباحات لم تبج الا لاهل الايمان
الذين يستعينون بها على الطاعات والا فالله لم يبيع قط لاحد شيئاً أن يستعين به على كفر ولا فسوق ولا عصيان
ولهذا لعن النبي صلى الله عليه وسلم عاصر الخمر ومعتصرها كما لعن شارها والعاصر يعصر عنباً يصير عصيراً
يمكن ان ينتفع به في المباح لكن لما علم ان قصد العاصر ان يجعلها خمرأ لم يكن له ان يعينه بما جنسه مباح على
معصية الله بل لعنه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك لان الله لم يبيع اعانة العاصي على معصيته ولا أباح له ما
يستعين به في المعصية فلا يكون مباحاً لهم الا اذا استعملوا بها على الطاعات فيلزم من انتفاء السيئات انهم لا يفعلون الا
الحسنات ولهذا كان من ترك المعاصي كلها فلا بد ان يشتغل بطاعة الله وفي الحديث الصحيح كل الناس يفتدو فبائع
نفسه ففتمتها أو موبقها فالؤمن لا بد ان يحب الحسنات ولا بد ان يفيض السيئات ولا بد ان يسره فعل الحسنات
ويسوئه فعل السيئات ومتى قدر انه في بعض الامور ليس كذلك كان ناقص الايمان والمؤمن قد تصدر منه
السيئة فيتوب منها أو يأتي بحسنات تمحوها أو يتوب ببلاء يكفرها عنه ولكن لا بد أن يكون كارها لها فان
الله أخبر انه حجب الى المؤمنين الايمان وكره اليهم الكفر والفسوق والعصيان فن لم يكره الثلاثة لم يكن
منهم ولكن محمد بن نصر يقول الفاسق يكرها تديناً فيقال ان أريد بذلك أنه يعتقد ان دينه حرمها
وهو يحب دينه وهذه من جلته فهو يكرها وان كان يحب دينه محملاً وليس في قلبه كراهة لها كان قد
عدم من الايمان بقدر ذلك كما في الحديث الصحيح من رأى منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه
فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان وفي الحديث الآخر الذي في الصحيح أيضاً صحيح مسلم
فن جاهدكم بيده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء
ذلك من الايمان مثقال حبة خردل . . . فعلم ان القلب اذا لم يكن فيه كراهة ما يكرهه الله لم يكن فيه من الايمان
الذي يستحق به الثواب وقوله من الايمان أي من هذا الايمان وهو الايمان المطلق أي ليس وراء هذه

الثلاث ماهو من الايمان ولا قدر حبة خردل والمعنى هذا آخر حدود الايمان ما بقي بعد هذا من الايمان
 شيء ليس مراده انه من لم يفعل ذلك لم يبق معه من الايمان شيء بل لفظ الحديث انما يدل على المعنى الاول
 (فصل ومن هذا الباب) لفظ الكفر والنفاق فالكفر اذا ذكر مفردا في وعيد الآخرة دخل
 فيه المنافقون كقوله (ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين) وقوله (ومن
 يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا) وقوله (لا يصلاها الا الاشقي
 الذي كذب وتولى) وقوله (كل التي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير
 فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان أنتم الا في ضلال كبير) وقوله (وسيق الذين كفروا الى جهنم
 زمرا حتى اذا جاؤا فتعنت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم
 وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم
 خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) وقوله (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما
 جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين) وقوله (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره
 يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أنتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم
 تنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه وللعذاب الآخرة أشد وأبقى) وقوله (ان الذين
 كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية) وأمثال هذه النصوص
 كثير في القرآن فمذه كلها يدخل فيها المنافقون الذين هم في الباطن كفار ليس معهم من الايمان
 شيء كما يدخل فيها الكفار المظهرون للكفر بل المنافقون في الدرك الاسفل من النار كما أخبر الله بذلك
 في كتابه ثم قد يقرن الكفر بالنفاق في مواضع ففي أول البقرة ذكر أربع آيات في صفة المؤمنين
 وآيتين في صفة الكافرين وبضع عشرة آية في صفة المنافقين فقال تعالى (ان الله جامع المنافقين
 والكافرين في جهنم جميعا) وقال (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم
 قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) الى قوله (فالיום لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا وماؤا لم
 النار هي مولاكم وبئس المصير) وقال (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) في سورتين
 وقال (ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لآخوانهم الذين كفروا) الآية وكذلك لفظ المشركين قد يقرن
 بأهل الكتاب فقط وقد يقرن بالملل الخمس كما في قوله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين
 والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد) والاول
 كقوله (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة) وقوله (ان
 الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية) وقوله تعالى
 (وقل للذين أتوا الكتاب والاميين ءأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ)
 وليس أحد بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم الا من الذين أتوا الكتاب والاميين وكل أمة لم تكن
 من الذين أتوا الكتاب فهم من الاميين كالاميين من العرب ومن الخزر والصقالبة والهند والسودان

وغيرهم من الامم الذين لا كتاب لهم فهؤلاء كلهم أميون والرسول مبعوث اليهم كما بعث الى الاميين من العرب وقوله وقل للذين أوتوا الكتاب وهو انما يخاطب الموجودين في زمانه بعد النسخ والتبديل فدل على ان من دان بدين اليهود والنصارى فهو من الذين أوتوا الكتاب لا يختص هذا اللفظ بمن كانوا متمسكين به قبل النسخ والتبديل ولا فرق بين أولادهم وأولاد غيرهم فان أولادهم اذا كانوا بعد النسخ والتبديل ممن أوتوا الكتاب فكذلك غيرهم اذا كانوا كلهم كفارا وقد جعلهم الذين أوتوا الكتاب بقوله وقل للذين أوتوا الكتاب وهو لا يخاطب بذلك الا من بلغته رسالته لامن مات فدل ذلك على أن قوله وطعام الذين أوتوا الكتاب يتناول هؤلاء كلهم كما هو مذهب الجمهور من السلف والخلف وهو مذهب مالك وأبي حنيفة وهو المنصوص عن أحمد في عامة أجوبته لم يختلف كلامه الا في نصارى بني تغلب وآخر الروايتين عنه انهم تباع نسائهم وذبايحهم كما هو قول جمهور الصحابة وقوله في الرواية الاخرى لا تباع متابعه لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يكن لاجل النسب بل لكونهم لم يدخلوا في دين أهل الكتاب الا فيما يشتهونه من شرب الخمر ونحوه ولكن بعض التابعين ظن ان ذلك لاجل النسب كما نقل عن عطاء وقال به الشافعي ومن وافقه من أصحاب أحمد وفرعوا على ذلك فروعا كمن كان أحد أبويه كتابيا والآخر ليس بكتابي ونحو ذلك حتى لا يوجد في طائفة من كتب أصحاب أحمد الا هذا القول وهو خطأ على مذهبه مخالف لنصوصه لم يعلق الحكم بالنسب في مثل هذا البتة كما قد بسط في موضعه ولمعظ المشركين يذكر مفردا في مثل قوله (ولا تسكحوا المشركات حتى يؤمن) وهل يتناول أهل الكتاب فيه قولان مشهوران للسلف والخلف والذين قالوا بأنها نعم منهم من قال هي محكمة كابن عمر والجمهور الذين يبيعون نكاح الكتابيات كما ذكره الله في آية المائدة وهي متأخرة عن هذه ومنهم من يقول نسخ منها تحريم نكاح الكتابيات ومنهم من يقول بل هو مخصوص لم يرد باللفظ العام وقد أنزل الله تعالى بعد صلح الحديبية قوله (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) وهذا قد يقال انما نهي عن التمسك بالعصمة من كان متزوجا كافرا ولم يكونوا حينئذ متزوجين الا بمشركة وثنية فلم يدخل في ذلك الكتابيات

❦ فصل ❦ وكذلك لفظ الصالح والشهيد والصدوق يذكر مفردا فيتناول النبيين قال تعالى في حق الخليل (وآتيناه أجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين) وقال (وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين) وقال الخليل (رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين) وقال يوسف (توفني مسلما وألحقني بالصالحين) وقال سليمان (وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح المتفق على صحته لما كانوا يقولون في آخر صلاتهم السلام على الله قبل عباده السلام على فلان فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ان الله هو السلام فاذا قمنا أحدكم في الصلاة فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فاذا قالها أصابت كل عبد صالح لله في السماء والارض الحديث وقد يذكر الصالح مع غيره كقوله تعالى (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) قال

الزجاج وغيره الصالح القائم بحقوق الله وحقوق عباده ولفظ الصالح خلاف الفاسد فاذا أطلق فهو الذي صلح جميع أمره فلم يكن فيه شيء من الفساد فاستوت سريره وعلايته وأقواله وأعماله على ما يرضى ربه وهذا يتناول النبيين ومن دونهم ولفظ الصديق قد جعل هنا معطوفاً على النبيين وقد وصف به النبيين في مثل قوله (واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقاً نبياً • واذكر في الكتاب إدريس انه كان صديقاً نبياً) وكذلك الشهيد قد جعل هنا قرين الصديق والصالح وقد قال (وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق) ولما قيدت الشهادة على الناس وصفت به الامة كلها في قوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) فهذه شهادة مقيدة بالشهادة على الناس كالشهادة المذكورة في قوله (لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء) وقوله (واششهدوا شاهدين من رجالكم) وليست هذه الشهادة المطلقة في الآيتين ذلك كقوله (ويتخذ منكم شهداء)

﴿فصل﴾ وكذلك لفظ المعصية والفسوق والكفر فاذا أطلقت المعصية لله ورسوله دخل فيه الكفر والفسوق كقوله (ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً) وقال تعالى (وتلك عاد جعدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد) وأطلق معصيته للرسول بأنهم عصوا هوداً معصية تكذيب الجنس الرسل فكانت المعصية لجنس الرسل كمعصية من قال فكذبنا وقتلنا ما نزل الله من شيء ومعصية من كذب وتولى قال تعالى (لا يصلاها الا الاشقي الذي كذب وتولى) أي كذب بالخبر وتولى عن طاعة الامر وانما على الخلق أن يصدقوا الرسل فيما أخبروا ويطيعوهم فيما أمروا وكذلك قال في فرعون فكذب وعصى وقال عن جنس الكافر (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى) فالتكذيب للخبر والتولي عن الامر وانما الايمان تصديق الرسل فيما أخبروا وطاعتهم فيما أمروا ومنه قوله (كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول) ولفظ التولي بمعنى التولي عن الطاعة المذكور في مواضع من القرآن كقوله (ستدعون الى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فان طيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وان تنولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً) وذمه في غير موضع من القرآن من تولى دليل على وجوب طاعة الله ورسوله وان الامر المطلق يقتضي وجوب الطاعة وذم التولي عن الطاعة كما علق الذم بمطلق المعصية في مثل قوله (فعصى فرعون الرسول) وقد قيل ان التأبيد لم يذكر في القرآن الا في وعيد الكفار ولهذا (قال ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً) وقال فيمن يجور في المواريث (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) فهنا قيد المعصية بتعدي حدوده فلم يذكرها مطلقة وقال (وعصى آدم ربه فغوى) فهي معصية خاصة وقال تعالى (حتى اذا فشتم وتنزعتم في الامر وعصيت من بعد ما أراكم ما تحبون) فأخبر عن معصية واقعة معينة وهي معصية الرماة للنبي صلى الله عليه وسلم حيث أمرهم بلزوم نفرهم وان رأوا المسلمين قد انتصروا فعصى من أعصى منهم هذا الامر وجعل أميرهم يأمرهم لما رأوا الكفار منهزمين وأقبل من أقبل منهم على المغانم وكذلك قوله (وكره

اليكم الكفر والفسوق والعصيان) جعل ذلك ثلاث مراتب وقد قال (ولا يعصيتك في معروف) فقيده المعصية ولهذا فسرت بالنيابة قال ابن عباس وروي ذلك مرفوعاً وكذلك قال زيد بن أسلم لا تدعن وبلا ولا تخذشن وجهاً ولا تنشرن شهراً ولا تشقن ثوباً وقد قال بعضهم هو جميع ما يأمرهم به الرسول من شرائع الاسلام وأدلتها كما قاله أبو سليمان الدمشقي ولفظ الآية عام انهم لا يعصيته في معروف ومعصيته لا تكون الا في معروف فانه لا يأمر بمنكر لكن هذا كما قيل فيه دلالة على أن طاعة ولي الامر انما تلزم في المعروف كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال انما الطاعة في المعروف ونظير هذا قوله (استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحبيكم) وهو لا يدعو الا الى ذلك والتقيد هنا لا مفهوماً لانه لا يقع دعاء لغير ذلك ولا أمر بغير معروف وهذا كقوله تعالى (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصناً) فانهم اذا لم يردن تحصناً امتنعوا الاكراه ولكن في هذا بيان الوصف المناسب للحكم ومنه قوله تعالى (ومن بدع مع الله الهاً آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون) وقوله (ويقتلون النبيين بغير الحق) فالتقيد في جميع هذا للبيان والايضاح لا لخراج وصف آخر ولهذا يقول من يقول من النعانة الصفات في المعارف للتوضيح لا للتخصيص وفي النكرات للتخصيص به في المعارف التي لا تحتاج الى تخصيص كقوله (سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى) وقوله (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل) وقوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم والصفات في النكرات اذا تميزت تكون للتوضيح أيضاً ومع هذا فقد عطف المعصية على الكفر والفسوق في قوله (وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) ومعلوم أن الفاسق خاص أيضاً

﴿فصل﴾ ومن هذا الباب ظلم النفس فانه اذا أطلق جميع الذنوب فانها ظلم العبد نفسه قال تعالى (ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فاعنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تنبيذ) وقال تعالى (واذا قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باخذكم العجل فتوبوا الي بارئكم) وقال في قتل النفس (رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي) وقالت بلقيس (رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وقال آدم عليه السلام (ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) ثم قد يقرن ببعض الذنوب كقوله تعالى (والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا انفسهم) وقوله (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) وأما لفظ الظلم المطلق فيدخل فيه الكفر وسائر الذنوب قال تعالى (أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون) قال عمر بن الخطاب ونظراءهم وهذا ثابت عن عمر وروي ذلك عنه مرفوعاً وكذلك قال ابن عباس وأشباههم وكذلك قال قتادة والكلبي كل من عمل بمثل عملهم فاهل الجحيم مع أهل الجحيم وأهل الزنا مع أهل الزنا وعن الضحاك ومقاتل قرأهم من الشياطين كل كافر معه

شيطانه في سلسلة وهذا كقوله (واذا النفوس زوجت) قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الفاجر مع الفاجر
 والصالح مع الصالح قال ابن عباس وذلك حين يكون الناس أزواجا ثلاثة وقال الحسن وقتادة إلتحق كل
 امرئ بشيعته اليهودى مع اليهود والنصرانى مع النصاري وقال الربيع بن خثيم يحشر المرء مع صاحب عمله
 وهذا كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم لما قيل له الرجل يحب القوم ولما ياتى بهم قال المرء
 مع من أحب وقال الارواح جنود مجنونة فما تعارفت منها اثنتان وما تناكرت منها اختلفت وقال المرء على دين
 خليله فليتنظر أحدكم من يخالل وزوج الشيء نظيره وسمى النصف زوجا لتشابه أفراد كقوله (أثبتنا فيها من
 كل زوج كريم) وقال (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) قال غير واحد من المفسرين صنفين
 ونوعين مختلفين السماء والارض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والشتاء
 والصيف والجن والانس والكفر والايمان والسعادة والشقاوة والحق والباطل والذكر والانثى والنور
 والظلمة والخلو والمر وأشياء ذلك لعلكم تذكرون فتعلمون أن خالق الأزواج واحد وليس المراد انه
 يحشر معهم زوجاتهم مطلقاً فان المرأة الصالحة قد يكون زوجها فاجراً بل كافراً كامرأة فرعون وكذلك
 الرجل الصالح قد تكون امرأته فاجرة بل كافرة كامرأة نوح ولوط لكن ان كانت المرأة على دين زوجها
 دخلت في عموم الأزواج ولهذا قال الحسن البصري وأزواجهم المشركات فلا ريب أن هذه الآية تناولت
 الكفار كما دل عليه سياق الآية وقد تقدم كلام المفسرين انه يدخل فيها الزناة مع الزناة وأهل الخمر مع أهل
 الخمر وكذلك الأمر المروى إذ كان يوم القيامة قيل أين الظلمة وأعوانهم أو قال أشباههم فيجمعون في
 نوايت من نار ثم يقذف بهم في النار وقد قال غير واحد من السلف أعوان الظلمة من أعيانهم ولو أنه لاق لهم
 دواة أو يرى لهم قلماً ومنهم من كان يقول بل من يفصل نياهم من أعوانهم وأعوانهم هم من أزواجهم
 المذكورين في الآية فان المعين على البر والتقوى من أهل ذاك والمعين على الانم والعدوان من أهل ذاك
 قال تعالى (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها)
 والشافع الذي يعين غيره فيصير معه شفعاً بعد ان كان وترأ ولهذا فسرت الشفاعة الحسنة باعانة
 المؤمنين على الجهاد والشفاعة السيئة باعانة الكفار على قتال المؤمنين كما ذكر ذلك ابن جرير وأبو سليمان
 وفسرت الشفاعة الحسنة بشفاعة الانسان للانسان ليجتلب له نفعاً أو يخلصه من بلاء كما قال الحسن ومجاهد
 وقتادة وابن زيد فالشفاعة الحسنة إعانتة على خير يحبه الله ورسوله مع نفع من يستحق النفع ودفع الضرر
 عمن يستحق دفع الضرر عنه والشفاعة السيئة إعانتة على ما يكره الله ورسوله كالشفاعة التي فيها ظلم
 الانسان أو منع الاحسان الذي يستحقه وفسرت الشفاعة الحسنة بالدعاء للمؤمنين والسيئة بالدعاء عليهم
 وفسرت الشفاعة الحسنة بالاصلاح بين اثنين وكل هذا صحيح فالشافع زوج المشفوع له اذ المشفوع عنده
 من الخلق اما أن يعينه على بر وتقوى واما أن يعينه على إنم وعدوان وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا
 أتاه طالب حاجة قال لا يحباب اشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان نبيه ما شاء وتتمام الكلام يبين أن الآية
 وان تناولت الظالم الذي ظلم بكفره فهي أيضاً متناولة مادون ذلك وان قيل فيها وما يعبدون فقد ثبت

في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تمس عبد الدينار تمس عبد الدرهم تمس عبد القطيفة تمس عبد الخميصة تمس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش وثبت عنه في الصحيح أنه قال ما من صاحب كنز إلا جعل له كنزه يوم القيامة شجاعاً أقرع يأخذ بلهزمته أنا مالك أنا كنزك وفي لفظ الآخر له يوم القيامة شجاعاً أقرع يفر منه وهو يتبعه حتى يطوقه في عنقه وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (سيعلقون ما خلوا به يوم القيامة) وفي حديث آخر مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع يتبع صاحبه حيث مذهب وهو يفر منه هذا مالك الذي كنت تجل به فإذا رأى أنه لا بد له منه أدخل يده فيه فيقضها كما يقضم الفحل وفي رواية فلا يزال يتبعه فيلقمه يده فيقضها ثم يلقمه سائر جسده وقد قال تعالى في الآية الأخرى (والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكزنون) وقد ثبت في الصحيح وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحى عليها في نار جهنم فيجعل صفاً فيكوى بها جبينه وجنباه حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار في حديث أبي ذر بشر الكاذبين برضف يحمي عليها في نار جهنم فتوضع على حاملة ندى أحدهم حتى يخرج من نفث كتفيه ويوضع على نفث كتفيه حتى يخرج من حاملة نديه ينزل وتكوي الجباه والجنوب والظهر حتى يلتقي الحر في أجوافهم وهذا كما في القرآن وبدل على أنه بعد دخول النار فيكون هذا لمن دخل النار ممن فعل به ذلك أولاً في الموقف فهذا العالم لما منع الزكاة بمحشر مع أشباهه وماله الذي صار عبده من دون الله فيعذب به وإن لم يكن هذا من أهل الشرك الأكبر الذين يخلدون في النار ولهذا قال في آخر الحديث ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار فهذا بعد تعذيبه خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يدخل الجنة . . . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الشرك في هذه الأمة أخفى من ديب النمل قال ابن عباس وأصحابه كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق وكذلك قال أهل السنة كأحمد ابن حنبل وغيره كما سنذكره إن شاء الله وقد قال الله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا الها واحداً لا اله إلا هو سبحانه عما يشركون) وفي حديث عدي بن حاتم وهو حديث حسن طويل رواه أحمد وأترمذي وغيرهما وكان قد قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو نصراني فسمعه يقرأ هذه الآية قال فقلت له أنا لست نعبدكم قال ليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونهم قال فقلت بل قال فقلت لعبادتهم وكذلك قال أبو البختري أما إنهم لم يصلوا لهم ولو أمروهم أن يعبدوهم من دون الله ما أطاعوهم ولكن أمروهم فجعلوا حلال الله حرامه وحرامه حلاله فطاعوهم فكانت تلك الربوبية وقال الربيع بن أنس قلت لأبي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني إسرائيل قال كانت الربوبية إنهم وجدوا في كتاب الله ما أمروا به ونهوا عنه فقالوا لن نسبق أحبارنا بشيء فأمرونا به فآثمنا وما نهونا عنه انتهينا لقولهم فاستنصحو الرجال ونبدوا

كتاب الله وراء ظهورهم فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ان عبادتهم اياهم كانت في تحليل الحرام وتحريم الحلال لا انهم صلوا لهم وصاموا لهم ودعواهم من دون الله فهذه عبادة للرجال وتلك عبادة للاموال قد بينها النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكر الله تعالى ان ذلك شرك بقوله (لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) فهذا من الظلم الذي يدخل في قوله (احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله) فان هؤلاء الذين امرهم بهذاهم جميعاً معذبون وقال (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون) وانما يخرج من هذا من عبد مع كراهته لأن يعبد ويطاع في معصية الله فهم الذين سبقت لهم الحسنى كالسيح والعزير وغيرهما فاولئك مبعدون . . . واما من رضى بان يعبد ويطاع في معصية الله فهو مستحق للوعيد ولولم يأمر بذلك فكيف اذا امر وكذلك من امر غيره بان يعبد غير الله وهذا من أزواجهم فان أزواجهم قد يكونون رؤساء لهم وقد يكونون اتباعا لهم أزواجاً وأشياء لتشابههم في الدين وسياق الآية يدل على ذلك فانه سبحانه قال (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم) قال ابن عباس دلوههم وقال الضحاك مثله وقال ابن كيسان قدموهم والمعنى قودوهم كما يقود الهادي لمن يهديه ولهذا تسمى الاعناق الهوادي لانها تقود سائر البدن ويسمى أوائل الوحش الهوادي (وقفوهم انهم مسئولون ما ليكم لاتنصرون) أى كما كنتم تضرعون في الدنيا على الباطل (بل هم اليوم مستسلمون وأقبل بعضهم على بعض يتسائلون قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوماً طاغين فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فأغوبناكم انا كنا غاوين فانهم يومئذ في العذاب مشتركون انا كذلك نفعل بالجحيم انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون انا لنتاركو آلهتنا لشاعر مجنون) وقال تعالى (قل ادخلوا في ائمة قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت امة لعنت أخيها حتى اذا ادركوا فيها جميعاً قالت أحرهم اولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار قل لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت اولاهم لأحرهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكذبون) وقال تعالى (واذا يحتاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد) وقال تعالى (ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لو لا أنتم لكاننا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا نحن صددينكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمرونا ان نكفر بالله ونجعل له أنداداً وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون) وقوله في سياق الآية (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون) ولا ريب انها تتناول الشركين الأصغر والاكبر وتتناول أيضاً من استكبر عما أمره الله به من طاعته فان ذلك من تحقيق قول لا اله الا الله فان اله هو المستحق للعبادة فكل ما يعبد به الله فهو من تمام تأله العباد له فمن استكبر عن بعض عبادته

سامعاً مطيعاً في ذلك لغيره لم يحقق قول لا اله الا الله في هذا المقام وهؤلاء الذين اتخذوا اخبارهم
 ورجالهم ارباباً حيث اطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله يكونون على وجهين أحدهما
 أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتعبنهم على التبديل فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله
 اتباعاً لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر وقد جعله الله ورسوله شركاً وان لم يكونوا
 يصلون لهم ويسجدون لهم فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه انه خلاف الدين واعتقد
 ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله مشركاً مثل هؤلاء الثاني أن يكون اعتقادهم وايمانهم بتجريم الحلال
 وتحليل الحرام ثابتاً لكنهم اطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها
 معاصي فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب كما قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
 أنه قال إنما الطاعة في المعروف وقال على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وأوكره ما لم يؤمر بمعصية
 وقال لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وقال ومن أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه ثم ذلك المحرم للحلال
 والمحلل للحرام ان كان مجتهداً قصده اتباع الرسول لكن خفي عليه الحق في نفس الامر وقد اتقى الله
 ما استطاع فهذا لا يؤاخذ الله بخطئه بل ينبيه على اجتهاده الذي أطاع به ربه ولكن من علم أن هذا خطأ
 فيما جاء به الرسول ثم اتبعه على خطأ وعدل عن قول الرسول فهذا له نصيب من هذا الشرك الذي
 ذمه الله لاسيما ان تبع في ذلك هواً ونصرة باللسان واليد مع علمه بأنه مخالف للرسول فهذا شرك يستحق
 صاحبه العقوبة عليه ولهذا اتفق العلماء على أنه اذا عرف الحق لا يجوز تقليد أحد في خلافه وانما تنازعوا
 في جواز التقليد للقادر على الاستدلال وان كان عاجزاً عن اظهار الحق الذي يعلمه فهذا يكون كمن
 عرف أن دين الاسلام حق وهو بين النصاري فاذا فعل ما يقدر عليه من الحق لا يؤاخذ بما عجز عنه
 وهؤلاء كالنجاشي وغيره وقد أنزل الله في هؤلاء آيات من كتابه كقوله تعالى (وان من أهل الكتاب
 لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم) وقوله (ومن قوم موسى أمة يهدون الى الحق وبه يعدلون)
 وقوله (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) وأما ان
 كان المتبع للمجتهد عاجزاً عن معرفة الحق على التفصيل وقد فعل ما يقدر عليه مثله من الاجتهاد في
 التقليد فهذا لا يؤاخذ ان أخطأ كما في القبلة وأما ان قلد شخصاً دون نظيره بمجرد هواً ونصرة بيده
 ولسانه من غير علم أن معه الحق فهذا من أهل الجاهلية وان كان متبوعه مصيياً لم يكن عمله صالحاً وان
 كان متبوعه مخطئاً كان آمناً كمن قال في القرآن برأيه فان أصاب فقد أخطأ وان أخطأ فليتبوأ مقعده
 من النار وهؤلاء من جنس مانع الزكاة الذي تقدم فيه الوعيد ومن جلس عبد الدينار والدرهم والقطيفة
 والخبيصة فان ذلك لما أحب المال حباً منعه عن عبادة الله وطاعته صار عبداً له وكذلك هؤلاء فيكون
 فيه شرك أصغر ولهم من الوعيد بحسب ذلك وفي الحديث أن يسير الرياء شرك وهذا مبسوط عند النصوص
 التي فيها اطلاق الكفر والشرك على كثير من الذنوب . . . والقصود هنا أن الظالم المطلق يتناول الكفر
 لا يختص بالكفر بل يتناول مادونه أيضاً وكل بحسبه كلفظ الذنوب والخطيئة والمعصية فان هذا يتناول

الكفر والفسوق والعصيان كما في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم قال أن تجعل لله نداً وهو خلقك قلت نعم أي قال نعم أن تقتل ولدك خشية أن يعلم معك قلت نعم أي قال نعم أن تزني بجارية جارك فانزل الله تعالى (والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً الا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب الى الله متاباً) فهذا الوعيد بتمامه على الثلاثة ولكل عمل قسط منه فلو أشرك ولم يقتل ولم يزن كان عذابه دون ذلك ولو زني وقتل ولم يشرك كان له من هذا العذاب نصيب كما في قوله (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً) ولم يذكر أبداً وقد قيل ان لفظ التأبيد لم يحى الا مع الكفر وقال الله تعالى (ويوم بعض الظالم على يديه يقول باليئنى اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولاً) فلا ريب أن هذا يتناول الكافر الذي لم يؤمن بالرسول . . . وسبب نزول الآية كان في ذلك فان الظلم المطلق يتناول ذلك ويتناول ما دونه بحسبه فمن حال مخلوقاً في خلاف أمر الله ورسوله كان له من هذا الوعيد نصيب كما قال تعالى (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) وقال تعالى (اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب) قال الفضيل ابن عياض حدثنا الليث عن مجاهد المودات التي كانت بينهم لغير الله فان الخلة تحاب وتوادد ولهذا قال المرء على دين خليله فان المتحابين يحب أحدهما ما يحب الآخر بحسب الحب فاذا اتبع أحدهما صاحبه على محبته ما يبغضه الله ورسوله نقص من دينهما بحسب ذلك الى أن ينتهي الى الشرك الا كبر قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دونه أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) والذين قدموا محبة المال الذي كنزوه والمخلوق الذي اتبعوه على محبة الله ورسوله كان فيهم من الظلم والشرك بحسب ذلك فلهذا ألزمهم محبوبهم كما في الحديث يقول الله تعالى أليس عدلا مني أن أولى كل رجل منكم ما كان يتولاه في الدنيا وقد ثبت في الصحيح يقول لينذهب كل قوم الى ما كانوا يعبدون من كان يعبد الشمس الشمس ومن كان يعبد القمر القمر ومن كان يعبد الطواغيت الطواغيت ويمثل للنصارى المسيح وللهود عزير فيتبع كل قوم ما كانوا يعبدون وتبقى هذه الامة فيها منافقوها كما سيأتي هذا الحديث ان شاء الله فهؤلاء أهل الشرك الا كبر . . . وأما عبيد المال الذي كنزوه وعبيد الرجال الذين أطاعوهم في معاصي الله فأولئك يعذبون عذاباً دون عذاب أولئك المشركين إما في عرصات القيامة وإما في جهنم ومن أحب شيئاً دون الله عذب به وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون) فالكفر المطلق هو الظلم المطلق ولهذا لا شفيع لاهله يوم القيامة كما نفي الشفاعة في هذه الآية وفي قوله (وأندبرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين مالا للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور) وقال (فككبوا فيها هم والغاؤون

وجنود ابليس أجمعون قالوا وهم فيها يختصمون نال الله ان كنا في ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا الا الجرمون قال لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة فنتكون من المؤمنين (وقوله نسويكم لم يريدوا به انهم جعلوهم مساوين لله من كل وجه فان هذا لم يقله أحد من بني آدم ولا نقل عن قوم قط من الكفار انهم قالوا ان هذا العالم له خالقان متماثلان حتى المجوس القائلين بالاصلين النور والظلمة متفقون على أن النور خير يستحق أن يعبد ويحمد وأن الظلمة شريرة تستحق أن تذم وتلعن واختلفوا هل الظلمة محدثة أو قديمة على قولين وبكل حال لم يجعلوها مثل النور من كل وجه وكذلك مشركو العرب كانوا متفقين على أن أربابهم لم تشارك الله في خلق السموات والارض بل كانوا مقربين بان الله وحده خلق السموات والارض وما بينهما كما أخبر الله عنهم بذلك في غير آية كقوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنني يؤفكون الله يسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شئ عليم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأجيبا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) وقال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهادا وجعل لكم فيها سبلأا عملكم تنهدون والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشربناه بلدة ميتاً كذلك تخرجون والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والالعام ما تركبون لتستقروا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استنويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرين وإنا إلى ربنا لنقبلون) وهذه الصفات من كلام الله تعالى ليست من تمام جوابهم وقال تعالى (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله) الآيات وقال تعالى (قل أرأيتم ان أنا كم عذاب الله أو أنتم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون) وكذلك قوله (الله خير أم ما تشركون أم أن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حنائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أم له مع الله بل هم قوم يعدلون أم من جعل الارض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أم له مع الله) أي اله مع الله فعل هذا وهذا استفهام انكار وهم مقرون بانه لم يفعل هذا إله آخر مع الله ومن قال من المفسرين ان المراد هل مع الله إله آخر فقد غلط فانهم كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرى كما قال تعالى (قل أنتم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد) وقال تعالى (فما أغنت عنهم آلهتهم الذين يدعون من دون الله من شئ) وقال تعالى عنهم (أجعل الآلهة الهاً واحداً ان هذا لشيء عجاب) وكانوا معترفين بان آلهتهم لم تشارك الله في خلق السموات والارض ولا خلق شئ بل كانوا يتخذونهم شفعا ووسائط كما قال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقال عن صاحب يس (ومالي لأعبد الذي فطرني واليه ترجعون) اتخذوا من دونه آلهة إن يردني الرحمن بضر لا تنف عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقدون)

وقال تعالى (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) وقال تعالى (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مالك من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون) وقال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) فتنبى عما سواه كل ما يتعلق به المشركون فتنبى أن يكون غيره ملك أو قسط من الملك أو يكون عوناً لله ولم يبق الا الشفاعة فبين انها لا تنفع الا لمن أذن له الرب كما قال تعالى (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) وقال تعالى عن الملائكة (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وقال (ولم من ملك في السموات لا تنفى شفاعتهم شيئاً الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) فهذه الشفاعة التى يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاه القرآن وأما ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم أنه يكون فأخبر انه يأتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة أولاً فإذا سجد وحمد ربه يحمده ويفتحها عليه يقال له أي محمد إرفع رأسك وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع فيقول أي رب أمتي فيجده له حدا فيدخلهم الجنة وكذلك في الثانية وكذلك في الثالثة قال أبو هريرة من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال من قال لا إله الا الله خالصاً من قلبه فتلك الشفاعة هي لأهل الاخلاص باذن الله ليست لمن أشرك بالله ولا تكون الا باذن الله . . . وحقيقته ان الله هو الذى يتفضل على أهل الاخلاص والتوحيد فيغفر لهم بواسطة دعاء الشافع الذى أذن له أن يشفع ليكرمه بذلك وينال المقام المحمود الذى يغبطه به الاولون والآخرون صلى الله عليه وسلم كما كان في الدنيا يستسقى لهم ويدعو لهم وتلك شفاعة منه لهم فكان الله يجيب دعاءه وشفاعته . . . وإذا كان كذلك فالظلم ثلاثة أنواع فالظلم الذى هو شرك لا شفاعة فيه وظلم الناس بعضهم بعضاً لا بد فيه من إعطاء المظلوم حقه لا يسقط حق المظلوم لا بشفاعة ولا غيرها ولكن قد يعطى المظلوم من الظالم كما قد يغفر للظالم نفسه بالشفاعة فالظالم المطلق ماله من شفيع مطاع وأما الموحد فلم يكن ظالماً مطلقاً بل هو موحد مع ظلمه لنفسه وهذا انما نفعه في الحقيقة اخلاصه لله فيه صار من أهل الشفاعة ومقصود القرآن بنفى الشفاعة نفى الشرك وهو ان أحدا لا يعبد الا الله ولا يدعو غيره ولا يسأل غيره ولا يتوكل على غيره لافى شفاعة ولا غيرها فليس له أن يتوكل على أحد في أن يرزقه وان كان الله يأتيه برزقه بأسباب كذلك نيس له أن يتوكل على غير الله في أن يغفر له ويرحمه في الآخرة وان كان الله يغفر له ويرحمه بأسباب من شفاعة وغيرها فالشفاعة التى نفاها القرآن مطلقاً كان فيها شرك وتلك منتفية مطلقاً ولهذا أثبت الشفاعة باذنه في مواضع وتلك قد بين الرسول صلى الله عليه وسلم انها لا تكون الا لأهل التوحيد والاخلاص فهي من التوحيد ومستحقة أهل التوحيد . . . وأما الظلم المقيّد فقد يختص بظلم الانسان نفسه وظلم الناس بعضهم بعضاً كقول آدم عليه السلام وحواء (ربنا ظلمنا أنفسنا) وقول موسى (رب اني ظلمت نفسي) وقوله تعالى (والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم) لكن قول آدم وموسى اخبار عن واقع لاعموم فيه وذلك قد عرف والله الحمد

انه ليس ككفر أو أما قوله (والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم) فهو نكرة في سياق الشرط يع
كل ما فيه ظلم الانسان نفسه وهو اذا أشرك ثم تاب تاب الله عليه وقد تقدم ان ظلم الانسان لنفسه يدخل
فيه كل ذنب كبير أو صغير مع الاطلاق وقال تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فهم
ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) فهذا ظلم لنفسه مقرون بغيره فلا يدخل فيه الشرك
الاكبر وفي الصحيحين عن ابن مسعود انه لما أنزلت هذه الآية (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم)
شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا أينما لم يظلم نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما
هو الشرك ألم تسمعون الى قول العبد الصالح ان الشرك لظلم عظيم والذين شق ذلك عليهم ظنوا ان الظلم
المشروط هو ظلم العبد نفسه وأنه لا يكون الا من والاهتداء الا لمن لم يظلم نفسه فشق ذلك عليهم فبين
النبي صلى الله عليه وسلم لهم ما دلهم على ان الشرك ظلم في كتاب الله تعالى وحينئذ فلا يحصل الا من
والاهتداء الا لمن لم يلبس ايمانه بهذا الظلم ومن لم يلبس ايمانه به كان من أهل الايمان والاهتداء كما كان
من أهل الاصفاء في قوله (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الى قوله جنات عدن يدخلونها)
وهذا لا ينفى أن يؤخذ أحدهم بظلم نفسه اذا لم يتب كما قال تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن
يعمل مثقال ذرة شراً يره) وقال تعالى (من يعمل سوءاً يجز به) وقد سأل أبو بكر النبي صلى الله
عليه وسلم عن ذلك فقال يا رسول الله وأينما لم يعمل سوءاً فقال يا أبا بكر أأنت تنصب أأنت تحزن أأنت
تصيبك اللاؤاء فذلك ما تحزون منه فبين ان المؤمن الذي اذا تاب دخل الجنة قد يجزى ببشائه في
في الدنيا بالمصائب التي تصيبه كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه قال مثل المؤمن كمثل الخمرة
من الزرع فيها الرياح تقومها تارة وتميلها أخرى ومثل المنافق كمثل شجرة الارز لا تزال ثابتة على أصلها
حتى يكون انجمافها مرة واحدة وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما يصيب المؤمن من
وصب ولا نصب ولا هم ولا حزن ولا غم ولا أذى حتى الشوكة يشاكها الا كفر بها من خطاياها وفي
حديث سعد بن أبي وقاص قلت يا رسول الله أى الناس أشد بلاء قال الانبياء ثم الصالحون ثم الامثل
فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلابة زبد في بلاءه وان كان في دينه رقة خفف
عنه ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الارض وليس عليه خطيئة رواء أحمد والترمذي وغيرها وقال
المرض حطة يحط الخطايا عن صاحبه كما تحط الشجرة اليابسة ورقها والاحاديث في هذا الباب كثيرة فمن
سلم من أجناس الظلم الثلاثة كان له الايمان التام والاهتداء التام ومن لم يسلم من ظلمه نفسه كان له الايمان
والاهتداء مطلقاً بمعنى انه لا بد أن يدخل الجنة كما وعد بذلك في الآية الأخرى وقد هدام الى الصراط
المستقيم الذي تكون عاقبته فيه الى الجنة ويحصل له من نقص الايمان والاهتداء بحسب ما نقص من ايمانه
بظلمه نفسه وليس مراد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله انما هو الشرك أن من لم يشرك الشرك الاكبر
يكون له الايمان التام والاهتداء التام فان أحاديثه الكثيرة مع نصوص القرآن تبين ان أهل الكبار
معرضون للخوف لم يحصل لهم الايمان التام ولا الاهتداء التام الذي يكونون به مهتدين الى الصراط

المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين من غير عذاب يحصل لهم بل معهم أصل الاهتداء الى هذا الصراط ومعهم أصل نعمة الله عليهم ولا بد لهم من دخول الجنة وقول النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو الشرك ان أراد به الشرك الأكبر فقصوده ان من لم يكن من أهله فهو آمن مما وعد به المشركون من عذاب الدنيا والآخرة وهو مهتد الى ذلك وان كان مراده جنس الشرك فيقال ظلم العبد نفسه كبخله لحب المال ببعض الواجب هو شرك أصغر وحبه ما يفيضه الله حق يكون يقدم هواه على محبة الله شرك أصغر ونحو ذلك فهذا صاحبه فاته من الايمان والاهتداء بحسبه ولهذا كان السلف يدخلون الذنوب في هذا الظلم بهذا الاعتبار

(فصل ومن هذا الباب) لفظ الصلاح والفساد فاذا أطلق الصلاح تناول جميع الخير وكذلك الفساد يتناول جميع الشر كما تقدم في اسم الصالح وكذلك اسم المصالح والمفسد قال تعالى في قصة موسى (أريد ان تقتلني كما قتلت نفساً بالامس ان تريد الا أن تكون جباراً في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين) وقال موسى لآخيه هارون اخلفني في قومي واصلم ولا تتبع سبيل المفسدين) وقال تعالى (واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) والضمير عائد على المنافقين في قوله (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) وهذا مطلق يتناول من كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومن سيكون بعدهم ولهذا قال سلمان الفارسي انه عني بهذه الآية قوم لم يكونوا خلقوا حين نزولها وكذا قال السدي عن أشياخه الفساد الكفر والمعاصي وعن مجاهد ترك امتثال الاوامر واجتناب النواهي والقولان معناها واحد وعن ابن عباس الكفر وهذا معنى قول من قال النفاق الذي صافوا به الكفار وأطلعواهم على أسرار المؤمنين وعن أبي العباس ومقاتل العمل بالمعاصي وهذا أيضاً عام كالاولين وقولهم انما نحن مصلحون فسر بانكار ما قرءوا به أي إنا انما نفعل ما أمرنا به الرسول وفسر بان الذي نفعله صلاح ونقصه به الصلاح وكلا القولين يروي عن ابن عباس وكلاهما حق فانهم يقولون هذا وهذا يقولون الاول لمن لم يطلع على بواطنهم ويقولون الثاني لانفسهم ولم يطلع على بواطنهم لكن الثاني يتناول الاول فان من جملة أفعالهم أسرار خلاف ما يظهرون وهم يرون هذا صلاحاً قال مجاهد أرادوا ان مصافة الكفار صلاح لافساد وعن السدي ان فعلنا هذا هو الصلاح وتصديق محمد فساد وقيل أرادوا ان هذا صلاح في الدنيا فان الدولة ان كانت للنبي صلى الله عليه وسلم فقد آمنوا بمتابعته وان كانت للكفار فقد آمنواهم بمصافتهم ولأجل القولين قيل في قوله (الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) أي لا يشعرون ان ما فعلوه فساد لاصلاح وقيل لا يشعرون ان الله يطلع نبيه على فسادهم والقول الاول يتناول الثاني فهو المراد كما يدل عليه لفظ الآية وقال تعالى (ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) وقال (قال موسى ماجئتم به السحرة ان الله سيبيطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين) وقول يوسف (توفني مسلماً وألحقني بالصالحين) وقد يقرن أحدهما بما هو أخص منه كقوله (واذا تولى سمي في الارض ليفسد فيها وبهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد)

قيل بالكفر وقيل بالظلم وكلاهما صحيح وقال تعالى (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً) وقد تقدم قوله تعالى (ان فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين) وقال تعالى (من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً) وقتل النفس الأول من جملة الفساد لكن الحق في القتل لولي المقتول وفي الردة والحاربة والزنا الحق فيها لعموم الناس ولهذا يقال هو حق لله ولهذا لا يعني عن هذا كما يعني عن الأول بأن فساده عام قال تعالى (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) الآية وقيل سبب نزول هذه الآية العرنيون الذين ارتدوا وقتلوا وأخذوا المال وقيل سببه ناس معاهدون نقضوا العهد وحاربوا وقيل المشركون فقد قرن بالمرتدين وناقضى العهد المحاربين وجمهور السلف والخلف على أنها تتناول قطاع الطريق من المسلمين والآية تتناول ذلك كله ولهذا كان من تاب قبل القدرة عليه من جميع هؤلاء فإنه يسقط عنه حد الله تعالى وقرن الصلاح والاصلاح بالايمان في مواضع كثيرة كقوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات فن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ومعلوم ان الايمان أفضل الاصلاح وأفضل العمل الصالح كما جاء في الحديث الصحيح أنه قيل يا رسول الله أى الاعمال أفضل قال ايمان بالله وقال تعالى (واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى) وقال (الا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) وقال في القذف (الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم) وقال في السارق (فمن تاب من بعد ظمه وأصلح فان الله يتوب عليه) وقال (واللذان يأتياها منكُم فآذوهما فان تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما) ولهذا شرط الفقهاء في أحد قولهم في قبول شهادة القاذف أن يصاح وقدروا ذلك بسنة كما فعل عمر بن الخطاب بن عسل لما أجله سنة وبذلك أخذ أحمد في توبة الداعي الى البدعة انه يؤجل سنة كما أجل عمر صبيغ بن عسل

﴿ فصل ﴾ فان قيل ما ذكر من تنوع دلالة اللفظ بالاطلاق والتقييد في كلام الله ورسوله وكلام كل أحد بين ظاهر لا يمكن دفعه لكن نقول دلالة لفظ الايمان على الاعمال مجاز فقوله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أغلاها قول لا اله الا الله وأدناها إمطة الاذى عن الطريق مجاز وقوله الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الى آخره حقيقة وهذا عمدة المرجئة والجهمية والكرامية وكل من لم يدخل الاعمال في اسم الايمان .. ونحن نجيب بجوابين أحدهما كلام عام في لفظ الحقيقة والمجاز والثاني ما يختص بهذا الموضع فبتقدير أن يكون أحدهما مجازاً ماهو الحقيقة من ذلك من المجاز هل الحقيقة هو المطلق أو المقيّد أو كلاهما حقيقة حتى يعرف أن لفظ الايمان اذا أطلق على ماذا يحمل .. فيقال أولاً تقسيم اللفظ الدالة على معانيها الى حقيقة ومجاز وتقسيم دلالتها أو المعاني المدلول عليها ان استعمال لفظ الحقيقة والمجاز في المدلول أوفى الدلالة فان هذا كله قد يقع في كلام المتأخرين

ولكن المشهور أن الحقيقة والجاز من عوارض الالفاظ وبكل حال فهذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة لم يتكلم به أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم كمالك والثوري والاوزاعي وأبي حنيفة والشافعي بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو كالخليل وسيبويه وأبي عمرو بن العلاء ونحوهم وأول من عرف أنه تكلم بلفظ الجواز أبو عبيدة معمر ابن المثنى في كتابه ولكن لم يعن بالجواز ما هو قسم الحقيقة وإنما عني بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية .. وهذا قال من قال من الأصوليين كابن الحسن البصري وأمثاله أنه يعرف الحقيقة من الجواز بطرق منها نص أهل اللغة على ذلك بأن يقولوا هذا حقيقة وهذا مجز قد تكلم بلا علم فانه ظن أن أهل اللغة قالوا هذا ولم يقل ذلك أحد من أهل اللغة ولا من سائر الأئمة وعلمائها وإنما هذا اصطلاح حادث والغالب أنه كان من جهة المعتزلة ونحوهم من المتكلمين فانه لم يوجد هذا في كلام أحد من أهل الفقه والأصول والتفسير والحديث ونحوهم من السلف وهذا الشافعي هو أول من جرد الكلام في أصول الفقه لم يقسم هذا التقسيم ولا تكلم بلفظ الحقيقة والجاز وكذلك محمد بن الحسن له في المسائل المبجلة على العربية كلام معروف في الجامع الكبير وغيره ولم يتكلم بلفظ الحقيقة والجاز وكذلك سائر الأئمة لم يوجد بلفظ الجواز في كلام أحد منهم إلا في كلام أحمد بن حنبل فانه قال في كتاب الرد على الجهمية في قوله أنا ونحن ونحو ذلك في القرآن هذا من مجاز اللغة يقول الرجل أنا سنعطيك أنا سنفعل فذكر أن هذا من مجاز اللغة وبهذا احتج على مذهبه من أصحابه من قال أن في القرآن مجازاً كلفاض أبي يعلى وابن عقيل وأبي الخطاب وغيرهم وآخرون من أصحابه منعوا أن يكون في القرآن مجاز كآبي الحسن الجزري وأبي عبيد الله بن حامد وأبي الفضل التميمي بن أبي الحسن التميمي وكذلك منع أن يكون في القرآن مجاز محمد بن جرير منذر^(١) وغيره من المالكية ومنع منه داود بن علي وابنه أبو بكر ومنذر بن سعيد البلوطي وصنف فيه مصنفاً وحكي بعض الناس عن أحمد في ذلك روايتين وأما سائر الأئمة فلم يقل أحد منهم ولا من قدماء أصحاب أحمد أن في القرآن مجازاً لأمالك ولا الشافعي ولا أبو حنيفة فان تقسيم الالفاظ الى حقيقة ومجاز إنما اشتهر في المائة الرابعة وظهرت أوائله في المائة الثالثة وما علمته موجوداً في المائة الثانية إلا أن يكون في أواخرها والذين أنكروا أن يكون أحد أو غيره نطقوا بهذا التقسيم قالوا أن معنى قول أحمد من مجاز اللغة أي مما يجوز في اللغة أي يجوز في اللغة أن يقول الواحد العظيم الذي له أعوان نحن فعلنا كذا ونفعل كذا ونحو ذلك قالوا ولم يرد أحمد بذلك أن اللفظ يستعمل في غير ما وضع له .. وقد أنكروا طائفة أن يكون في اللغة مجاز لافي القرآن ولا غيره كأبي اسحق الاسفرائيني .. وقال المنازعون له النزاع معه لفظي فانه إذا سلم في اللغة لفظاً مستعملاً في غير ما وضع له لا يدل على معناه الا بقريضة فهذا هو الجواز وإن لم تسمه مجازاً فيقول من ينصره أن الذين قسموا اللفظ الى حقيقة ومجاز قالوا الحقيقة هو اللفظ المستعمل في ما وضع له والجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له كلفظ الاسد

والحمار اذا اريد بهما البهيمة أو اريد بهما الشجاع والبلبد وهذا التقسيم والتعديد يستلزم أن يكون اللفظ قد وضع أولا لمعنى ثم بعد ذلك قد يستعمل في موضوعه وقد يستعمل في غير موضوعه ولهذا كان المشهور عند أهل التقسيم أن كل مجاز فلا بد له من حقيقة وليس لكل حقيقة مجاز فاعترض عليهم بعض متأخريهم وقال اللفظ الموضوع قبل الاستعمال لاحقيقة ولا مجاز فاذا استعمل في غير موضوعه فهو مجاز لاحقيقة له وهذا كله انما يصح ان لو علم ان الالفاظ العربية وضعت أولا لمعان ثم بعد ذلك استعملت فيها فيكون لها وضع متقدم على الاستعمال وهذا انما صح على قول من يجعل اللغات اصطلاحية فيدعى ان قوما من العقلاء اجتمعوا واصطلحوا على أن يسموا هذا بكذا وهذا بكذا ويجعل هذا عاما في جميع اللغات وهذا القول لا نعرف أحدا من المسلمين قاله قبل أبي هاشم بن الجبائي فانه وأبا الحسن الأشعري وكلاهما قرأ على أبي علي الجبائي لكن الأشعري رجع عن مذهب المعتزلة وخالفهم في القدر والوعيد وفي الاسماء والاحكام وفي صفات الله تعالى وبين من تناقضهم وفساد قولهم ما هو معروف عنه فتنازع الأشعري وأبو هاشم في مبدأ اللغات فقال أبو هاشم هي اصطلاحية وقال الأشعري هي توقيفية ثم خاض الناس بعدهما في هذه المسئلة فقال آخرون بعضها توقيفية وبعضها اصطلاحية وقال فريق رابع بالوقف . . . وانقصود هنا انه لا يمكن أحدا أن ينقل عن العرب بل ولا عن أمة من الأمم انه اجتمع جماعة فوضعوا جميع هذه الاسماء الموجودة في اللغة ثم استعملوها بعد الوضع وانما المعروف المنقول بالتواتر استعمال هذه الالفاظ فيما عنوه بها من المعاني فان ادعى مدع انه يعلم وضعا يتقدم ذلك فهو مبطل فان هذا لم ينقله أحد من الناس ولا يقال نحن نعلم ذلك بالدليل فانه ان لم يكن اصطلاح متقدما لم يمكن الاستعمال . . . قيل ليس الامر كذلك بل نحن نحمد ان الله يلم الحيوان من الاصوات ما به يعرف بعضها مراد بعض وقد سمي ذلك منطقا وقولا في قول سيبان (علمنا منطقي الطير) وفي قوله (قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) وفي قوله (يا جبال أوبي معه والطير) وكذلك الآدميون فلم يولد اذا ظهر منه التمييز سمع أبويه أو من يريه ينطق باللفظ ويشير الى المعنى فصار يفهم ان ذلك اللفظ يستعمل في ذلك المعنى أي أراد المتكلم به ذلك المعنى ثم هذا يسمع انظما بعد لفظ حتى يعرف لغة القوم الذين نشأ بينهم من غير أن يكونوا قد اصطالحوا معه على وضع متقدم بل ولا أوقفوه على معاني الاسماء وان كان أحيانا قد يسأل عن مسمى بعض الاشياء فيوقف عليها كما يترجم للرجل اللغة التي لا يعرفها فيوقف على معاني ألفاظها وان باشر أهلها مدة علم ذلك بلا توقيف من أحدهم نعم قد يضع الناس الاسم لما يحدث مما لم يمكن من قبلهم يعرفه فيسميه اسما اما متقولا واما مرتجلا وقد يكون المسمى واحدا لم يصطلح مع غيره وقد يستوون فيما يسمونه وكذلك قد يحدث للرجل آلة من صناعة أو يصنف كتابا أو يبنى مدينة ونحو ذلك فيسميه باسم لانه ليس من الاجناس المبرأة حتى يكون له اسم في اللغة العامة وقد قال الله تعالى (الرحمن علم القرآن خالق الانسان علمه البيان) وقالوا أنصفنا الله الذي أعطاك كل شيء) وقال (والذي خالق فسوى والذي قدر فهدى) فهو سبحانه يلم الانسان المنطق كما يلم غيره وهو سبحانه اذا كان قد علم آدم الاسماء كلها

وعرض المسميات على الملائكة كما أخبر بذلك في كتابه فتعجبوا فلم يعلموا أنه لم يعلم آدم جميع اللغات التي يتكلم بها جميع الناس الى يوم القيامة وان تلك اللغات اتصلت الى أولاده فلا يتكلمون الا بها فان دعوى هذا كذب ظاهر فان آدم عليه السلام انما ينقل عنه بنوه وقد أغرق الله عام الطوفان جميع ذريته الا من في السفينة وأهل السفينة انقطع ذريتهم الا أولاد نوح ولم يكونوا يتكلمون بجميع ما تكلمت به الامم بعدهم فان اللغة الواحدة كالفارسية والعربية والرومية والتركية فيها من الاختلاف والانواع مالا يحصىه الا الله والعرب أنفسهم لكل قوم لغات لا يفهمها غيرهم فكيف يتصور أن ينقل هذا جميعه عن أولئك الذين كانوا في السفينة وأولئك جميعهم لم يكن لهم نسل وانما النسل لنوح وجميع الناس من أولاده وهم ثلاثة سام وحام ويافت كما قال تعالى (وجعلنا ذريته هم الباقين) فلم يجعل باقياً الا ذريته وكما روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم أن أولاده ثلاثة رواه أحمد وغيره ومعلوم أن الثلاثة لا يمكن أن ينطقوا بهذا كله ويمتنع نقل ذلك عنهم فان الذين يعرفون هذه اللغة لا يعرفون هذه وإذا كان الناقل ثلاثة فهم قد علموا أولادهم وأولادهم علموا أولادهم ولو كان كذلك لاتصلت ونحن نجد بنى الاب الواحد يتكلم كل قبيلة منهم بلغة لا تعرفها الاخرى والاب الواحد لا يقل انه علم أحد ابنه لغة وابنه الآخر لغة فان الاب قد لا يكون له الا ابناء واللغات في أولاده أضعاف ذلك والذي أجرى الله عليه عادة بنى آدم انهم انما يعلمون أولادهم لغتهم التي يخاطبونهم بها أو يخاطبهم بها غيرهم فاما لغات لم يخلق الله من يتكلم بها فلا يعلمونها أولادهم وأيضاً فانه يوجد بنو آدم يتكلمون بلفاظ ماسمعوها قط من غيرهم والعلماء من المفسرين وغيرهم لهم في الاسماء التي علمها آدم قولان معروفان عن السلف . . أحدهما انه انما علمه أسماء من يعقل واحتجوا بقوله (ثم عرضهم على الملائكة) قالوا وهذا الضمير لا يكون الا لمن يعقل وملا يعقل يقال فيها علمها ولهذا قال أبو العالية علمه أسماء الملائكة لانه لم يكن حينئذ من يعقل الا الملائكة ولا كان ابليس قد انفصل عن الملائكة ولا كان له ذرية وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم علمه أسماء ذريته وهذا يناسب الحديث الذي رواه الترمذي ومحمده عن النبي صلى الله عليه وسلم أن آدم سأل ربه أن يري صور الانبياء من ذريته فرآهم فرأى فيهم من يبص فقال يارب من هذا قال ابنك داود فيكون قد أراه صور ذريته أو بعضهم وأسماءهم وهذه أسماء أعلام لأجناس . . والثاني ان الله علمه أسماء كل شيء وهذا قول الاكثرين كابن عباس وأصحابه قال ابن عباس علمه حتى الفسوة والفسية والقصة والقصة أراد أسماء الاعراض والاعيان مكبرها ومصغرها والدليل على ذلك ما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في حديث الشفاعة ان الناس يقولون يا آدم أنت أبو البشر خالقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وعلمك أسماء كل شيء وأيضاً قوله الاسماء كلها لفظ عام مؤكداً فلا يجوز تخصيصه بالدعوى وقوله ثم عرضهم على الملائكة لانه اجتمع من يعقل ومن لا يعقل فغلب من يعقل كما قال (فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع) قال عكرمة علمه أسماء الاجناس دون أنواعها كقولك انسان وجن وملك وطائر وقال مقاتل وابن السائب وابن قتيبة علمه أسماء ما خلق

في الارض من الدواب والهوام والطير وما يدل على أن هذه اللغات ليست منلقاة عن آدم ان أكثر اللغات ناقصة عن اللغة العربية ليس عندهم أسماء خاصة للاولاد والبيوت والاصوات وغير ذلك مما يضاف الى الحيوان بل انما يستعملون في ذلك الاضافة فلو كان آدم عليه السلام علمه الجميع لعلها متسابة وأيضاً فكل أمة ليس لها كتاب ليس في لغتها أيام الأسبوع وانما يوجد في لغتها اسم اليوم والشهر والسنة لان ذلك عرف بالحس والعقل فوضعت له الائم الأسماء لان التعبير يتبع التصور وأما الأسبوع فلم يعرف الا بالسمع لم يعرف أن الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الا بأخبار الأنبياء الذين شرع لهم أن يجتمعوا في الأسبوع يوماً يعبدون الله فيه ويحفظون به الأسبوع الأول الذي بدأ الله فيه خلق هذا العالم ففي لغة العرب والعبرانيين ومن تلقى عنهم أيام الأسبوع بخلاف الترك ونحوهم فانه ليس في لغتهم أيام الأسبوع لانهم لم يعرفوا ذلك فلم يعبروا عنه فعلم أن الله ألهم النوع الانساني أن يعبر عما يريد ويتصوره بلفظه وأن أول من علم ذلك أبوه آدم وهم علموا كما علم وان اختلفت اللغات وقد أوحى الله الى موسى بالعبرانية والى محمد بالعربية والجميع كلام الله وقد بين الله من ذلك ما أراد من خلقه وأمره وان كانت هذه اللغة ليست الأخرى مع أن العبرانية من أقرب اللغات الى العربية حتي انها أقرب اليها من أمة بعض العجم الى بعض . . فبالجملة نحن ليس غرضنا اقامة الدليل على عدم ذلك بل يكفيننا أن يقال هذا غير معنوم وجوده بل الالهام كاف في النطق باللغات من غيره ووضعة متقدمة واذا سمي هذا توقيفاً فليس توقيفاً وحيداً فمن ادعى وضعا متقدماً على استعمال جميع الاجناس فقد قال مالا علم له به وانما المعلوم بلا ريب هو الاستعمال ثم هؤلاء يقولون تتميز الحقيقة من المجاز بلا كتفاء باللفظ فاذا دل اللفظ بمجرد فهو حقيقة واذا لم يدل الامع القرينة فهو مجاز وهذا أمر متعلق باستعمال اللفظ في المعنى لا بوضع مقدم . . ثم يقال ثانياً هذا التقسيم لاحقيقة له وليس من فرق بينهما حد صحيح يميز به بين هذا وهذا فعلم أن هذا التقسيم باطل وهو تقسيم من لم يتصور ما يقول بل يتكلم بلا علم فهم مبتدعة في الشرع مخالفون للعقل وذلك انهم قالوا الحقيقة اللفظ المستعمل فيما وضع له والمجاز هو المستعمل في غير ما وضع له احتاجوا الى اثبات الوضع السابق على الاستعمال وهذا يتعذر ثم هم يقسمون الحقيقة الى لغوية وعرفية وأكثرهم يقسمها الى ثلاث لغوية وشرعية وعرفية فالحقيقة العرفية هي ما صار اللفظ دالاً فيها على المعنى بالعرف لا بالغة وذلك المعنى يكون تارة أعم من اللغوي وتارة أخص وتارة يكون مبنياً له لـ كن بينهما علاقة استعمال لاجلها فلا أول مثل لفظ الرقبة والرأس ونحوها كان يستعمل في العضو المخصوص ثم صار يستعمل في جميع البدن والثاني مثل الدابة ونحوها كان يستعمل في كل مادب ثم صار يستعمل في عرف بعض الناس في ذوات الأربع وفي عرف بعض الناس في الفرس وفي عرف بعضهم في الحمار والثالث مثل لفظ الغائط والظعينة والراوية والمزادة فان ألفاظ في اللغة هو المكان المنخفض من الأرض فلما كانوا يتناوبون لقضاء حوائجهم سموها ما يخرج من الانسان باسم محله والظعينة اسم للدابة ثم سموها المرأة التي تركبها باسمها ونظائر ذلك . . والمقصود ان هذه

الحقيقة العرفية لم تصر حقيقة لجماعة تواطوا على نقلها ولكن تكلم بها بعض الناس واراد منها ذلك المعنى العرفي ثم شاع الاستعمال فصارت حقيقة عرفية بهذا الاستعمال ولهذا زاد من زاد منهم في حد الحقيقة في اللغة التي بها التخاطب ثم هم يعلمون ويقولون انه قد يقلب الاستعمال على بعض الالفاظ فيصير المعنى العرفي أشهر فيه ولا يدل عند الاطلاق الا عليه فتصير الحقيقة العرفية ناسخة للحقيقة اللغوية والالفاظ مستعمل في هذا الاستعمال الحادث العرفي وهو حقيقة من غير أن يكون لما استعمل فيه ذلك تقدم وضع فاعلم أن تفسير الحقيقة بهذا لا يصح وان قالوا نفي بما وضع له ما استعملت فيه أولا فيقال من أين يعلم أن هذه الالفاظ التي كانت العرب تخاطب بها عند نزول القرآن وقبله لم تستعمل قبل ذلك في معنى شيء آخر واذا لم يعلموا هذا النفي فلا يعلم أنها حقيقة وهذا خلاف ما اتفقوا عليه وأيضا فيلزم من هذا أن لا يقطع بشئ من الالفاظ انه حقيقة وهذا لا يقوله عاقل ثم هؤلاء الذين يقولون هذا نجد أحدهم يأتي الى الالفاظ لم يعلم أنها استعملت الا مقيدة فينطق بها مجردة عن جميع القيود ثم يدعي أن ذلك هو حقيقة لها من غير أن يعلم أنها نطق بها مجردة ولا وضعت مجردة مثل أن يقول حقيقة العين هو العضو المبصر ثم سميت به عين الشمس والعين النابعة وعين الذهب للمشابهة لكن أكثرهم يقولون أن هذا من باب المشترك لا من باب الحقيقة والمجاز فيمثل بغيره مثل لفظ الرأس يقولون هو حقيقة في رأس الانسان ثم قالوا رأس الدرب لأوله ورأس العين لمنبعها ورأس القوم لسيدهم ورأس الأمر لأوله ورأس الشهر ورأس الحول وأمثال ذلك على طريق المجاز وهم لا يجدون قط أن لفظ الرأس استعمل مجرداً بل يجدون انه استعمل بالقيود في رأس الانسان كقوله تعالى (وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين) ونحوه وهذا القيد يمنع أن يدخل فيه تلك المعاني فاذا قيل رأس العين ورأس الدرب ورأس الناس ورأس الامر فهذا المقيد غير ذاك المقيد ومجموع اللفظ الدال غير مجموع اللفظ الدال هناك لكن اشتركا في بعض اللفظ كاشتراك كل الاسماء المعرفة في لام التعريف ولو قدر أن الناطق باللغة نطق بلفظ رأس لانسان أولا لان الانسان يتصور رأسه قبل غيره والتعبير أولا هو عما يتصوره أولا فالنطق بهذا المضاف أولا لا يمنع أن ينطق بمضاف الى غيره ثانياً ولا يكون هذا من المجاز كما في سائر المضافات فاذا قيل ابن آدم أولا لم يكن قولنا ابن الفرس وابن الحمار وكذلك اذا قيل بنت الانسان لم يكن قولنا بنت الفرس مجازاً وكذلك اذا قيل رأس الانسان أولا لم يكن قولنا رأس الفرس مجازاً وكذلك في سائر المضافات اذا قيل يده أو رجله فاذا قيل هو حقيقة فيما أضيف الى الحيوان قيل ليس جعل هذا هو الحقيقة باولى من أن يجعل ما أضيف الى رأس الانسان ثم قد يضاف الى ما يتصوره أكثر الناس من الحيوانات الصغار التي لم تخطر ببال عامة الناطقين باللغة فاذا قيل إنه حقيقة في هذا فلماذا لا يكون حقيقة في رأس الجبل والطريق والعين وكذلك سائر ما يضاف الى الانسان من أعضائه وأولاده ومساكنه يضاف مثله الى غيره ويضاف ذلك الى الجمادات فيقول رأس الجبل ورأس العين وخطم الجبل أى أنفه وفم الوادي وبطن الوادي وظهر الجبل وبطن الارض وظهرها ويستعمل مع الالف وهو لفظ الظاهر والباطن في أمور كثيرة والمعنى في الجميع أن الظاهر لما ظهر فتبين

والباطن لما باطن نخفي وسمى ظهر الانسان ظهرا لظهوره وبطن الانسان بطناً لبطونه فاذا قيل ان هذا حقيقة وذلك مجاز لم يكن هذا أولى من العكس وأيضاً من الاسماء ما تكلم به أهل اللغة مفرداً كلفظ الانسان ونحوه ثم قد يستعمل مقيداً بالاضافة كقولهم انسان العين وابرة الذراع ونحو ذلك ويتقدير أن يكون في اللغة حقيقة ومجاز فقد ادعى بعضهم أن هذا من المجاز وهو غلط فان المجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له أولاً وهذا لم يستعمل اللفظ بل ركب مع لفظ آخر فصار وضعاً آخر بالاضافة فلو استعمل مضافاً في معنى ثم استعمل بتلك الاضافة في غيره كان مجازاً بل اذا كان بمالك وحضر موت ونحوهما مما يركب تركيب مزج بعد أن كان الاصل فيه الاضافة لا يقال انه مجاز فالم ينطق به الا مضافاً أولى أن لا يكون مجازاً . . . وأما من فرق بين الحقيقة والمجاز بان الحقيقة ما يفيد المعنى مجرداً عن القرائن والمجاز مالا يفيد ذلك المعنى الا مع قرينة أو قال الحقيقة ما يفيد اللفظ المطلق والمجاز مالا يفيد الا مع التقييد أو قال الحقيقة هو المعنى الذي يسبق الى الذهن عند الاطلاق والمجاز مالا يسبق الى الذهن أو قال المجاز ما صح نفيه والحقيقة ما لم يصح نفيها . . . فانه يقال ماتعني بالتجريد عن القرائن والاقتران بالقرائن ان عنى بذلك القرائن اللفظية مثل كون الاسم يستعمل مقروناً بالاضافة أو لام التعريف ويقيده بكونه فاعلاً ومفعولاً ومبتدأً وخبراً فلا يوجد قط في الكلام المواضع اسم الا مقيداً وكذلك الفعل ان عنى بتقييده انه لا بد له من فاعل وقد يقيده بالمفعول به وظرف في الزمان والمكان والمفعول له ومعه والحال فالفعل لا يستعمل قط إلا مقيداً وأما الحرف فاباغ فان الحرف أتى به معنى في غيره ففي الجملة لا يوجد قط في كلام تام اسم ولا فعل ولا حرف الا مقيداً بقيود تزيل عنه الاطلاق فان كانت القرينة ما يمنع الاطلاق عن كل قيد فليس في الكلام الذي يتكلم به جميع الناس لفظ مطلق عن كل قيد سواء كانت الجملة اسمية أو فعلية ولهذا كان لفظ الكلام والكلمة في لغة العرب بل وفي لغة غيرهم لا يستعمل الا في المقيد وهو الجملة التامة اسمية كانت أو فعلية أو ندائية ان قيل انها قسم ثالث فلما مجرد الاسم أو الفعل أو الحرف الذي جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل فهذا لا يسمى في كلام العرب قط كلمة وانما تسميته هذا كله اصطلاح نحوي كما سموا بعض الالفاظ فعلاً وقسموه الى فعل ماض ومضارع وأمر والعرب لم تسم قط اللفظ فعلاً بل النحاة اصطلاحوا على هذا قسموا اللفظ باسم مدلوله فاللفظ الدال على حدوث فعل في زمن ماض سموه فعلاً ماضياً وكذلك سائرهما وكذلك حيث وجد في الكتاب والسنة بل وفي كلام العرب لظنه ونثره لفظ كلمة فانما يراد به المقيد التي تسميها النحاة جملة تامة كقوله تعالى (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذباً) وقوله تعالى (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا) وقوله تعالى (تعالوا الي كلمة سواء بيننا وبينكم) وقوله (وجعلها كلمة باقية في عقبه) وقوله (وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها) وقول النبي صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد

* ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وقوله كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان

الى الرحمن سبحانه الله وبحمده سبحانه الله العظيم وقوله ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن ان تبلغ به ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه الى يوم القيامة وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ به ما بلغت يكتب الله بها سخطه الى يوم القيامة وقوله لقد قلت بعدك أربع كلمات لو وزنت بما قلته منذ اليوم لوزنتهن سبحانه الله عدد خلقه سبحانه الله زنة عرشه سبحانه الله رضاه نفسه سبحانه الله مداد كلماته واذا كان كل اسم وفعل وحرف يوجد في الكلام فانه مقيد لا مطلق لم يجز ان يقال اللفظ الحقيقة ما دل مع الاطلاق والتجرد عن كل قرينة تفارقه . . فان قيل أريد بعض القرائن دون بعض قيل له اذ كر الفصل بين القرينة التي يكون معها حقيقة والقرينة التي يكون معها مجاز ولن تجدد الى ذلك سبيلا تقديره على تقسيم صحيح معقول وبما يدل على ذلك ان الناس اختلفوا في العام اذا خص هل يكون استعماله فيما بقي حقيقة أو مجازا وكذلك لفظ الامر اذا أريد به الندب هل يكون حقيقة أو مجازا وفي ذلك قولان لا كثر الطوائف لاصحاب أحمد قولان ولاصحاب الشافعي قولان ولاصحاب مالك قولان ومن الناس من ظن ان هذا الخلاف يطرد في التخصيص المتصل كالصفة والشرط والغاية والبدل وجعل يحكي في ذلك أقوال من يفصل كما يوجد في كلام طائفة من المصنفين في أصول الفقه وهذا مما لم يعرف ان أحدا قاله فجعل اللفظ العام المقيد في الصفات والغايات والشروط مجازا بل لما أطلق بعض المصنفين ان اللفظ العام اذا خص يصير مجازا ظن هذا الناقل انه عن التخصيص المتصل وأولئك لم يكن في اصطلاحهم عام مخصوص الا اذا خص بمنفصل وأما المتصل فلا يسمون اللفظ عاما مخصوصا فانه لم يدل الا متصلا والاتصال منعه العموم وهذا اصطلاح كثير من الاصوليين وهو الصواب لا يقال لما قيد بالشرط والصفة ونحوها انه داخل فيما خص من العموم ولا في العام المخصوص لكن يقيد فيقال تخصيص متصل وهذا المقيد لا يدخل في التخصيص المطلق وبالجملة فيقال اذا كان هذا مجازا فيكون تقييد الفعل المطابق بالفعل به وبطرف الزمان والمكان مجازا وكذلك بالحال وكذلك كل ما قيد بقيد فيلزم ان يكون الكلام كله مجازا فأين الحقيقة . . فان قيل يفرق بين القرائن المتصلة والمنفصلة فاما كان مع القرينة المتصلة فهو حقيقة وما كان مع المنفصلة كان مجازا . . قيل نعمي بالمتصل ما كان في اللفظ أو ما كان موجودا حين الخطاب فان عنت الاول لزم ان يكون ما علم من حال المتكلم أو المستمع أولا قرينة منفصلة فاستعمل بالام التعريف لما يعرفه كما يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو عند المسلمين رسول الله أو قال الصديق وهو عندهم أبو بكر واذا قال الرجل لصاحبه اذهب الى الأمير أو القاضي أو الوالي يريد ما يعرفه انه يكون مجازا وكذلك الضمير يعود الى معلوم غير مذكور كقوله (إنا أنزلناه) وقوله (حق توارت بالحجاب) وأمثال ذلك ان يكون هذا مجازا وهذا لا يقوله أحد وأيضا فاذا قال لشجاع هذا الاسد فعل اليوم كذا ولبيد هذا الحمار قال اليوم كذا أو لعالم أو جواد هذا البحر جري منه اليوم كذا ان يكون حقيقة لان قوله هذا قرينة لفظية فلا يبقى قط مجازا وان قال المتصل أعم من ذلك وهو ما كان موجودا حين الخطاب قيل له فهذا أشد عليك من الاول فان كل متكلم بالمجاز لابد ان يقترب به حال

الخطاب ما يبين مراده والا لم يجوز التكلم به فان قيل انا أجوز تأخير البيان عن مورد الخطاب الى وقت الحاجة قيل أ كثر الناس لا يجوزون ان يتكلم بلفظ يدل على معنى وهو لا يريد ذلك المعنى الا اذا بين وانما يجوزون تأخير بيان ما لم يدل اللفظ عليه كالمجملات ثم نقول اذا جوزت تأخير البيان فالبيان قد يحصل بجملة تامة وبأفعال من الرسول وبغير ذلك ولا يكون البيان المتأخر الا مستقلاً بنفسه لا يكون بما يجب اقترانه بغيره فان جعلت هذا مجازاً لزم ان يكون ما يحتاج في العمل الى بيان مجازاً كقوله (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها) ثم يقال هب ان هذا جائز عقلاً لكن ليس واقعاً في الشريعة أصلاً وجميع ما يذكر من ذلك باطل كما قد بسط في موضعه فان الذين قالوا الظاهر الذي لم يرد به ما يدل عليه ظاهره قد يؤخر بيانه احتجاجوا بقوله (ان الله يأمرم أن تذبحوا بقرة) وادعوا انها كانت معينة وأخر بيان التعين وهذا خلاف ما استفاد عن السلف من الصحابة والتابعين لهم باحسان من انهم أمروا ببقرة مطلقة فلو أخذوا بقرة من البقر فذبحوها أجزأ عنهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والآية نكرة في سياق الانبات فهي مطلقة والقرآن يدل سياقه على أن الله ذمهم على السؤال بما هي ولو كان المأمور به معيناً لما كانوا ملومين ثم ان مثل هذا لم يقع قط في أمر الله ورسوله ان يأمر عباده بشئ معين وبهمه عليهم مرة بعد مرة ولا يذكره بصفات تختص به ابتداء واحتجوا بان الله أخر بيان لفظ الصلاة والزكاة والحج وان هذه ألفاظ لها معان في اللغة بخلاف الشرع وهذا غلط فان الله إنما أمرهم بالصلاة بعد ان عرفوا ما المأمور به وكذلك الصيام وكذلك الحج ولم يؤخر الله قط بيان شئ من هذه الأمور وبسط هذه المسئلة موضع آخر .. وأما قول من يقول ان الحقيقة ما يسبق الى الذهن عند الاطلاق فن أفسد الاقوال فانه لا يقال اذا كان اللفظ لم ينطق به الا مقيداً فانه يسبق الى الذهن في كل موضع منه ما دل عليه ذلك الموضع وأما اذا أطلق فهو لا يستعمل في الكلام مطلقاً قط فلم يبق له حال اطلاق محض حتى يقال ان الذهن يسبق اليه أم لا وأيضاً فأى ذهن فان العربي الذي يفهم كلام العرب يسبق الى ذهنه من اللفظ ما لا يسبق الى ذهن النبطي الذي صار يستعمل الالفاظ في غير معانيها ومن هنا غلط كثير من الناس فانهم قد تعودوا ما اعتادوه إما من خطاب عامتهم وإما من خطاب علمائهم باستعمال اللفظ في معنى فاذا سمعوه في القرآن والحديث ظنوا انه مستعمل في ذلك المعنى فيعملون كلام الله ورسوله على لغتهم النبطية وعاداتهم الحادثة وهذا مما دخل به الغلط على طوائف بل الواجب ان يعرف اللغة والعادة والعرف الذي نزل به القرآن والسنة وما كان الصحابة يفهمون من الرسول عند سماع تلك الالفاظ فبتلك اللغة والعادة والعرف خاطبهم الله ورسوله لا بما حدث بعد ذلك .. وأيضاً فقد بينا في غير هذا الموضع ان الله ورسوله لم يدع شيئاً من القرآن والحديث الا بين معناه للمخاطبين ولم يحوجهم الى شئ آخر كما قد بسطنا القول فيه في غير هذا الموضع فقد تبين ان ما يدعيه هؤلاء من اللفظ المطلق من جميع القيود لا يوجد الا مقدراً في اللسان لا موجوداً في الكلام المستعمل كما ان ما يدعيه المنطقيون من المعنى المطلق من جميع القيود لا يوجد الا مقدراً في الذهن لا يوجد في الخارج شئ موجود

خارج عن كل قيد ولهذا كان ما يدعونه من تقسيم العلم الى تصور وتصديق وان التصور هو تصور
المعنى الساذج الخالي عن كل قيد لا يوجد وكذلك ما يدعونه من البسائط التي تتركب منها الانواع وانها
أمور مطلقة عن كل قيد لا توجد وما يدعونه من أن واجب الوجود هو وجود مطلق عن كل أمر
ثبوتي لا يوجد فهذه الصفات المطلقات عن جميع القيود ينبغي معرفتها لمن ينظر في هذه العلوم فانه
بسبب ظن وجودها ضل طوائف في العقلية والسمعية بل إذا قال العلماء مطلق انما يعنون به مطلق
عن ذلك القيد ومقيد بذلك القيد كما يقولون الرقبة مطلقة في آية كفارة اليمين ومقيدة في آية القتل أي
مطلقة عن قيد الايمان والا فقد قيل فتحرير رقبة فقيدت بانها رقبة واحدة وانها موجودة وانها تقبل
التحرير والذين يقولون بالمطلق المحض يقولون هو الذي لا يتصف بوحدة ولا كثرة ولا وجود ولا عدم
ولا غير ذلك بل هو الحقيقة من حيث هي كما يذكره الرازي تلقبها عن ابن سينا وأمثاله من المتفلسفة
وقد بسطنا الكلام في هذا الاطلاق والتقييد والكليات والجزئيات في موضع غير هذا وبيننا من غلط هؤلاء
في ذلك ما ليس هذا موضعه .. وانما المقصود هنا الاطلاق اللفظي وهو ان يتكلم باللفظ مطلقاً عن كل
قيد وهذا لا وجود له وحينئذ فلا يتكلم أحد الا بكلام مؤلف مقيد مرتبط ببعضه بعض فتكون تلك
القيود متمتعة الاطلاق فتبين انه ليس لمن فرق بين الحقيقة والمجاز فرق معقول يمكن به التمييز بين نوعين
فلم ان هذا التقسيم باطل وحينئذ فكل لفظ موجود في كتاب الله ورسوله فانه مقيد بما يبين معناه فليس في
شيء من ذلك مجاز بل كله حقيقة ولهذا لما ادعي كثير من المتأخرين ان في القرآن مجازاً وذكروا ما يشهد لهم
رد عليهم المنازعون جميع ما ذكروه فن أشهر ما ذكروه قوله تعالى (جداراً يريد ان يتقض) قالوا والجدار
ليس بحيوان والارادة انما تكون للحيوان فاستعمالها في ميل الجدار مجاز فقيل لهم لفظ الارادة قد استعمل
في الميل الذي يكون معه شعور وهو ميل الحى وفي الميل الذي لا شعور فيه وهو ميل الجراد وهو من
مشهور اللغة يقال هذا السقف يريد ان يقع وهذه الارض تريد ان تحرث وهذا الزرع يريد ان يسقى
وهذا الثمر يريد ان يقطف وهذا الثوب يريد ان يفسل وأمثال ذلك واللفظ اذا استعمل في معنيين
فصاعداً فاما ان يجعل حقيقة في أحدهما مجازاً في الآخر أو حقيقة فيما يختص به كل منهما فيكون مشتركاً
اشتراكاً لفظياً أو حقيقة في القدر المشترك بينهما وهي الاسماء المتواطئة وهي الاسماء العامة كلها وعلى الاول
يلزم المجاز وعلى الثاني يلزم الاشتراك وكلاهما خلاف الاصل فوجب ان يجعل من المتواطئة وبهذا يعرف
عموم الاسماء العامة كلها والا فلو قل قائل هو في ميل الجراد حقيقة وفي ميل الحيوان مجاز لم يكن بين
الدعويين فرق الا كثرة الاستعمال في ميل الحيوان لكن يستعمل مقيداً بما يبين انه أريد ميل الحيوان
وهنا استعمل مقيداً بما يبين انه أريد ميل الجراد والقدر المشترك بين مسميات الاسماء المتواطئة أمر كلي
عام لا يوجد كلياً عاماً الا في الذهن وهو مورد التقسيم بين الانواع لكن ذلك المعنى العام الكلي كان
أهل اللغة لا يحتاجون الى التعبير عنه لانهم انما يحتاجون الى ما يوجد في الخارج والى ما يوجد في القلوب
في العادة وما لا يكون في الخارج الا مضافاً الى غيره لا يوجد في الذهن مجرداً بخلاف لفظ الانسان

والفرس فانه لما كان يوجد في الخارج غير مضاف تعودت الاذهان تصور مسمى الانسان ومسمى الفرس بخلاف تصور مسمى الارادة ومسمى العلم ومسمى القدرة ومسمى الوجود المطلق العام فان هذا لا يوجد في اللغة لفظ مطلق يدل عليه بل لا يوجد لفظ الارادة الا مقيداً بالرديد ولا لفظ العلم الا مقيداً بالعالم ولا لفظ القدرة الا مقيداً بالقادر بل وهكذا سائر الاعراض لما لم توجد الا في محالها مقيدة بها لم يكن في اللغة لفظ الا كذلك فلا يوجد في اللغة لفظ السواد والبياض والطول والقصر الا مقيداً بالاسود والابيض والطويل والقصر ونحو ذلك لا مجرداً عن كل قيد وانما يوجد مجرداً في كلام المصنفين في اللغة لانهم فهموا من كلام أهل اللغة ما يريدون به من القدر المشترك ومنه قوله تعالى (فاذاقها الله لباس الجوع والخوف) فان من الناس من يقول الذوق حقيقة في الذوق بالفم واللباس بما يلبس على البدن وانما استعير هذا وهذا وليس كذلك بل قال الخليل الذوق في لغة العرب هو وجود طعم الشيء والاستعمال يدل على ذلك قال تعالى (ولنديقهم من العذاب الادني دون العذاب الاكبر) وقال (ذق انك انت العزيز الكريم) وقال (فذاقت وبال أمرها) وقال (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) فذوقوا عذابي ونذر لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى قالوا يذوقون فيها برداً ولا شراباً الا حمية وغساقاً) وقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولا وفي بعض الادعية اذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك فلفظ الذوق يستعمل في كل ما يحس به ويجد ألمه أو لذته فدعوى المدعي اختصاص لفظ الذوق بما يكون بالفم تحكم منه لكن ذاك مقيد فيقال ذقت الطعام وذقت هذا الشراب فيكون معه من القيود ما يدل على انه ذوق بالفم واذا كان الذوق مستعملاً فيما يحسه الانسان بباطنه أو بظاهره حتى الماء الحميم يقال ذاقه قالوا اذا كان بارداً أو حاراً يقال ذقت حره وبرده وأما لفظ اللباس فهو مستعمل في كل ما يفتش الانسان فيلبس به قال تعالى (وجعلنا الليل لباساً) وقال (لباس التقوى ذلك خير) وقال (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) ومنه يقال لبس الحق بالباطل اذا خلطه به حتى غشاه فلم يتميز فالجوع الذي يشمل ألم جميع الجائع نفسه وبدنه وكذلك الخوف الذي يلبس البدن لو قيل فاذاقها الله الجوع والخوف لم يدل ذلك على انه شامل لجميع أجزاء الجائع بخلاف ما اذا قيل لباس الجوع والخوف ولو قال فألبسهم لم يكن فيه ما يدل على انهم ذاقوا ما يؤلمهم الا بالعقل من حيث انه يعرف ان الجائع الخائف بأنم بخلاف لفظ ذوق الجوع والخوف فان هذا اللفظ يدل على الاحساس بالآلم واذا أضيف الى المذلل على الاحساس به كقوله صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً فان قيل فلم لم يصف نعيم الجنة بالذوق: قيل لان الذوق يدل على جنس الاحساس ويقال ذاق الطعام لمن وجد طعمه وان لم يأكله وأهل الجنة نعيمهم كامل تام لا يقتصر فيه على الذوق بل استعمال لفظ الذوق في النبي كما قال عن أهل النار (لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً) أي لا يحصل لهم من ذلك ذوق وقال عن أهل الجنة (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) وكذلك ما ادعوا أنه مجاز في القرآن لفظ المكر والاستهزاء والسخرية المضاف الى الله وزعموا انه مسمى باسم ما يقابله على

طريق المجاز وليس كذلك بل مسميات هذه الاسماء اذا فعلت بمن لا يستحق العقوبة كانت ظمناً له وأما اذا فعلت بمن فعلها بالمعنى عليه عقوبة بمثل فعله كانت عدلاً كما قال تعالى (كذلك كذبنا ليوסף) فكاد له كما كادت اخوته لما قال له أبوه لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيداً وقال تعالى (انهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً) وقال تعالى (ومكروا مكراً وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكروهم) وقال (الذين يلزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم) ولهذا كان الاستهزاء بهم فعلاً يستحق هذا الاسم كما روي عن ابن عباس انه يفتح لهم باب من الجنة وهم في النار فيسرعون اليه فيفلق ثم يفتح لهم باب آخر فيسرعون اليه فيفلق فيضحك منهم المؤمنون قال تعالى (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) وعن الحسن البصري اذا كان يوم القيامة خمدت النار لهم كما تحمد الاهالة فيمشون فتخسف بهم وعن مقاتل اذا ضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب فيبقون في الظلمة فيقال لهم ارجعوا وراكم فالتمسوا نوراً وقال بعضهم استهزاؤه استدراجه لهم وقيل ابتاع استهزائهم ورد خداعهم ومكرهم عليهم وقيل انه يظهر لهم في الدنيا خلاف ما أبطن في الآخرة وقيل هو تجهيلهم وتخطئتهم فيما فعلوه وهذا كله حق وهو استهزاؤهم حقيقة . . . ومن الامثلة المشهورة لمن يثبت المجاز في القرآن واسأل القرية قالوا المراد به أهلها فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فقبل لهم لفظ القرية والمدينة والنهر والميزاب وأمثال هذه الامور التي فيها الحال والمحل كلاهما داخل في الاسم ثم قد يعود الحكم على الحال وهو السكان وتارة على المحل وهو المكان وكذلك في النهر يقل حفرت النهر وهو المحل وجري النهر وهو الماء ووضعت الميزاب وهو المحل وجري الميزاب وهو الماء وكذلك القرية قال تعالى (ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة) وقوله (وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا أن قالوا انا كنا ظالمين) وقال في آية أخرى (أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون) فجعل القرى هم السكان وقال (وكأى من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناها فلا ناصر لهم) وهم السكان وكذلك قوله تعالى (وتلك القرى أهلكناها لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً) وقال تعالى (أو كالذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها) فهذا المكان لا السكان لكن لا بد أن يلحظ انه كان مسكوناً فلا يسمى قرية الا اذا كان قد عمر للسكنى مأخوذ من القرى وهو الجمع ومنه قولهم قريت الماء في الحوض اذا جمعه فيه ونظير ذلك لفظ الانسان يتناول الجسد والروح ثم الاحكام تتناول هذا تارة وهذا تارة لتلازمهما فكذلك القرية اذا عذب أهلها خربت واذا خربت كان عذاباً لأهلها فما يصيب أحدهما من الشر ينال الآخر كما ينال البدن والروح ما يصيب أحدهما فقوله (واسأل القرية) مثل قوله (قرية كانت آمنة مطمئنة) فاللفظ هنا يراد به السكان من غير اضممار ولا حذف فهذا يتقدير أن يكون في اللغة مجاز فلا مجاز في القرآن بل . . . وتقسيم اللغة الى حقيقة ومجاز تقسيم مبتدع محدث لم ينطق به السلف والخلف فيه على قولين وليس النزاع

فيه لفظياً بل يقال نفس هذا التقسيم باطل لا يتميز هذا عن هذا ولهذا كان كل ما يذكرونه من الفروق يبين أنها فروق باطلة وكلما ذكر بعضهم فرقا أبطله الثاني كما بدعي المنطقيون أن الصفات القائمة بالموصوفات تنقسم اللازمة لها إلى داخل في ماهيتها الثابتة في الخارج وإلى خارج عنها لازم للماهية ولازم خارج للوجود وذكروا ثلاثة فروق كلها باطلة لأن هذا التقسيم باطل لاحقيقة له بل ما يجعلونه داخلاً يمكن جعله خارجاً وبالعكس كما قد بسط في موضعه : وقولهم اللفظ أن دل بلا قرينة فهو حقيقة وإن لم يدل إلا معها فهو مجاز قد تبين بطلانه وأنه ليس في الألفاظ الدالة ما يدل مجرداً عن جميع القرائن ولا فيها ما يحتاج إلى جميع القرائن وأشهر أمثلة المجاز لفظ الأسد والجمار والبحر ونحو ذلك مما يقولون أنه استعير للشجاع والبلید والجواد وهذه لا تستعمل إلا مؤلفة مركبة مقيدة بقيود لفظية كما تستعمل الحقيقة كقول أبي بكر الصديق عن أبي قتادة لما طلب غيره سلب القليل لها الله إذا نعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله فنعطيك سلبه فقوله نعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله وصف له بالقوة للجهاد في سبيله وقد عينه تعيناً أزال اللبس وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم إن خالداً سيف من سيوف الله سلبه الله على المشركين وأمثال ذلك : وإن قال القائل القرائن اللفظية موضوعة ودلالاتها على المعنى حقيقة لكن القرائن الحالية مجاز : قيل اللفظ لا يستعمل قط إلا مقيداً بقيود لفظية موضوعة والحال حال المتكلم والمستمع لا بد من اعتباره في جميع الكلام فإنه إذا عرف المتكلم فهم من معنى كلامه ما لا يفهم إذا لم يعرف لانه بذلك يعرف عاداته في خطابه واللفظ إنما يدل إذا عرف لغة المتكلم التي بها يتكلم وهي عاداته وعرفه التي يعتادها في خطابه ودلالة اللفظ على المعنى دلالة قصدية ارادية اختيارية فالمتكلم يريد دلالة اللفظ على المعنى فإذا اعتاد أن يعبر باللفظ عن المعنى كانت تلك لغة ولهذا كل من كان له عناية بالفاظ الرسول ومراده بها عرف عاداته في خطابه وتبين له من مراده ما لا يتبين لغيره . ولهذا ينبغي أن يقصد إذا ذكر لفظ من القرآن والحديث أن يذكر نظائر ذلك اللفظ ماذا عني بها الله ورسوله فيعرف بذلك لغة القرآن والحديث وسنة الله ورسوله التي يخاطب بها عباده وهي العادة المعروفة من كلامه ثم إذا كان لذلك نظائر في كلام غيره وكانت النظائر كثيرة عرف أن تلك العادة واللغة مشتركة عامة لا يختص بها هو صلى الله عليه وسلم بل هي لغة قومه ولا يجوز أن يحمل كلامه على عادات حدثت بعده في الخطاب لم تكن معروفة في خطابه وخطاب أصحابه كما يفعله كثير من الناس وقد لا يعرفون انتفاء ذلك في زمانه ولهذا كان استعمال القياس في اللغة وإن جاز في الاستعمال فإنه لا يجوز في الاستدلال فإنه قد يجوز للإنسان أن يستعمل هو اللفظ في نظير المعنى الذي استعملوه فيه مع بيان ذلك على ما فيه من النزاع لكن لا يجوز أن يعتمد إلى ألفاظ قد عرف استعمالها في معاني فيجعلها إلى غير تلك المعاني ويقول أنهم أرادوا تلك بالقياس على تلك بل هذا تبديل وتحريف فإذا قال الجار أحق بسقه فالجار هو الجار ليس هو الشريك فإن هذا لا يعرف في لغتهم لكن ليس في اللفظ ما يقتضي أنه يستحق الشفعة لكن يدل على أن البيع له أولى وأما الخبر فقد ثبت بالنصوص الكثيرة والنقول الصحيحة أنها كانت اسماً لكل مسكر لم يسم النبيذ خمرأ بالقياس

وكذلك النبأ كانوا يسمونه سارقاً كما قالت عائشة سارق موتانا كسارق أحياناً واللائط عندهم كان أغلظ من الزاني للمرأة ولا بد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الالفاظ وكيف يفهم كلامه فمعرفة العربية التي خوطبنا بها إنما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه وكذلك معرفة دلالة الالفاظ على المعاني فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب فانهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدعون أنه دال عليه ولا يكون الأمر كذلك ويجعلون هذه الدلالة حقيقة وهذه مجازاً كما أخطأ المرجئة في اسم الايمان جعلوا لفظ الايمان حقيقة في مجرد التصديق وتناوله للأعمال مجازاً فيقال إن لم يصح التقسيم إلى حقيقة ومجاز فلا حاجة إلى هذا وإن صح فهذا لا ينفعكم بل هو عليكم لائكم لأن الحقيقة هي اللفظ الذي يدل باطلاقة بلا قرينة والمجاز إنما يدل بقرينة وقد تبين أن لفظ الايمان حيث أطلق في الكتاب والسنة دخلت فيه الأعمال وإنما يدعي خروجها منه عند التقييد وهذا يدل على أن الحقيقة قوله الايمان بضع وسبعون شعبة : وأما حديث جبريل فإن كان أراد بالايمان ما ذكر مع الاسلام فهو كذلك وهذا هو الذي أراد النبي صلى الله عليه وسلم قطعاً كما أنه لما ذكر الاحسان أراد الاحسان مع الايمان والاسلام لم يرد أن الاحسان مجرد عن إيمان واسلام ولو قدر أنه أريد بلفظ الايمان مجرد التصديق فلم يقع ذلك إلا مع قرينة فيلزم أن يكون مجازاً وهذا معلوم بالضرورة لا يمكننا المنازعة فيه بعد تدبر القرآن والحديث بخلاف كون لفظ الايمان في اللغة مرادفاً للتصديق ودعوى أن الشارع لم يغيره ولم ينقله بل أراد به ما كان يريد به أهل اللغة بلا تخصيص ولا تقييد فإن هاتين المقدمتين لا يمكن الجزم بواحدة منهما فلا يعارض اليقين كيف وقد عرف فساد كل واحدة من المقدمتين وإنما من أفسد الكلام : وأيضاً فليس لفظ الايمان في دلالة على الأعمال المأمور بها بدون لفظ الصلاة والصيام والزكاة والحج في دلالة على الصلاة الشرعية والصيام الشرعي والحج الشرعي سواء قيل إن الشارع نقله أو زاد الحكم دون الاسم أو زاد الاسم وتصرف فيه تصرف أهل العرف أو خاطب بالاسم مقيداً لا مطلقاً فإن قيل الصلاة والحج ونحوهما لو ترك بعضها بطلت بخلاف الايمان فإنه لا يبطل عند الصعابة وأهل السنة والجماعة بمجرد الذنب قيل إن أراد بالبطلان أنه لا تبرأ الذمة منها كلها فكذلك الايمان الواجب إذا ترك منه شيئاً لم تبرأ الذمة منه كله وإن أريد به وجوب الاعادة فهذا ليس على الإطلاق فإن في الحج واجبات إذا تركها لم يفسد بل تجبر بدم وكذلك في الصلاة عند أكثر العلماء إذا تركها سهواً أو مطلقاً وجبت الاعادة فانما يجب إذا أمكنت الاعادة وإلا فما تعذرت اعادته يبقى مطالباً به كالجمعة ونحوها وإن أريد بذلك أنه لا يثاب على ما فعله فليس كذلك بل قد بين النبي صلى الله عليه وسلم في حديث المسي في صلاته أنه إذا لم يتمها يثاب على ما فعل ولا يكون بمنزلة من لم يصل وفي عدة احاديث أن الفرائض تكمل يوم القيامة من النوافل فإذا كانت الفرائض مجبورة بنوافل النوافل دل على أنه يعتد بهما فعلهما فكذلك الايمان إذا ترك منه شيئاً كان عليه فعله إن كان محرماً تاب منه وإن كان واجباً فعله فإذا لم يفعله لم تبرأ ذمته منه وأثيب على ما فعله كسائر العبادات وقد دلت النصوص على أنه يخرج من النار من في قلبه مثقال

ذرة من الايمان وقد عدلت المرجئة في هذا الاصل عن بيان الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم بأحسان واعتمدوا على رأيهم وعلى ما تأولوه بفهمهم اللغة وهذه طريقة أهل البدع ولهذا كان الامام أحمد يقول أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس ولهذا نجد المعتزلة والمرجئة والرافضة وغيرهم من أهل البدع يفسرون القرآن برأيهم ومعقولهم وما تأولوه من اللغة ولهذا تجدهم لا يعتمدون على أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين فلا يعتمدون لا على السنة ولا على إجماع السلف وآثارهم وإنما يعتمدون على العقل واللغة وتجدهم لا يعتمدون على كتب التفسير المأثورة والحديث وآثار السلف وإنما يعتمدون على كتب الادب وكتب الكلام التي وضعها رؤسهم وهذه طريقة الملاحدة أيضاً إنما يأخذون ما في كتب الفلسفة وكتب الادب واللغة وأما كتب القرآن والحديث والآثار فلا يلتفتون اليها هؤلاء يعرضون عن نصوص الانبياء أذنيهم عندهم لا تفيد العلم وأولئك يتأولون القرآن برأيهم وفهمهم بلا آثار عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقد ذكرنا كلام أحمد وغيره في إنكار هذا وجعله طريقة أهل البدع وإذا تدبرت حججهم وجدت دعاوي لا يقوم عليها دليل والقاضي أبو بكر الباقلاني نصر قول جهم في مسألة الايمان متابعة لأبي الحسن الاشعري وكذلك أكثر أصحابه فأما أبو العباس القلانسي وأبو علي الثقف وأبو عبد الله بن مجاهد شيخ القاضي أبي بكر وصاحب أبي الحسن فانهم نصرُوا مذهب السلف وابن كلاب نفسه والحسين بن الفضل البجلي ونحوهما كانوا يقولون هو التصديق والقول جميعاً موافقة لمن قاله من فقهاء الكوفيين كحماد بن أبي سليمان ومن اتبعه مثل أبي حنيفة وغيره (فصل) وأبو الحسن الاشعري نصر قول جهم في الايمان مع أنه نصر المشهور عن أهل السنة من أنه يستثنى في الايمان فيقول أنا مومن ان شاء الله لانه نصر مذهب أهل السنة في أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة ولا يخلدون في النار وتقبل فيهم الشفاعة ونحو ذلك وهو دائماً ينصر في المسئلة التي اشتهر فيها النزاع بين أهل الحديث وغيرهم قول أهل الحديث لكنه لم يكن خبيراً بما أخذهم فينصره على ما يراه هو من الاصول التي تلقاها عن غيرهم فيقع في ذلك من التناقض ما ينكره هؤلاء وهؤلاء كما فعل في مسألة الايمان ونصر فيه قول جهم مع نصره للاستثناء ولهذا خالفه كثير من أصحابه في الاستثناء كما سنذكر مأخذه في ذلك واتبه أكثر أصحابه على نصر قول جهم في ذلك ومن لم يقف الا على كتب الكلام ولم يعرف ما قاله السلف وأئمة السنة في هذا الباب فيظن أن ما ذكروه هو قول أهل السنة وهو قول لم يقله أحد من أئمة السنة بل قد كفر أحمد بن حنبل ووكيع وغيرهما من قال بقول جهم في الايمان الذي نصره أبو الحسن وهو عندهم شر من قول المرجئة ولهذا صار من يعظم الشافعي من الزيدية والمعتزلة ونحوهم ويطعن في كثير ممن ينتسب اليه يقولون الشافعي لم يكن فيلسوفاً ولا مرجئاً وهؤلاء فلاسفة أشعرية مرجئة وعرضهم ذم الارزاء ونحن نذكر عمدتهم لكونه مشهوراً عند كثير من المتأخرين المنتسبين الى السنة قال القاضي أبو بكر في التمهيد فان قالوا نخبرونا ما الايمان عندهم قيل الايمان هو التصديق بالله وهو العلم والتصديق يوجد بالقلب فان قال فما الدليل على ما قلتم قيل إجماع أهل اللغة

قاطبة على أن الإيمان قبل نزول القرآن وبعثة النبي صلى الله عليه وسلم هو التصديق لا يعرفون في اللغة
إيماناً غير ذلك ويدل على ذلك قوله تعالى (وما أنت بمؤمن لنا) أى بمصدق لنا ومنه قولهم فلان يؤمن
بالشفاعة وفلان لا يؤمن بعذاب القبر أى لا يصدق بذلك فوجب أن الإيمان في الشريعة هو الإيمان
المعروف في اللغة لأن الله ما غير اللسان العربي ولا قلبه ولو فعل ذلك لتواترت الأخبار بفعله وتوفرت
دواعي الأمة على نقله ولقلب اظهاره على كتمانهم وفى علمنا بأنه لم يفعل ذلك بل أقر أسماؤه والأشياء والتخاطب
بأسره على ما كان دليل على أن الإيمان في الشريعة هو الإيمان اللغوي وما يبين ذلك قوله تعالى (وما
أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) وقوله (انا جعلناه قرآنا عربياً) فأخبر أنه أنزل القرآن بلغة
العرب وسمى الاسماء بمسمياتهم ولا وجه للعدول بهذه الآيات عن ظواهرها بغير حجة لاسيما مع القول
بالعموم وحصول التوقيف على أن القرآن قول نزل بلغتهم فدل على ما قلناه من أن الإيمان ما وصفناه دون
ماسواه من سائر الطاعات من النوافل والمفروضات هذا لفظه . . وهذا عمدة من نصر قول الجهمية في
مسئلة الإيمان وللجمهور من أهل السنة وغيرهم عن هذا أجوبة . . أحدها قول من ينازعه في أن
الإيمان في اللغة مرادف للتصديق ويقول هو بمعنى الاقرار وغيره . . والثاني قول من يقول وإن كان
في اللغة هو التصديق فالتصديق يكون بالقلب واللسان وسائر الجوارح كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
والفرج يصدق ذلك أو يكذبه . . والثالث أن يقال ليس هو مطلق التصديق بل هو تصديق خاص مقيد
بقيود اتصل اللفظ بها وليس هذا نقلاً للفظ ولا تغييراً له فإن الله لم يأمرنا بإيمان مطلق بل بإيمان خاص
وصفه وبينه . . الرابع أن يقال وإن كان هو التصديق فالتصديق التام القائم بالقلب مستلزم لما وجب من
أعمال القلب والجوارح فإن هذه لوازم الإيمان التام وانتفاء اللازم دليل على انتفاء الملزوم ويقول إن هذه
اللوازم تدخل في مسمى اللفظ تارة وتخرج عنه أخرى . . الخامس قول من يقول إن اللفظ باق على
معناه في اللغة ولكن الشارع زاد فيه أحكاماً . . السادس قول من يقول إن الشارع استعمله في معناه
المجازي فهو حقيقة شرعية مجاز لغوي . . السابع قول من يقول أنه منقول فهذه سبعة أقوال . . الاول
قول من ينازع أن معناه في اللغة التصديق ويقول ليس هو التصديق بل بمعنى الاقرار وغيره . . قوله
اجماع أهل اللغة قاطبة على أن الإيمان قبل نزول القرآن هو التصديق . . فيقال له من نقل هذا الاجماع
ومن أين يعلم هذا الاجماع وفي أى كتاب ذكر هذا الاجماع . . الثانى أن يقال أتبنى بأهل اللغة نقلها
كأبى عمرو والأصمى والخليل ونحوهم أو المتكلمين بها فإن عنيت الاول فهؤلاء لا ينقلون كل ما كان قبل
الاسلام باسناد وإنما ينقلون ما سمعوه من العرب في زمانهم وما سمعوه في دواوين الشعر وكلام العرب
وغير ذلك بالاسناد ولا نعلم فيما نقلوه لفظ الإيمان فضلاً عن أن يكونوا أجمعوا عليه وإن عنيت المتكلمين
بهذا اللفظ قبل الاسلام فهؤلاء لم يشهدهم ولا نقل لنا أحد عنهم ذلك . . الثالث أنه لا يعرف عن هؤلاء
جميعهم أنهم قالوا الإيمان في اللغة هو التصديق بل ولا عن بعضهم وإن قدر أنه قاله واحد أو اثنان فليس
هذا اجماعاً . . الرابع أن يقال هؤلاء لا ينقلون عن العرب أنهم قالوا معنى هذا اللفظ كذا وكذا وإنما

ينقلون الكلام المسموع من العرب وانه يفهم منه كذا وكذا وحينئذ فلو قدر أنهم نقلوا كلاما عن العرب
 يفهم منه أن الايمان هو التصديق لم يكن ذلك أبلغ من نقل المسلمين للقرآن عن النبي صلى الله عليه وسلم
 وإذا كان مع ذلك قد يظن بعضهم أنه أريد به معنى ولم يرد فظن هؤلاء ذلك فيما ينقلونه عن العرب أولي
 ٥٥ الخامس أنه لو قدر أنهم قالوا هذا فهم آحاد لا يثبت بنقلهم التواتر والتواتر من شرطه استواء الطرفين
 والواسطة وأين التواتر الموجود عن العرب قاطبة قبل نزول القرآن أنهم كانوا لا يعرفون للايمان معنى
 غير التصديق ٥٥ فان قيل هذا يقدر في العلم باللغة قبل نزول القرآن ٥٥ قيل فليكن ونحن لا حاجة بنا
 مع بيان الرسول لما بعثه الله به من القرآن أن نعرف اللغة قبل نزول القرآن والقرآن نزل بلغة قريش
 والذين خوطبوا به كانوا عربا وقد فهموا ما أريد به وهم الصحابة ثم الصحابة بلغوا لفظ القرآن ومعناه
 الي التابعين حتي انتهى البنا فلم يبق بنا حاجة الي أن تتواتر عندنا تلك اللغة من غير طريق تواتر القرآن
 لكن لما تواتر القرآن لفظاً ومعنى وعرفنا أنه نزل بلغتهم عرفنا أنه كان في لغتهم لفظ السماء والارض
 والليل والنهار والشمس والقمر ونحو ذلك على ما هو معناها في القرآن والافلو كلنا نقلا متواتراً لا آحاد
 هذه الالفاظ من غير القرآن لتعذر علينا ذلك في جميع الالفاظ لاسيما اذا كان المطلوب أن جميع العرب
 كانت تريد باللفظ. هذا المعنى فان هذا يتعذر العلم به والعلم بمعاني القرآن ليس موقوفاً على شيء من ذلك
 بل الصحابة بلغوا معاني القرآن كما بلغوا لفظه ولو قدرنا أن قوما سمعوا كلاماً عجمياً وترجموه لنا
 بلغتهم لم نحتاج الي معرفة اللغة التي خوطبوا بها ٥٥ السادس انه لم يذكر شاهداً من كلام العرب على
 ما ادعاه عليهم وانما استدل من غير القرآن بقول الناس فلان يؤمن بالشفاعة فلان يؤمن بالجنة والنار فلان
 يؤمن بعذاب القبر وفلان لا يؤمن بذلك ومعلوم أن هذا ليس من ألفاظ العرب قبل نزول القرآن بل
 هو مما تكلم الناس به بعد عصر الصحابة لما صار من الناس أهل البدع يكذبون بالشفاعة وعذاب القبر
 ومرادهم بذلك هو مرادهم بقوله فلان مؤمن يؤمن بالجنة والنار وفلان لا يؤمن بذلك والقائل
 لذلك وان كان تصديق القلب داخلاً في مراده فليس مراده ذلك وحده بل مراده التصديق بالقلب
 والاسان فان مجرد تصديق القلب بدون الاسان لا يعلم حتي يخبر به عنه ٥٥ السابع أن يقال من قال ذلك
 فليس مراده التصديق بما يرجي ويخاف بدون خوف ولا رجاء بل يصدق بعذاب القبر ويخافه ويصدق
 بالشفاعة ويرجوها والا فلو صدق بأنه يعذب في قبره ولم يكن في قلبه خوف من ذلك أصلاً لم يسموه
 مؤمناً به كما أنهم لا يسمون مؤمناً بالجنة والنار الا من رجا الجنة وخاف النار دون المعرض عن ذلك
 بالكلية مع علمه بأنه حق كما لا يسمون ابليس مؤمناً بالله وان كان مصداقاً بوجوده وربوبيته ولا يسمون
 فرعون مؤمناً وان كان عالماً بأن الله بعث موسى وانه هو الذي أنزل الآيات وقد استيقنت بها أنفسهم مع
 جحدهم لها بالسنتهم ولا يسمون اليهود مؤمنين بالقرآن والرسول وان كانوا يعرفون انه حق كما يعرفون
 أبناءهم فلا يوجد قط في كلام العرب ان من علم وجود شيء مما يخاف ويرجي ويجب حبه وتعظيمه وهو
 مع ذلك لا يحبه ولا يعظمه ولا يحافه ولا يرجوه بل يجهده به ويكذب به بلسانه أنهم يقولون هو مؤمن

به بل ولو عرفه بقلبه وكذب به بلسانه لم يقولوا هو مصدق به ولو صدق به مع العمل بخلاف مقتضاه لم يقولوا هو مؤمن به فلا يوجد في كلام العرب شاهد واحد يدل على ما دعوه وقوله (وما أنت بمؤمن لنا) قد تكلمنا عليها في غير هذا الموضع فان هذا استدلال بالقرآن وليس في الآية ما يدل على أن المصدق مرادف للمؤمن فان صحة المعنى باحد اللفظين لا يدل على انه مرادف للآخر كما بسطناه في موضعه .. الوجه الثامن قوله لا يعرفون في اللغة ايمانا غير ذلك من أين له هذا النفي الذي لا يمكن الاحاطة به بل هو قول بلا علم .. التاسع قول من يقول أصل الايمان مأخوذ من الامن كما ستأتي أقوالهم ان شاء الله وقد نقلوا في اللغة الايمان بغير هذا المعنى كما قاله الشيخ أبو البيان في قول ^(١) الوجه العاشر انه لو فرض أن الايمان في اللغة التصديق فعلوم أن الايمان ليس هو التصديق بكل شيء بل بشيء مخصوص وهو ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم وحينئذ فيكون الايمان في كلام الشارع أخص من الايمان في اللغة ومعلوم أن الخاص ينضم اليه قيود لا توجد في جميع العام كالحَيوان اذا أخذ بعض أنواعه وهو الانسان كان فيه المعنى العام ومعنى اخص به وذلك المجموع ليس هو المعنى العام فالتصديق الذي هو الايمان أدنى أحواله أن يكون نوعاً من التصديق العام فلا يكون مطابقاً له في العموم والخصوص من غير تغيير اللسان ولا قلبه بل يكون الايمان في كلام الشارع مؤلفاً من العام والخاص كالانسان الموصوف بأنه حيوان وانه ناطق .. الحادي عشر ان القرآن ليس فيه ذكر ايمان مطلق غير مفسر بل لفظ الايمان فيه اما مقيد واما مطلق مفسر فالمقيد كقوله (يؤمنون بالغيب) وقوله (فا آمن لموسى الا ذرية من قومه) والمطلق المفسر كقوله تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) الآية وقوله (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) ونحو ذلك وقوله (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) وأمثال هذه الآيات وكل إيمان مطلق في القرآن فقد بين فيه أنه لا يكون الرجل مؤمناً الا بالعمل مع التصديق فقد بين القرآن أن الايمان لا بد فيه من عمل مع التصديق كما ذكر مثل ذلك في اسم الصلاة والزكاة والصيام والحج .. فان قيل تلك الأسماء باقية ولكن ضم الى المسمى أعمالاً في الحكم لافي الاسم كما يقوله القاضي أبو يعلى وغيره .. قبل ان كان هذا صحيحاً قيل مثله في الايمان وقد أورد هذا السؤال لبعضهم ثم لم يجب عنه بجواب صحيح بل زعم أن القرآن لم يذكر فيه ذلك وليس كذلك بل القرآن والسنة مملوآن بما يدل على أن الرجل لا يثبت له حكم الايمان الا بالعمل مع التصديق وهذا في القرآن أكثر بكثير من معنى الصلاة والزكاة فان تلك انما فسرتها السنة والايمان بين معناه الكتاب والسنة واجماع السلف .. الثاني عشر انه اذا قيل إن الشارع خاطب الناس بلغة العرب فانما خاطبهم بلغتهم المعروفة وقد جرى عرفهم أن الاسم يكون مطلقاً وعاماً ثم يدخل فيه قيد أخص من معناه كما يقولون اذهب الى القاضي والوالي والأمير يريدون شخصاً معيناً يعرفونه دلت عليه اللام مع معرفتهما به وهذا الاسم في اللغة اسم

جلّس لا يدل على خصوص شخص وأمثال ذلك فكذلك الإيمان والصلاة والزكاة إنما خاطبهم بهذه الأسماء
 بلام التعريف وقد عرفهم قبل ذلك أن المراد الإيمان الذي صفته كذا وكذا أو الدماء الذي صفته كذا
 وكذا فبتقدير أن يكون في لغتهم التصديق فإنه قد يبين أني لا أكتفي بتصديق القلب واللسان فضلاً عن
 تصديق القلب وحده بل لا بد أن يعمل بموجب ذلك التصديق كما في قوله تعالى (إنما المؤمنون الذين
 آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا . إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) وفي قوله صلى الله
 عليه وسلم لا تؤمنون حتى يكون كذا وفي قوله تعالى (لا ننجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون
 من حاد الله ورسوله) وفي قوله (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أزل إليه ما نخذلهم أولياء) ومثل
 هذا كثير في الكتاب والسنة كقوله عليه الصلاة والسلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وقوله
 لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائعه وأمثال ذلك . . فقد بين لهم أن التصديق الذي لا يكون الرجل مؤمناً
 إلا به هو أن يكون تصديقاً على هذا الوجه وهذا بين في القرآن والسنة من غير تغيير للغة ولا نقل لها
 . . الثالث عشر أن يقال بل نقل وغير قوله لو فعل لتواتر قبل نعم وقد تواتر أنه أراد بالصلاة والزكاة
 والصيام والحج معانيها المعروفة وأراد بالإيمان ما بينه بكتابه وسنة رسوله من أن العبد لا يكون مؤمناً
 إلا به كقوله إنما المؤمنون وهذا متواتر في القرآن والسنة ومتواتر أيضاً أنه لم يكن يحكم لأحد بحكم
 الإيمان إلا أن يؤدي الفرائض ومتواتر عنه أنه أخبر أنه مات مؤمناً دخل الجنة ولم يعذب وإن
 الفساق لا يستحقون ذلك بل هم معرضون للعذاب فقد تواتر عنه من معاني اسم الإيمان وأحكامه ما لم
 يتواتر عنه في غيره فأى تواتر أبان من هذا وقد توفرت الدواعي على نقل ذلك وإظهاره والله الحمد ولا
 يقدر أحد أن ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم نقلاً يناقض هذا لكن أخبر أنه يخرج منها من كان
 معه شيء من الإيمان ولم يقل إن المؤمن يدخلها ولا قال إن الفساق مؤمنون لكن أدخلهم في مسمى
 الإيمان في مواضع كما أدخل المنافقين في اسم الإيمان في مواضع مع القبول وأما الاسم المطلق الذي وعد
 أهله بالجنة فلم يدخل فيه هؤلاء ولا هؤلاء . . الرابع عشر قوله ولا وجه للعدول بالآيات التي تدل على
 أنه عربي عن ظاهرها . . فيقال له الآيات التي فسرت المؤمن وسلبت الإيمان عن من لم يعمل أصرح
 وأكثر من هذه الآيات ثم إذا دلت أنه عربي فما ذكر لا يخرج عن كونه عربياً ولهذا لما خاطبهم بلفظ
 الصلاة والحج وغير ذلك لم يقولوا هذا ليس بعربي بل خاطبهم باسم المتأفق وقد ذكر أهل اللغة أن هذا
 الاسم لم يكن يعرف في الجاهلية ولم يقولوا أنه ليس بعربي لأن المتأفق مشتق من تفق إذا خرج فإذا كان
 اللفظ مشتقاً من لغتهم وقد تصرف فيه المتكلم كما جرت عادتهم في لغتهم لم يخرج ذلك عن كونه عربياً
 . . الخامس عشر أنه لو فرض أن هذه الألفاظ ليست عربية فليس تخصيص عموم هذه الألفاظ بأعظم
 من إخراج لفظ الإيمان عما دل عليه الكتاب والسنة واجماع السلف فإن النصوص التي تنفي الإيمان
 عن لا يحب الله ورسوله ولا يخاف الله ولا يتقيه ولا يعمل شيئاً من الواجب ولا يترك شيئاً من المحرم
 كثيرة صريحة فإذا قدر أنها عارضها آية كان تخصيص اللفظ القليل العام أولى من رد النصوص الكثيرة

الصريحة .. السادس عشر ان هؤلاء واقفة في الفاظ العموم لا يقولون بعمومها والسالف بقولون
الرسول وقفنا على معاني الايمان وبينه لنا وعلمنا مراده منه بالاضطرار وعلمنا من مراده علماً ضرورياً
ان من قيل إنه صدق ولم يتكلم بلسانه بالايمان مع قدرته على ذلك ولا صلى ولا صام ولا أحب الله ورسوله
ولا خاف الله بل كان مبغضاً للرسول معادياً له بقاتله أن هذا ليس بمؤمن كما علمنا أن الكفار من
المشركين وأهل الكتاب الذين كانوا يعلمون أنه رسول الله وفعلوا ذلك معه كانوا عنده كفاراً لا مؤمنين
فهذا معلوم عندنا بالاضطرار أكثر من علمنا بأن القرآن كله ليس فيه لفظ غير عربي فلو قدر التعارض
لكان تقديم ذلك العلم الضروري أولى .. فان قالوا من علم أن الرسول كفره علم انتفاء التصديق من
قلبه .. قيل لهم هذه مكابرة ان أرادوا أنهم كانوا شاكيين مرتابين وأما ان عفى التصديق الذي لم يحصل
معه عمل فهو ناقص كالمعدوم فهذا صحيح ثم انما يثبت اذا ثبت أن الايمان مجرد تصديق القلب وعلمه
وذلك انما يثبت بعد تسليم هذه المقدمات التي منها هذا فلا تثبت الدعوى بالدعوى مع كفر صاحبها ثم
يقال قد علمنا بالاضطرار أن اليهود وغيرهم كانوا يعرفون أن محمداً رسول الله وكان يحكم بكفرهم فقد
علمنا من دينه ضرورة أنه يكفر الشخص مع ثبوت التصديق بنبوته في القلب اذا لم يعمل بهذا التصديق
بحيث يحبه ويعظمه ويسلم لما جاء به .. وما يعارضون به أن يقال هذا الذي ذكرتموه ان كان صحيحاً
فهو أدل على قول المرجئة بل على قول الكرامية منه على قولكم وذلك ان الايمان اذا كان هو التصديق
كما ذكرتم فالنصديق نوع من أنواع الكلام فاستعمال لفظ الكلام والقول ونحو ذلك في المعنى واللفظ
بل في اللفظ الدال على المعنى أكثر في اللغة من استعماله في المعنى المجرد عن اللفظ بل لا يوجد
قط اطلاق اسم الكلام ولا نوعه كالخبر والتصديق والتكذيب والأمر والنهي على مجرد المعنى من
غير شيء يقترب به من عبارة ولا إشارة ولا غيرهما وانما يستعمل مقيداً واذا كان الله انما أنزل
القرآن بلغة العرب فهي لا تعرف التصديق والتكذيب وغيرهما من الأقوال الا ما كان معنى ولفظاً
أو لفظاً يدل على معنى ولهذا لم يجعل الله أحداً مصدقاً للرسول بمجرد العلم والتصديق الذي في قلوبهم
حق يصدقهم بالسنتهم ولا يوجد في كلام العرب أن يقال فلان صدق فلاناً أو كذبه اذا كان يعلم
بقبله أنه صادق أو كاذب ولم يتكلم بذلك كما لا يقال أمره أو نهاه اذا قام بقلبه طلب مجرد عما يقترب به
من لفظ أو إشارة أو نحوهما ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام
الناس وقال ان الله يحدث من أمره ما شاء وان مما أحدث أن لا تكلموا في الصلوة اتفق العلماء على
انه اذا تكلم في الصلاة عامداً لغير مصلحتها بطلت صلاته واتفقوا كلهم على أن ما يقوم بالقلب من
تصديق بامور دينية وطلب لا يبطل الصلاة وانما يبطلها التكلم بذلك فعلم اتفاق المسلمين على أن هذا
ليس بكلام وأيضاً ففي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تجاوز لامتي عما حدثت
أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به فقد أخبر أن الله عفا عن حديث النفس الي أن تتكلم ففرق بين حديث
النفس وبين الكلام وأخبر أنه لا يؤخذ به حتى يتكلم به والمراد حتى ينطق اللسان باتفاق العلماء فعلم

أن هذا هو الكلام في اللغة لان الشارع كما قرر انما خاطبنا بلغة العرب وأيضاً ففي السنن ان معاذاً قال له يارسول الله وانا لما أخذون بما نتكلم به فقال وهل يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد السنتهم فيين أن الكلام انما هو ما يكون باللسان وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد لا كل شيء ما خلا الله باطلاً وفي الصحيحين عنه أنه قال كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان جيببتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقد قال الله تعالى (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذباً) وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهن من القرآن سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر رواه مسلم وقال تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) ومثل هذا كثير وفي الجملة حيث ذكر الله في كتابه عن أحد من الخلق من الانبياء أو أتباعهم أو مكذبيهم انهم قالوا ويقولون وذلك قولهم وأمثال ذلك فانما يعنى به المعنى مع اللفظ وما تصرف منه من فعل ماض ومضارع وأمر ومصدر واسم فاعل من لفظ القول والكلام ونحوهما انما يعرف في القرآن والسنة وسائر كلام العرب اذا كان لفظ ومعنى وكذلك أنواعه كالنصديق والتكذيب والامر والنهي وغير ذلك وهذا مما لا يمكن أحداً جمعه فانه أكثر من أن يحصى ولم يكن في معنى الكلام نزاع بين الصحابة والتابعين لهم باحسان وتابعيه لامن أهل السنة ولا من أهل البدعة بل أول من عرف في الاسلام انه جعل معنى الكلام المعنى فقط هو عبد الله بن سعيد بن كلاب وهو متأخر في زمن محنة أحمد بن حنبل وقد أنكر ذلك عليه علماء السنة وعلماء البدعة فيمتنع أن يكون الكلام الذي هو أظهر صفات بني آدم كما قال تعالى (فرب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون) ولفظه لا يخص وجوهه كثرة لم يعرفه أحد من الصحابة والتابعين وتابعيه حتى جاء من قال فيه قولاً لم يسبقه اليه أحد من المسلمين ولا غيرهم .. فان قالوا فقد قال تعالى (ويقولون في أنفسهم) وقال (واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة) ونحو ذلك .. قيل ان كان المراد انهم قالوه بألسنتهم سرّاً فلا حجة فيه وهذا هو الذي ذكره المفسرون قالوا كانوا يقولون سام عليك فاذا خرجوا يقولون في أنفسهم أي يقول بعضهم لبعض لو كان نبياً عذبنا بقولنا له ما نقول وان قدر انه أريد بذلك انهم قالوه في قلوبهم فهذا قول مقيد بالنفس مثله قوله عما حدثت بها أنفسها ولهذا قالوا لولا يؤخذنا الله بما نقول فأطلقوا لفظ القول هنا والمراد به ما قالوه بألسنتهم لانه التجوي والتجبة كما قال تعالى (ألم تر الى الذين نهوا عن التجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول واذا جاؤك حيوك بما لم يحبك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) مع أن الاول هو الذي عليه المفسرون وعليه تدل نظائره فان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ليس المراد أنه لا يتكلم به بلسانه بل المراد أنه ذكر الله بلسانه وكذلك قوله (واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول) هو الذكر باللسان والذي يقيد بالنفس لفظ

الحديث يقال حديث النفس ولم يوجد عنهم انهم قالوا كلام النفس وقول النفس كما قالوا حديث النفس ولهذا يعبر بلفظ الحديث عن الاحلام التي تري في المنام كقول يعقوب عليه السلام (ويعلمك من تأويل الاحاديث) وقول يوسف (وعلمتني من تأويل الاحاديث) وتلك في النفس لا تكون باللسان فلفظ الحديث قد يقيد بما في النفس بخلاف لفظ الكلام فانه لم يعرف انه أريد به ما في النفس فقط وأما قوله تعالى (وأسرأ قولكم أو أجهروا به انه عليم بذات الصدور) فالمراد به القول الذي تارة يسر به فلا يسمعه الانسان وتارة يجهر به فيسمعونه كما يقال أمر القراءة وجهر بها وصلاة السر وصلاة الجهر ولهذا لم يقل قوله بالسنتكم أو بقلوبكم وما في النفس لا يتصور الجهر به وإنما يجهر بما في اللسان وقوله (انه عليم بذات الصدور) من باب التثنية يقول انه يعلم ما في الصدور فكيف لا يعلم القول كما قال في الآية الاخرى (وان نجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى) فنبه بذلك على انه يعلم الجهر ويدل على ذلك انه قال (وأسرأ قولكم أو أجهروا به انه عليم بذات الصدور) فلو أراد بالقول ما في النفس لكونه ذكر علمه بذات الصدور لم يكن قد ذكر علمه بالنوع الآخر وهو الجهر وان قيل نبيه قيل بل نبيه على القسمين وقوله تعالى (آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا) قد ذكر هذا في قوله (ثلاث ليال سويا) وهناك لم يستثن شيئا والقصة واحدة وهذا يدل على أن الاستثناء منقطع والمعني آيتك ألا تكلم الناس لكن ترمز لهم رمزا كمنظاره في القرآن قوله (فأوحى اليهم) هو الرمز ولو قدر أن الرمز استثناء متصل لكان قد دخل في الكلام المقيد بالاستثناء كما في قوله (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بأذنه ما يشاء) ولا يلزم من ذلك أن يدخل في لفظ الكلام المطلق فليس في لغة القوم أصلا ما يدل على أن ما في النفس يتناوله امط الكلام والقول المطلق فضلا عن التصديق والتكذيب فعلم ان من لم يصدق بلسانه مع القدرة لا يسمى في لغة القوم مؤمنا كما اتفق على ذلك سلف الامة من الصحابة والتابعين لهم باحسان وقول عمر رضي الله عنه زورت في نفسي مقالة أردت أن أقولها حجة عليهم .. قال أبو عبيد التزوير اصلاح الكلام وتبينه قال وقال أبو زيد المزور من الكلام والمروق واحد وهو المصاحح الحسن وقال غيره زورت في نفسي مقالة أي هيأتها لأقولها فلفظه يدل على انه قدر في نفسه ما يريد أن يقوله ولم يقوله فعلم انه لا يكون قولاً الا اذا قيل باللسان وقبل ذلك لم يكن قولاً لكن كان مقدراً في النفس يراد أن يقال كما يقدر الانسان في نفسه انه يحجج وأنه يصلي وأنه يسافر الى غير ذلك فيكون لما يريد من القول والعمل صورة ذهنية مقدرة في النفس ولكن لا يسمى قولاً وعملاً الا اذا وجدت في الخارج كما انه لا يكون حاجاً ومصلياً الا اذا وجدت هذه الافعال في الخارج ولهذا كان ما بهم به المرء من الاقوال المحرمة والافعال المحرمة لا تكتب عليه حتى يقوله ويفعله وما هم به من القول الحسن والعمل الحسن انما يكتب له به حسنة واحدة فاذا صار قولاً وعملاً كتب له به عشر حسنات الى سبعمائة وعوقب عليه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل وأما البيت الذي يحكى عن الاخطأ أنه قال

ان الكلام لى الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فمن الناس من أنكر أن يكون هذا من شعره وقالوا أنهم فتشوا دواوينه فلم يجدوه وهذا يروى عن محمد ابن الخشاب وقال بعضهم لفظه أن البيان لى الفؤاد ولو احتج محتج في مسألة بحديث أخرجه في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم لقالوا هذا خبر واحد ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول وهذا البيت لم يثبت نقله عن قتله باسناد لا واحد ولا أكثر من واحد ولا تلقاه أهل العربية بالقبول فكيف يثبت به أدنى شيء من اللغة فضلا عن مسمى الكلام ثم يقال مسمى الكلام والقول ونحوهما ليس هو مما يحتاج فيه الى قول شاعر فان هذا مما تكلم به الأولون والآخرون من أهل اللغة وعرفوا معناه في لغتهم كما عرفوا مسمى الرأس واليد والرجل . . . وأيضاً فالناطقون باللغة يحتاج باستعمالهم للالفاظ في معانيها لأن ما يذكرونه من الحدود فان أهل اللغة الناطقين لا يقول أحد منهم أن الرأس كذا واليد كذا والكلام كذا واللون كذا بل ينطقون بهذه الالفاظ دالة على معانيها فتعرف لغتهم من استعمالهم فعلم أن الأخطل لم يرد بهذا أن يذكر مسمى الكلام ولا أحد من الشعراء يقصد ذلك البتة وانما أراد ان كان قال ذلك مافسره به المفسرون للشعر أى أصل الكلام من الفؤاد وهو المعنى فاذا قال الانسان بلسانه ما ليس في قلبه فلا يثق به وهذا كالأقوال التى ذكرها الله عن المنافقين ذكر أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ولهذا قال

لا يعجبك من أثير خطبة حتى يكون مع الكلام أصيلا

ان الكلام لى الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

نهام أن يعجب بقول الظاهر حتى يعلم مافى قلبه من الأصل ولهذا قال حتى يكون مع الكلام أصيلا وقوله مع الكلام دليل على أن اللفظ الظاهر قد سماه كلاماً وان لم يعلم قيام معناه بقلب صاحبه وهذا حجة عليهم فقد اشتمل شعره على هذا وهذا بل قوله مع الكلام مطلق وقوله ان الكلام لى الفؤاد أراد به أصله ومعناه المقصود به واللسان دليل على ذلك . . . وبالجملة فمن احتاج الى أن يعرف مسمى الكلام فى لغة العرب والفرس والروم والترك وسائر أجناس بنى آدم بقول شاعر فانه من أبعد الناس عن معرفة طرق العلم ثم هو من المولدين وليس من الشعراء القدماء وهو نصراني كافر مثلث واسمه الاخطل والخطل فساد فى الكلام وهو نصراني والنصارى قد أخطؤا فى مسمى الكلام فجعلوا المسيح القائم بنفسه هو نفس كلمة الله . . . فتبين انه ان كان الايمان فى اللغة هو التصديق والقرآن انما أراد به مجرد التصديق الذى هو قول ولم يسم العمل تصديقاً فليس الصواب الا قول المرجئة انه اللفظ والمعنى أو قول الكرامية انه قول باللسان فقط فان تسمية قول اللسان قولاً أشهر فى اللغة من تسمية معنى فى القلب قولاً كقوله تعالى (ويقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم) وقوله (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) وأمثال ذلك بخلاف مافى النفس فانه انما يسمى حديثاً والكرامية يقولون المنافق مؤمن وهو مخلص فى النار لانه آمن ظاهراً لا باطناً وانما يدخل الجنة من آمن ظاهراً وباطناً قالوا

والدليل على شمول الايمان له انه يدخل في الاحكام الدينية المتعلقة باسم الايمان كقوله تعالى (فتحرير رقية مؤمنة) ويخاطب في الظاهر بالجمعة والطهارة وغير ذلك مما خوطب به الذين آمنوا وأما من صدق بقلبه ولم يتكلم بلسانه فانه لا يعاقب به شيء من أحكام الايمان لاني الدنيا ولا في الآخرة ولا يدخل في خطاب الله لعباده بقوله (يا أيها الذين آمنوا) فلم أن قول الكرامية في الايمان وان كان باطلا مبتدعا لم يسبقهم اليه أحد فقول الجهمية أبطل منه وأولئك أقرب الي الاستدلال باللغة والقرآن والعقل من الجهمية . . والكرامية توافق المرجئة والجهمية في أن ايمان الناس كلهم سواء ولا يستثنون في الايمان بل يقولون هو مؤمن حقاً لمن أظهر الايمان واذا كان منافقاً فهو مخلد في النار عندهم فانه انما يدخل الجنة من آمن باطلاً وظاهراً ومن حكى عنهم أنهم يقولون المنافق يدخل الجنة فقد كذب عليهم بل يقولون المنافق مؤمن لان الايمان هو القول الظاهر كما يسميه غيرهم مسلم اذ الاسلام الاستسلام للظاهر ولا ريب أن قول الجهمية أفسد من قولهم من وجوه متعددة شرعا ولغة وعقلا . . واذا قيل قول الكرامية قول خارج عن اجماع المسلمين . . قيل وقول جهم في الايمان قول خارج عن اجماع المسلمين قبله بل السلف كفروا من يقول بقول جهم في الايمان . . وقد احتج الناس على فساد قول الكرامية بجميع صحيحة والحجج من جنسها على فساد قول الجهمية أكثر مثل قوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين) قالوا فقد نفى الله الايمان عن المنافقين . . فنقول هذا حق فان المنافق ليس بمؤمن وقد ضل من سواه مؤمناً وكذلك من قام بقلبه علم وتصديق وهو يجحد الرسول ويعاديه كاليهود وغيرهم سبهم الله كفاراً لم يسمهم مؤمنين قط ولا دخلوا في شيء من أحكام الايمان بخلاف المنافق فانه يدخل في أحكام الايمان الظاهرة في الدنيا بل قد نفى الله الايمان عن من قال بلسانه وقلبه اذا لم يعمل كما قال تعالى (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) الى قوله (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) ففي الايمان عن سوي هؤلاء وقال تعالى (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولي فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين) والتولي هو التولي عن الطاعة كما قال تعالى (استدعوا الى قوم أولى بأس شديد فتقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً) وقال تعالى (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولي) فلم أن التولي ليس هو التكذيب بل هو التولي عن الطاعة فان الناس عليهم أن يصدقوا الرسول فيما أخبر ويطيعوه فيما أمر وضد التصديق التكذيب وضد الطاعة التولي فلماذا قال (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولي) وقد قال تعالى (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولي فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين) ففي الايمان عن تولى عن العمل وان كان قد أتى بالقول وقال تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معاً على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه) وقال (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) ففي القرآن والسنة من نفى الايمان عن من يأت بالعمل مواضع كثيرة كما نفى فيها الايمان عن المنافق وأما العالم بقلبه مع المعادة

والمخالفة الظاهرة فهذا لم يسم قط مؤمناً وعند الجهمية إذا كان العلم في قلبه فهو مؤمن كامل الإيمان إيمانه
 كإيمان النبيين ولو قال وعمل ماذا عسى أن يقول ويعمل ولا يتصور عندهم أن ينتفى عنه الإيمان إلا إذا
 زال ذلك العلم من قلبه .. ثم أكثر المتأخرين الذين نصروا قول جهم يقولون بالاستثناء في الإيمان ويقولون
 الإيمان في الشرع هو ما يوافق به العبد ربه وإن كان في اللغة أعم من ذلك فجعلوا في مسألة الاستثناء مسمى
 الإيمان ما ادعوا أنه مسماء في الشرع وعدلوا عن اللغة فهلا فعلوا هذا في الأعمال ودلالة الشرع على أن
 الأعمال الواجبة من تمام الإيمان لا تخص كثرة بخلاف دلالة على أنه لا يسمي إيماناً إلا ما مات الرجل عليه
 فإنه ليس في الشرع ما يدل على هذا وهو قول محدث لم يقله أحد من السلف لكن هؤلاء ظنوا أن الذين
 استثنوا في الإيمان من السلف كان هذا مأخذهم لأن هؤلاء وأمثالهم لم يكونوا خبيرين بكلام السلف
 بل ينصرون ما يظهر من أقوالهم بما تلقوه عن المتكلمين من الجهمية ونحوهم من أهل البدع فيبقى الظاهر
 قول السلف والباطن قول الجهمية الذين هم أفسد الناس مقالة في الإيمان وسنذكر أن شاء الله أقوال
 السلف في الاستثناء ولهذا لما صار يظهر لبعض أتباع أبي الحسن فساد قول جهم في الإيمان خالفه كثير
 منهم فمنهم من اتبع السلف .. قال أبو القاسم الانصاري شيخ الشريفة في شرح الإرشاد لأبي المعالي
 بعد أن ذكر قول أصحابه قال وذهب أهل الأثر إلى أن الإيمان جميع الطاعات فرضها ونفلها وعبروا عنه
 بأنه آتيان مأمراً الله به فرضاً ونفلان والانتها عما نهى عنه تحريماً وأدباً وقال وبهذا كان يقول أبو علي
 الثقفى من متقدمي أصحابنا وأبو العباس القلانسي وقدمل إلى هذا المذهب أبو عبد الله بن مجاهد قال
 وهذا قول مالك بن أنس إمام دار الهجرة ومعظم أئمة السلف رضوان الله عليهم أجمعين وكانوا يقولون
 الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالركان ومنهم من يقول بقول المرجئة أنه التصديق بالقلب
 واللسان ومنهم من قال إذا ترك التصديق باللسان عناداً كان كافراً بالشرع وإن كان في قلبه التصديق والعلم
 وكذلك قال أبو اسحاق الاسفرائيني .. قال الانصاري رأيت في تصانيفه أن المؤمن إنما يكون مؤمناً
 حقاً إذا حقق إيمانه بالأعمال الصالحة كما أن العالم إنما يكون عالماً حقاً إذا عمل بما علم واستشهد بقول الله
 تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً) إلى قوله
 (أولئك هم المؤمنون حقاً) .. وقال أيضاً أبو اسحاق حقيقة الإيمان في اللغة التصديق ولا يتحقق ذلك
 إلا بالمعرفة والانتهاز وتقوم الإشارة والانقياد مقام العبارة .. وقال أيضاً أبو اسحاق في كتاب الاسماء
 والصفات اتفقوا على أن ما يستحق به المكافئ اسم الإيمان في الشريعة أوصاف كثيرة وعقائد مختلفة وإن
 اختلفوا فيها على تفصيل ذكره واختلفوا في إضافة ما يدخل في جملة التصديق إليه لصحة الاسم فيها
 ترك قتل الرسول وترك إيذائه وترك تعظيم الأصنام فهذا من التزك ومن الأفعال نصرة الرسول والذب
 عنه وقالوا إن جميعه يضاف إلى التصديق شرعاً وقال آخرون أنه من الكبائر لا يخرج المرء بالمخالفة فيه
 عن الإيمان .. قلت وهذا القولان ليسا قول جهم لكن من قال ذلك فقد اعترف بأنه ليس مجرد
 تصديق القلب وليس هو شيئاً واحداً وقال إن الشرع تصرف فيه وهذا أهم أصلهم ولهذا كان حذاق

هؤلاء كجهم والصالحى وأبى الحسن والقاضى أبى بكر على انه لا يزول عنه اسم الايمان الا بزوال العلم من قلبه قال أبو المعالى باب في ذكر الاسماء والاحكام

اعلم أن غرضنا في هذا الباب يستدعى تقديم ذكر حقيقة الايمان قال وهذا مما تباينت فيه مذاهب الاسلاميين ثم ذكر قول الخوارج والمعتزلة والكرامية ثم قال وأما مذاهب أصحابنا فصار التحقيق من أصحاب الحديث والنظار منهم الى أن الايمان هو التصديق وبه قال شيخنا أبو الحسن رحمه الله عليه واختلف رأيه في معنى التصديق فقال مرة هو المعرفة بوجوده وقدمه وإلهيته وقال مرة التصديق قول في النفس غير أنه يتضمن المعرفة ولا يصح أن يوجد دونها وهذا مقتضاه فإن التصديق والتكذيب والصدق والكذب بالاقوال أجدر بالتصديق اذا قول في النفس يعبر عنه باللسان فتوصف العبادة بأنها تصديق لأنها عبارة عن التصديق قال وقال بعض أصحابنا التصديق لا يتحقق إلا بالقول والصدق جميعاً فاذا اجتماعاً كانا تصديقاً واحداً ومنهم من اكتفى بترك العناد فلم يجعل الاقرار أحد ركبي الايمان فيقول الايمان هو التصديق بالقلب وأوجب ترك العناد بالشرع وعلى هذا الاصل يجوز أن يعرف الكافر الله وإنما يكفر بالعناد لانه ترك ما هو الاهم في الايمان وعلى هذا الاصل يقال إن اليهود كانوا عاكفين بالله ونسبة محمد صلى الله عليه وسلم الا أنهم كفروا عناداً وبغياً وحسداً وعلى قول شيخنا أبى الحسن كل من حكمنا بكفره فنقول انه لا يعرف الله أصلاً ولا عرف رسوله ولا دينه قال أبو القاسم الانصارى تلميذه كان المعنى لاحكم لايمانه ولا معرفته شرعاً قلت وليس الامر على هذا القول كما قاله الانصارى هذا ولكن على قولهم المعاند كافر شرعاً فيجعل الكفر تارة بانتفاء الايمان الذى في القلب وتارة بالعناد ويجعل هذا كافراً في الشرع وان كان معه حقيقة الايمان الذى هو التصديق ويلزمه أن يكون كافراً في الشرع مع أن معه الايمان الذى هو مثل إيمان الانبياء والملائكة والخدائق في هذا المذهب كأبى الحسن والقاضى ومن قبلهم من أتباع جهم عرفوا أن هذا تناقض يفسد الاصل فقالوا لا يكون واحد كافر إلا اذا ذهب ما في قلبه من التصديق والتزموا أن كل من حكم الشرع بكفره فانه ليس في قلبه شيء من معرفة الله ولا معرفة رسوله ولهذا أنكروا هذا عليهم جماهير العقلاء وقالوا هذا مكابرة وسفسطة وقد احتجوا على قولهم بقوله تعالى (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) الى قوله (أولئك كذب في قلوبهم الايمان) الآية قالوا ومفهوم هذا إن لم يعمل بمقتضاه لم يكتب في قلوبهم الايمان • قالوا فان قيل معناه لا يؤمنون إيماناً مجزئاً معتداً به أو يكون المعنى لا يوادون حقوق الايمان ولا يعملون بمقتضاه • قلنا هذا عام لا يخص الا بدليل فيقال لهم هذه الآية فيها نفى الايمان عن يواد المحادين لله ورسوله وفيه أن من لا يواد المحادين لله ورسوله فان الله كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه وهذا يدل على مذهب السلف أنه لا بد في الايمان من محبة القلب لله ورسوله ومن بغض من يحاد الله ورسوله ثم لم تدل الآية على أن العلم الذى في قلوبهم بأن محمداً رسول الله يرتفع لا يبقى منه شيء والايمان الذى كتب ليس هو مجرد العلم والتصديق بل هو تصديق القلب وعمل القلب ولهذا

قال (وأيدهم بروح منه وبُدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) فقد وعدهم بالجنة وقد اتفق الجميع على ان الوعد بالجنة لا يكون الا مع الايمان بالأمور به وترك المحظور فعلم أن هؤلاء الذين كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه قد أدوا الواجبات التي بها يستحقون ما وعد الله به الابرار المتقين ودل هذا على أن الفساق لم يدخلوا في هذا الوعد ودلت هذه الآية على أنه لا يوجد مؤمن يواد الكفار ومعلوم أن خلقا كثيرا من الناس يعرف من نفسه أن التصديق في قلبه لم يكنذب الرسول وهو مع هذا يواد بعض الكفار فالسلف يقولون ترك الواجبات الظاهرة دليل على انتفاء الايمان الواجب من القلب لكن قد يكون ذلك بزوال عمل القلب الذي هو حب الله ورسوله وخشيته الله ونحو ذلك لا يستلزم أن لا يكون في القلب من التصديق شيء وعند هؤلاء كل من نفي الشرع لإيمانه دل على أنه ليس في قلبه شيء من التصديق أصلاً وهذا سفسطة عند جماهير العقلاء وكذلك حكى ابن فورك عن أبي الحسن قال الايمان هو اعتقاد صدق المخبر فيما يخبر به اعتقاداً هو علم ومنه ليس بعلم والايمان بالله وهو اعتقاد صدقه وإنما يصح إذا كان حالاً بصدقه في أخباره وإنما يكون كذلك إذا كان علماً بأنه يتكلم والعلم بأنه متكلم بعد العلم بأنه حي والعلم بأنه حي بمسند العلم بأنه فاعل والعلم بأنه فاعل بعينه العلم بالفعل وهو كون العالم فعلاً له قال وكذلك يتضمن العلم بكونه قادراً وله قدرة وعالماً وله علم ومريداً وله إرادة وسائر ما لا يصح العلم بالله الا بعد العلم به من شرائط الايمان . . . قلت هذا مما اختلف فيه قول الاشعري وهو أن الجهل ببعض الصفات هل يكون جهلاً بالموصوف أم لا على قولين والصحيح الذي عليه الجمهور وهو آخر قوايه أنه لا يستلزم الجهل بالموصوف وجعل إثبات الصفات من الايمان مما خالف فيه الاشعري جهماً فإن جهماً غالي في نفي الصفات بل وفي نفي الاسماء قال أبو الحسن السمع ورد بضم شرائط آخر اليه وهو أن لا يقرن به ما يدل على كفر من بآتيه فعلاً وتركاً وهو أن الشرع أمره بترك العبادة والسجود للضم فلو أتى به دل على كفره وكذلك من قتل نبياً أو استخف به دل على كفره وكذلك لو ترك تعظيم المصحف والكعبة دل على كفره قال واحد ما استدللنا به على كفره ما منع الشرع أن يقرنه بالايمان أو أوجب ضمه الى الايمان لو وجد دلنا ذلك على أن التصديق الذي هو الايمان مفقود من قلبه وكذلك كل ما كفر به الخالف من طريق التأويل قائماً كفرناه به لدلالته على ما فقد ما هو ايمان من قلبه لاستحالة أن يقضى السمع بكفر من معه الايمان والتصديق بقلبه فيقال لا ريب أن الشارع لا يقضى بكفر من معه الايمان بقلبه لكن دعواكم أن الايمان هو التصديق وان تجرد عن جميع أعمال القلب غلط ولهذا قالوا أعمال التصديق والمعرفة من قلبه ألا ترى أن الشريعة حكمت بكفره والشريعة لا تحكم بكفر المؤمن المصدق ولهذا نقول ان كفر ابليس لعنه الله كان أشد من كفر كل كافر وأنه لم يعرف الله بصفاته قطعاً ولا آمن به إيماناً حقيقياً باطنياً وان وجد منه القول والعبادة وكذلك اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من الكفرة لم يوجد في قلوبهم حقيقة الايمان المعتمد به في حال حكمناهم

بالكفر قال الله تعالى (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء) وقوله (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) الآية لجعل الله هذه الامور شرطاً في ثبوت حكم الايمان فثبت أن الايمان المعرفة بشرائط لا يكون معتدا به دونها . . فيقال ان قلتم انه ضم الى معرفة القلب شروطاً في ثبوت الحكم أو الاسم لم يكن هذا قول جهم بل يكون هذا قول من جعل الايمان كالصلاة والحج هو وان كان في اللغة بمعنى القصد والدعاء لكن الشارع ضم اليه أموراً اما في الحكم وأما في الحكم والاسم وهذا القول قد سلم صاحبه ان حكم الايمان المذكور في الكتاب والسنة لا يثبت بمجرد تصديق القلب بل لابد من تلك الشرائط وعلى هذا لا يمكنه جعل الفاسق مؤمناً الا بدليل يدل على ذلك لا بمجرد قول ان معه تصديق القلب ومن جعل الايمان هو تصديق القلب يقول كل كافر في النار ليس معه من التصديق بالله شيء الا مع ابليس ولا مع غيره وقد قال الله تعالى (واذا نجاك في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد) وقال تعالى (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمراً حتى اذا جاؤا فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) فقد اعترفوا بأن الرسل أنتم وتلت عليهم آيات ربهم وأنذرتهم لقاء يومهم هذا فقد عرفوا الله ورسوله واليوم الآخر وهم في الآخرة كفار وقال تعالى (كلا التي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء) فقد كذبوا بوجوده وكذبوا بتنزيله وأما في الآخرة فعرفوا الجميع وقال تعالى (ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) وقال تعالى (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) الى قوله (لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) الى آيات أخر كثيرة تدل على ان الكفار في الآخرة يعرفون ربهم فان كان مجرد المعرفة ايمانا كانوا مؤمنين في الآخرة . . فان قالوا الايمان في الآخرة لا ينفع وانما الثواب على الايمان في الدنيا . . قيل هذا صحيح لكن اذا لم يكن الايمان الا مجرد العلم فهذه الحقيقة لا تختلف فان لم يكن العمل من الايمان فالعارف في الآخرة لم يفقه شيء من الايمان لكن أكثر ما يدعونه انه حين مات لم يكن في قلبه من التصديق بالرب شيء ونصوص القرآن في غير موضع تدل على ان الكفار كانوا في الدنيا مصدقين بالرب حتي فرعون الذي أظهر التكذيب كان في باطنه مصدقاً قال تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) وكما قال موسى لفرعون (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر) ومع هذا لم يكن مؤمناً بل قال موسى (ربنا اطمس على أموالهم وأشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتي يروا العذاب الاليم) قال الله (قد أجيب دعوتك) ولما قال فرعون (آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل) قال الله (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) فوصفه بالمعصية لم يصفه بعدم العلم في الباطن كما قال (فعصى فرعون الرسول) وكما قال عن ابليس (فسجد الملائكة كلهم

أجمعون الا ابليس أبي واستكبر وكان من الكافرين) فلم يصفه الا بالاباء والاستكبار ومعارضته الامر لم يصفه بعدم العلم وقد أخبر الله عن الكفار انهم كانوا معترفين بالصانع في مثل قوله (ولئن سألتهم من خنقهم ليقولن الله) ثم يقال لهم اذا قلتم هو التصديق بالقلب أو باللسان أو بهما فهل هو التصديق الجمل أو لا بدفيه من التفصيل فلو صدق ان محمداً رسول الله ولم يعرف صفات الحق هل يكون مؤمناً أم لا فان جعلوه مؤمناً قبل فاذا باغه ذلك فكذب به لم يكن مؤمناً باتفاق المسلمين فصار بعض الايمان أكمل من بعض وان قالوا لا يكون مؤمناً لزمهم ان لا يكون أجدر مؤمناً حتى يعرف تفصيل كل ما أخبر به الرسول ومعلوم ان أكثر الامة لا يعرفون ذلك وعندهم الايمان لا يتفاضل الا بالدوام فقط قال أبو المعالي . فان قال القائل أصلكم يلزمكم ان يكون ايمان المتهتك في فسقه كإيمان النبي صلى الله عليه وسلم . قلنا الذي يفضل ايمانه على ايمان من عداه باستمرار تصديقه وعصمة الله إياه من مخامرة الشكوك واختلاج الريب والتصديق عرض من الاعراض لا يبقى وهو متوال للنبي صلى الله عليه وسلم ثابت لغيره في بعض الاوقات وزائل عنه في أوقات الفترات فيثبت للنبي صلى الله عليه وسلم أعداد من التصديق ولا يثبت لغيره الا بعضها فيكون ايمانه لذلك أكثر وأفضل قال ولو وصف الايمان بالزيادة والنقصان وأريد به ذلك كان مستقيماً قلت فهذا هو الذي يفضل به النبي غيره في الايمان عندهم ومعلوم ان هذا في غاية الفساد من وجوه كثيرة كما قد بسط في مواضع آخر

(فصل) قال الذين نصرُوا مذهب جهم في الايمان من المتأخرين كالقاضي أبي بكر وهذا لفظه فان قال قائل وما الاسلام عندهم قيل له الاسلام الاتقياد والاستسلام فكل طاعة اتقاد العبد بها لربه واستسلم فيها لامره فهي اسلام والايمان خصلة من خصال الاسلام وكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايماناً فان قال فلم قلتم ان معنى الاسلام ما وصفتم قيل لاجل قوله تعالى (قالت الاعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) فنفى عنهم الايمان وأثبت لهم الاسلام وانما أراد بما أثبتته الاتقياد والاستسلام ومنه القوا اليكم السلم وكل من استسلم لشيء فقد أسلم وان كان أكثر ما يستعمل ذلك في المستسلم لله ولنبيه . قلت وهذا الذي ذكروه مع بطلانه ومخالفته للكتاب والسنة هو تناقض فاتهم جعلوا الايمان خصلة من خصال الاسلام فالطاعات كلها اسلام وليس فيها ايمان الا التصديق والمرجئة وان قالوا ان الايمان تضمن الاسلام فهم يقولون الايمان هو تصديق القلب واللسان وأما الجهمية فيجعلونه تصديق القلب فلا تكون الشهاداتان ولا الصلوة ولا الزكاة ولا غيرهن من الايمان وقد تقدم ما بينه الله ورسوله من ان الاسلام داخل في الايمان فلا يكون الرجل مؤمناً حتى يكون مسلماً كما ان الايمان داخل في الاحسان فلا يكون محسناً حتى يكون مؤمناً . . . وأما التناقض فاتهم اذا قالوا الايمان خصلة من خصال الاسلام كان من أنى بالايمان انما أنى بخصلة من خصال الاسلام لا بالاسلام الواجب جميعه فلا يكون مسلماً حتى يأتي بالاسلام كله كما لا يكون عندهم مؤمناً حتى يأتي بالايمان كله والا فمن أنى ببعض الايمان عندهم لا يكون مؤمناً ولا فيه شيء من الايمان فكذلك يجب ان يقولوا في الاسلام وقد قالوا كل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايماناً وهذا

ان أرادوا به ان كل ايمان هو الاسلام الذي أمر الله به ناقض قولهم ان الايمان خصلة من خصاله فجعلوا
 الايمان بعضه ولم يجعلوه اياه وان قالوا كل ايمان فهو اسلام أي هو طاعة لله وهو جزء من الاسلام
 الواجب وهذا مرادهم قيل لهم فعلى هذا يكون الاسلام متعددًا بتعدد الطاعات وتكون الشهادتان
 وحدهما اسلامًا والصلاة وحدهما اسلامًا والزكاة اسلامًا بل كل درهم تعطيه للفقير اسلامًا وكل سجدة
 اسلامًا وكل يوم تصومه اسلامًا وكل تسبيحة تسببحها في الصلاة أو غيرها اسلامًا ثم المسلم ان كان
 لا يكون مسلمًا الا بفعل كل ما سميتوه اسلامًا لزم أن يكون الفساق ليسوا مسلمين مع كونهم مؤمنين
 فجعلتم المؤمنين الكاملين الايمان عندكم ليسوا مسلمين وهذا شر من قول الكرامية ويلزم ان الفساق
 من أهل القبلة ليسوا مسلمين وهذا شر من قول الخوارج والمعتزلة وغيرهم بل وأن يكون من ترك
 التطوعات ليس مسلمًا اذ كانت التطوعات طاعة لله ان جعلتم كل طاعة فرضًا أو نفلاً اسلامًا ثم هذا
 خلاف ما احتججتم به من قوله للأعراب لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا فأنبت لهم الاسلام دون الايمان
 وأيضًا فاخراجكم الفساق من اسم الاسلام ان أخرجتموه أعظم شناعة من اخراجهم من اسم الايمان
 فوقعت في أعظم ما عبتوه على المعتزلة فان الكتاب والسنة ينفي عنهم اسم الايمان أعظم مما ينفي اسم الاسلام
 واسم الايمان في الكتاب والسنة أعظم وان قلتم بل كل من فعل طاعة سمي مسلمًا لزم أن يكون من
 فعل طاعة من الطاعات ولم يتكلم بالشهادتين مسلمًا ومن صدق بقلبه ولم يتكلم بلسانه أن يكون مسلمًا
 عندكم لأن الايمان عندكم اسلام فمن أتى به فقد أتى بالاسلام فيكون مسلمًا عندكم من تكلم بالشهادتين
 ولا أتى بشيء من الاعمال واحتجاجكم بقوله (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) قائم
 نفى عنهم الايمان وأثبت لهم الاسلام .. فيقال هذه الآية حجة عليكم لانه لما أثبت الاسلام مع انتفاء
 الايمان دل ذلك على أن الايمان ليس بجزء من الاسلام اذ لو كان بعضه لما كانوا مسلمين ان لم يأتوا به وان
 قلتم أردنا بقولنا أثبت لهم الاسلام أي اسلامًا فان كل طاعة من الاسلام اسلام عندنا لزمكم ما تقدم من
 أن يكون صوم يوم اسلامًا وصدقة درهم اسلامًا وأمثال ذلك وهم يقولون كل مؤمن مسلم وليس كل
 مسلم مؤمنًا قالوا هذا من حيث الاطلاق والا فالنصيب ما ذكرناه من أن الايمان خصلة من خصال
 الاسلام والدين وليس هو جميع الاسلام والدين فان الاسلام هو الاستسلام لله بفعل كل طاعة
 وقعت موافقة للأمر والايمان أعظم خصلة من خصال الاسلام واسم الاسلام شامل لكل طاعة اتقاد
 بها العبد لله من ايمان وتصديق وفرض سواء وفعل غير انه لا يصح التقرب بفعل ما عدا الايمان
 من الطاعات دون تقديم فعل الايمان قالوا والدين مأخوذ من التدين وهو قريب من الاسلام في
 المعنى .. فيقال لهم اذا كان هذا قولهم فقولكم كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنًا يناقض هذا
 فان المسلم هو المطيع لله ولا تصح الطاعة من أحد الا مع الايمان فيمتنع أن يكون أحد فعل شيئًا من
 الاسلام الا وهو مؤمن ولو كان ذلك أدنى الطاعات فيجب أن يكون كل مسلم مؤمنًا سواء أريد بالاسلام
 فعل جميع الطاعات أو فعل واحدة منها وذلك لا يصح كله الا مع الايمان وحينئذ فلا آية حجة عليكم

لا لكم ثم قولكم كل مؤمن مسلم وانكم تريدون بالإيمان تصديق القلب فقط فيلزم أن يكون الرجل مسلماً ولو لم يتكلم بالشهادتين ولا أتى بشيء من الأعمال المأمور بها وهذا ما يعلم بطلانه بالضرورة من دين الاسلام بل عامة اليهود والنصارى يعلمون أن الرجل لا يكون مسلماً حتى يأتي بالشهادتين أو ما يقوم مقامهما وقولكم كل مؤمن مسلم لا تريدون أنه أتى بالشهادتين ولا أتى بشيء من المباني الخمس بل أتى بما هو طاعة وتلك طاعة باطنة وليس هذا هو المسلم المعروف في الكتاب والسنة ولا عند الأئمة الأولين والآخرين ثم استدلالهم بالآية والاعراب إنما أتوا باسلام ظاهر نطقوا فيه بالشهادتين سواء كانوا صادقين أو كاذبين فثبت الله لهم الاسلام دون الإيمان فيظن من لا يعرف حقيقة الامر أن هذا هو قول السلف الذي دل عليه الكتاب والسنة من أن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً وبينهما من النبيين أعظم مما بين قول السلف وقول المعتزلة في الإيمان والاسلام فإن قول المعتزلة في الإيمان والاسلام أقرب من قول الجهمية بكثير ولكن قولهم في تخليد أهل القبلة أبعد عن قول السلف من قول الجهمية فالتأخرون الذين نصروا قول جهم في مسألة الإيمان يظهرون قول السلف في هذا وفي الاستثناء وفي انتفاء الإيمان الذي في القلب حيث نفاه القرآن ونحو ذلك وذلك كله موافق للسلف في مجرد اللفظ والا فقولهم في غاية المباني لقول السلف ليس في الاقوال أبعد عن السلف منه وقول المعتزلة والحوارج والكرامية في اسم الإيمان والاسلام أقرب الى قول السلف من قول الجهمية لكن المعتزلة والحوارج يقولون بتخليد العصاة وهذا أبعد عن قول السلف من كل قول فهم أقرب في الاسم وأبعد في الحكم والجهمية وإن كانوا في قولهم بأن الفساق لا ينجسون أقرب في الحكم الى السلف فقولهم في مسمى الاسلام والإيمان وحقيقتهما أبعد من كل قول عن الكتاب والسنة وفيه من مناقضة العقل والشرع واللغة ما لا يوجد مثله لغيرهم

(فصل) وما يدل من القرآن على أن الإيمان المطلق مستلزم للأعمال قوله تعالى (إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون) ففي الإيمان عن غير هؤلاء فن كان إذا ذكر بالقرآن لا يفعل ما فرضه الله عليه من السجود لم يكن من المؤمنين وسجود الصلوات الخمس فرض باتفاق المسلمين وأما سجود التلاوة ففيه نزاع وقد يخرج بهذه الآية من يوجبها لكن ليس هذا موضع بسط هذه المسئلة فهذه الآية مثل قوله (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) وقوله (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) وقوله (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنه) ومن ذلك قوله تعالى (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لا يستأذذك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين) إنما يستأذذك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ربهم يترددون (وهذه الآية مثل قوله (لا نجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) وقوله (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء) بين سبحانه أن الإيمان له لوازم وله أضرار موجودة يستلزم ثبوت لوازمه وانتفاء

أضداده ومن أضداده موادة من حاد الله ورسوله ومن أضداده استثنائه في ترك الجهاد ثم صرح بان استثنائه انما يصدر من الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ودل قوله والله عليم بالمتقين على أن المتقين هم المؤمنون . . . ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وقوله لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه وقوله لا تؤمنوا حتى تحابوا وقوله لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين وقوله لا يؤمن أحدكم حتى يحب ل أخيه من الخير ما يجب لنفسه وقوله من غشنا فليس منا ومن حمل علينا السلاح فليس منا

(فصل) وأما إذا قيد الإيمان بقرن بالاسلام أو بالعمل الصالح فانه قد يراد به مافى القلب من الإيمان باتفاق الناس وهل يراد به أيضاً المعطوف عليه ويكون من باب عطف الخاص على العام أو لا يكون حين الافتتان داخل في مسماه بل لا يكون لازماً له على مذهب أهل السنة لا يكون بعضاً ولا لازماً هذا فيه ثلاثة أقوال للناس كما سيأتي ان شاء الله وهذا موجود في عامة الاسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد مثال ذلك اسم المعروف والمنكر اذا أطلق كما في قوله تعالى (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) وقوله (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) وقوله (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) يدخل في المعروف كل خير وفي المنكر كل شر ثم قد يقرن بما هو أخص منه كقوله (لاخير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس) فغابر بين المعروف وبين الصدقة والإصلاح بين الناس كما غابر بين اسم الإيمان والعمل واسم الإيمان والاسلام وكذلك قوله تعالى (ان الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر) غابر بينهما وقد دخلت الفحشاء في المنكر في قوله (وينهي عن المنكر) ثم ذكر مع المنكر اثنين في قوله (ان الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغى) جمع ل البغى هنا مغايراً لهما وقد دخل في المنكر في ذينك الموضعين . . . ومن هذا الباب لفظ العبادة فاذا أمر بعبادة الله مطلقاً دخل في عبادته كل ما أمر الله بالتوكل عليه بما أمر به والاستعانة به مما أمر به فيدخل ذلك في مثل قوله (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وفي قوله (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) وقوله (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم) وقوله (انا أنزل اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين) قل الله أعبد مخلصاً له ديني) وقوله (أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) ثم قد يقرن بها اسم آخر كما في قوله (اياك نعبد و اياك نستعين) وقوله (فاعبدوه وتوكل عليه) وقول نوح (اعبدوا الله واتقوه وأطيعوني) وكذلك اذا أفرد اسم طاعة الله دخل في طاعته كل ما أمر به وكانت طاعة الرسول داخلة في طاعته وكذا اسم التقوى اذا أفرد دخل فيه فعل كل مأمور به وترك كل محظور قال طلق بن حبيب التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو رحمة الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عذاب الله وهذا كما في قوله (ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر) وقد يقرن بها اسم آخر كقوله (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وقوله (انه من يتق

ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين) وقوله (واقفوا الله الذي تساءلون به والارحام) وقوله (اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً) وقوله (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) وقوله (اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون) وأمثال ذلك فقوله (اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً) مثل قوله (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) وقوله (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) فعطف قولهم على الايمان كما عطف القول السديد على التقوي ومعلوم أن التقوى اذا أطلقت دخل فيها القول السديد وكذلك الايمان اذا أطلق دخل فيه السمع والطاعة لله وللرسول وكذلك قوله آمنوا بالله ورسوله واذا أطلق الايمان بالله في حق أمة محمد دخل فيه الايمان بالرسول وكذلك قوله كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واذا أطلق الايمان بالله دخل فيه الايمان بهذه التوابع وكذلك قوله (والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) وقوله (قولوا آمنا بالله وما أنزل اليه وما أنزل الى ابراهيم) الآية واذا قيل في قوله (آمنوا بالله ورسوله النبي الأمي) دخل في الايمان برسوله الايمان بجميع الكتب والنبیین وكذلك اذا قيل (آمنوا بالله ورسوله يؤتكم كفلين من رحمته) واذا قيل آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) دخل في الايمان بالله ورسوله الايمان بذلك كله والانفاق يدخل في قوله في الآية الاخرى آمنوا بالله ورسوله كما يدخل القول السديد في مثل قوله (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب وكذلك لفظ البر اذا أطلق تناول جميع ما أمر الله به كما في قوله) ان الابرار لى نعيم وان الفجار لى جحيم) وقوله (ولكن البر من اتقى) وقوله (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبیین وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) فالبر اذا أطلق كان مسمياً للتقوى والتقوى اذا أطلقت كان مسمياً بالبر ثم قد يجمع بينهما كما في قوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) وكذلك لفظ الاثم اذا أطلق دخل فيه كل ذنب وقد يقرن بالعدوان كما في قوله تعالى (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) وكذلك لفظ الذنوب اذا أطلق دخل فيه ترك كل واجب وفعل كل محرم كما في قوله (يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً) ثم قد يقرن بغيره كما في قوله (ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرفنا في أمرنا) وكذلك لفظ الهدى اذا أطلق تناول العلم الذى بعث الله به رسوله والعمل به جميعاً فيدخل فيه كل ما أمر به كما في قوله (اهدنا الصراط المستقيم) والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميعاً وكذلك قوله هدى للمتقين المراد به انهم يعملون ما فيه ويعملون به ولهذا صاروا مفلحين وكذلك قول أهل الجنة (الحمد لله الذي هدانا لهذا) وانما هداهم بان ألهمهم العلم النافع والعمل الصالح ثم قد يقرن الهدى اما بالاجتهاد كما في قوله (واجتنبناهم وهديتناهم الى صراط مستقيم) وكما في قوله شاكر لا نعمه اجتهاد وهداه (الله يجتبي اليه من يشاء ويهdy اليه من ينيب) وكذلك قوله تعالى (هو الذى أرسل رسوله

بالهدي ودين الحق) والهدي هنا الايمان ودين الحق هو الاسلام واذا أطلق الهدي كان كالايان المطلق يدخل فيه هذا وهذا ولفظ الضلال اذا أطلق تناول من ضل عن الهدي سواء كان عمداً أو جهلاً ولزم أن يكون معذبا كقوله (انهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثامهم بهرعون) وقوله (ربنا انا أظننا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السيلا ربنا آثمهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا) وقوله (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى) ثم يقرن بالنبي أو الغضب كما في قوله (ماض صاحبكم وما غوى) وفي قوله (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) وقوله (ان المجرمين فى ضلال وسعر) وكذلك لفظ النبي اذا أطلق تناول كل معصية لله كما في قوله عن الشيطان (لا غويزهم أجمعين الاعبادك منهم المخلصين) وقد يقرن بالضلال كما في قوله (ماض صاحبكم وما غوى) • وكذلك اسم الفقير اذا أطلق دخل فيه المسكين واذا أطلق لفظ المسكين تناول الفقير واذا قرن بينهما فاحدهما غير الآخر فالاول كقوله (وان تحموها وتؤتوها الفقراء فهم وخير لكم) وقوله (فكفارتها اطعام عشرة مساكين) والثاني كقوله (انما الصدقات للفقراء والمساكين) وهذه الاسماء التي تختلف دلالتها بالاطلاق والتقييد والتجريد والاقتران تارة يكونان إما أفرد أحدهما أعم من ذلك الآخر كاسم الايمان والمعروف مع العمل ومع الصدق وكلنكر مع الفحشاء ومع البنى ونحو ذلك وتارة يكونان متساويين فى العموم والخصوص كلفظ الايمان والبر والتقوى ولفظ الفقير والمسكين فايها أطلق تناول ما يتناوله الآخر وكذلك لفظ التلاوة فانها اذا أطلقت فى مثل قوله (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته) تناولت العمل به كما فسر به ذلك الصحابة والتابعون مثل ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وغيرهم قالوا يتلونه حق تلاوته يتبعونه حق اتباعه فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه وقبل هو من التلاوة بمعنى الاتباع كقوله (والقمر اذا تلاها) وهذا يدخل فيه من لم يقرأ وقيل بل من تمام قرأته أن يفهم معناه ويعمل به كما قال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرؤنا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً وقوله (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته قد فسر بالقرآن وفسر بالتوراة وروى محمد بن نصر باسناده اثبات عن ابن عباس (يتلونه حق تلاوته) قال يتبعونه حق اتباعه • • وروى أيضاً عن ابن عباس يتلونه حق تلاوته قال يحلون حلاله ويحرمون حرامه ولا يحرفونه عن مواضعه وعن قتادة يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به قال أولئك أصحاب محمد آمنوا بكتاب الله وصدقوا به أحلوا حلاله وحرموا حرامه وعملوا بما فيه ذكر لنا ابن مسعود كان يقول ان حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه وأن يقرأ كما أنزل الله ولا يحرفه عن مواضعه وعن الحسن يتلونه حق تلاوته قال يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويكلمون ما أشكل عليهم الى عالمه وعن مجاهد يتبعونه حق اتباعه وفي رواية يعملون به حق عمله • • ثم قد يقرن بالتلاوة غيرها كقوله (أتلى ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) • • قال أحمد بن حنبل وغيره تلاوة الكتاب العمل بطاعة الله كلها ثم خص الصلاة بالذكر كما فى قوله

(والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة) وقوله (فاعبدني وأقم الصلاة لذكرى) وكذلك لفظ اتباع ما أنزل الله يتناول جميع الطاعات كقوله (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) وقوله (فمن أتبع هداى فلا يضل ولا يشقى) وقوله (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقد يقرن به غيره كقوله (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) وقوله (واتبع ما أوحى إليك من ربك لا اله الا هو وأعرض عن المشركين) وقوله (واتبع ما أوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين) .. وكذلك لفظ الابرار اذا أطلق دخل فيه كل تقى من السابقين والمقتصددين واذا قرن بالمقربين كان أخص قال تعالى في الاول (ان الابرار لى نعيم وان الفجار لى جحيم) وقال في الثانى (ان كتاب الابرار لى عليم وما أدراك ما علميون كتاب مرقوم يشهده المقربون) وهذا باب واسع يطول استقصاؤه .. ومن أنفع الامور فى معرفة دلالة الالفاظ مطلقاً وخصوصاً ألفاظ الكتاب والسنة وبه تزول شبهات كثيرة كثر فيها نزاع الناس من جلها مسألة الايمان والاسلام فان النزاع فى مسماها أول اختلاف وقع افتقرت الامة لاجله وصاروا مختلفين فى الكتاب والسنة وكفر بعضهم بعضاً وقائل بعضهم بعضاً كما قد بسطنا هذا فى مواضع أخر اذ المقصود هنا بيان شرح كلام الله ورسوله على وجه يبين أن الهدي كله مأخوذ من كلام الله ورسوله باقامة الدلائل الدالة لا بد كذا الاقوال التى لا تقبل بلا دليل وترد بلا دليل أو يكون المقصود بها نصر غير الله والرسول فان الواجب أن يقصد معرفة ما جاء به الرسول وأتباعه بالدلالة الدالة على ما بينه الله ورسوله .. ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة فى تفسير الايمان فتارة يقولون هو قول وعمل وتارة يقولون هو قول وعمل ونية وتارة يقولون قول وعمل ونية واتباع السنة وتارة يقولون قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وكل هذا صحيح فاذا قالوا قول وعمل فانه يدخل فى القول قول القلب واللسان جميعاً وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام ونحو ذلك اذا أطلق والناس لهم فى مسمى الكلام والقول عند الاطلاق أربعة أقوال فالذى عليه السلف والفقهاء والجمهور أنه يتناول اللفظ والمعنى جميعاً كما يتناول لفظ الانسان للبدن والروح جميعاً .. وقيل بل مسماه هو اللفظ والمعنى ليس جزء مسماه بل هو مدلول مسماه وهذا قول كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم وطائفة من المنتسبين الى السنة وهو قول النحاة لان صناعتهم متعلقة بالالفاظ .. وقيل بل مسماه هو المعنى واطلاق الكلام على اللفظ مجاز لانه دال عليه وهذا قول ابن كلاب ومن اتبعه وقيل بل هو مشترك بين اللفظ والمعنى وهو قول بعض المتأخرين من الكلامية ولهم قول ثالث يروى عن أبى الحسن انه مجاز فى كلام الله حقيقة فى كلام آدميين لان حروف الآدميين تقوم بهم فلا يكون الكلام قائماً بغير المتكلم بخلاف الكلام القرآنى فانه لا يقوم عنده بالله فيمتنع أن يكون كلامه ولبسظ هذا موضع آخر .. والمقصود هنا أن من قال من السلف الايمان قول وعمل أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه الا القول الظاهر أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب ومن قال قول وعمل ونية قال القول يتناول الاعتقاد

وقول اللسان وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزد ذلك ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوباً لله إلا باتباع السنة وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل إنما أرادوا ما كان مشروعاً من الأقوال والأعمال ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولاً فقط فقالوا بل هو قول وعمل والذين جعلوه أربعة فسروا مرادهم كما سئل سهل بن عبد الله التستري عن الايمان ماهو فقال قول وعمل ونية وسنة الايمان اذا كان قولاً بلا عمل فهو كفر واذا كان قولاً وعمل بلا نية فهو نفاق واذا كان قولاً وعمل ونية بلا سنة فهو بدعة

(فصل) وعطفت الشيء على الشيء في القرآن وسائر الكلام يقتضي مغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم الذي ذكر لها والمغايرة على مراتب أعلاها أن يكونا متباينين ليس أحدهما هو الآخر ولا جزء ولا يفرق لزومه له كقوله (خلق الله السموات والارض وما بينهما في ستة أيام) ونحو ذلك وقوله (وجبريل وميكائيل) وقوله (وأنزل التوراة والإنجيل والقرآن) وهذا هو الغالب ويليه أن يكون بينهما لزوم كقوله (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق) وقوله (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين) وقوله (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسمه) فإن من كفر بالله فقد كفر بهذا كله فالمعطوف لازم للمعطوف عليه وفي الآية التي قبلها المعطوف عليه لازم فإنه من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى فقد اتبع غير سبيل المؤمنين وفي الثاني نزاع وقوله (لا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق) هما متلازمان فإن من لبس الحق بالباطل فجعله ملبوساً به خفي من الحق بقدر ما ظهر من الباطل فصار ملبوساً ومن كتم الحق احتاج أن يقيم موضعه باطلاً فيلبس الحق بالباطل ولهذا كان كل من كتم من أهل الكتاب ما أنزل الله فلا بد أن يظهر باطلاً وهكذا أهل البدع لا تجب أحداً ترك بعض السنة التي يجب التصديق بها والعمل إلا وقع في بدعة ولا تجب صاحب بدعة إلا ترك شيئاً من السنة كما جاء في الحديث ما ابتدع قوم بدعة إلا تركوا من السنة مثلها رواه الامام أحمد وقد قال تعالى (ففسوا حظاً مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء) فلما تركوا حظاً مما ذكروا به اعتاضوا بغيره فوقع بينهم العداوة والبغضاء وقال تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين) أي عن الذي أنزله الرحمن وقال تعالى (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشق) ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) وقال (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون) فأمر باتباع ما أنزل ونهي عما يضاد ذلك وهو اتباع أولياء من دونه فمن لم يتبع أحدهما اتبع الآخر ولهذا قال ويتبع غير سبيل المؤمنين قال العلماء من لم يكن متبعاً لسبيلهم كان متبعاً غير سبيلهم فاستدلوا بذلك على أن اتباع سبيلهم واجب فليس لاحد أن يخرج عما أجمعوا عليه وكذلك من لم يفعل المأمور فعل بعض المحظور ومن فعل المحظور لم يفعل جميع المأمور فلا يمكن الانسان أن يفعل جميع ما أمر مع فعله لبعض ما حظر ولا يمكنه ترك كل ما حظر مع تركه لبعض ما أمر فإن ترك ما حظر من جهة ما أمر به فهو مأمور ومن المحظور ترك المأمور فكل ما شغله عن الواجب

فهو محرم وكل ما لا يمكن فعل الواجب الابه فعله ولهذا كان لفظ الامر اذا أطلق يتناول النهي
واذا قيد بالنهي كان النفي نظير ما تقدم فاذا قال تعالى عن الملائكة (لا يعصون الله ما أمرهم) دخل في ذلك
انه اذا نهاهم عن شيء اجتنبوه وأما قوله (ويفعلون ما يؤمرون) فقد قيل لا يتعدون ما أمروا به وقيل
يفعلونه في وقته لا يقدمونه ولا يؤخرونه وقد يقال هو لم يقل ولا يفعلون الا ما يؤمرون بل هذا دل
عليه قوله (لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) وقد قيل لا يعصون ما أمرهم في الماضي ويفعلون ما يؤمرون
في المستقبل وقد يقال هذه الآية خبر عما سيكون ليس ما أمروا به هنا ماضيا بل الجميع مستقبل فانه قال
(قوا أنفسكم وأهليكم نارا) وما يتق به انما يكون مستقبلا وقد يقال ترك المأمور تارة يكون لمعصية المأمور
وتارة يكون لمعجزه فاذا كان قادراً مر يدا لزم وجود الامور المقدرة فقوله لا يعصون لا يمتنعون عن
الطاعة وقوله ويفعلون ما يؤمرون أي هم قادرون على ذلك لا يعجزون عن شيء منه بل يفعلونه كله
فيلزم وجود كل ما أمروا به وقد يكون في ضمن ذلك انهم لا يفعلون الا المأمور به كما يقول القائل أنا أفعل
ما أمرت به أي افعله ولا أتعداه الى زيادة ولا نقصان وأيضاً فقوله (لا يعصون الله ما أمرهم) ان كان نهاهم
عن فعل آخر كان ذلك من أمره وان كان لم ينههم لم يكونوا مذمومين بفعل ما لم ينهوا عنه والمقصود ان
لفظ الامر اذا أطلق تناول النهي ومنه قوله (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر) أي أصحاب
الامر ومن كان صاحب الامر كان صاحب النهي ووجبت طاعته في هذا وهذا فالنهي داخل في الامر
وقال موسى للخضر (ستجدني ان شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً) قال فان اتبعني فلا تسألني عن شيء
حتى أحدث لك منه ذكراً) وهذا نهى له عن السؤال حتى يحدث له منه ذكراً ولما خرق السفينة قال له
موسى (أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً) فسأله قبل احداث الذكر وقال في الغلام (أقتلت نفساً
زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً) فسأله قبل احداث الذكر وقال عن الجدار (لوشئت لأتخذت عليه
أجرأ) وهذا سؤال من جهة المعنى فان السؤال والطلب قد يكون بصيغة الشرط كما تقول لو نزلت عندنا
لاكرمناك وان بت الليلة عندنا أحسنت اليها ومنه قول آدم (ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا
لتكونن من الخاسرين) وقول نوح (رب اني أعوذ بك ان أسألك ما ليس لي به علم والافتقر لي وترحمي) أكن
من الخاسرين) ومثله كثير ولهذا قال موسى (ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني) فدل على انه سأله
الثلاث قبل أن يحدث الذكر وهذا معصية لنبيه وقد دخل في قوله ولا أعصى لك أمراً فدل على ان عاصي
النهي عاصي الامر ومنه قوله تعالى (الاله الخلق والامر) وقد دخل النهي في الامر ومنه قوله (فليحذر
الذين يخالفون عن أمره) وقوله (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة
من أمرهم) فان نهيه داخل في ذلك وقد تنازع الفقهاء في قوله لا أمرأته اذا عصيت أمري فأنه طالق اذا نهاها
فمعصيته هل يكون ذلك داخلاً في قوله على قولين قيل لا يدخل لان حقيقة النهي غير حقيقة الامر وقيل
يدخل لان ذلك يفهم منه في العرف معصية الامر والنهي وهذا هو الصواب لان ما ذكر في العرف هو
حقيقة في اللغة والشرع فان الامر المطابق في كل متكلم اذا قيل أطيع أمر فلان أو فلان يطيع أمر فلان

أولا يعنى أمره فانه يدخل فيه الذمى لان الناهى أمر بترك المنهى عنه فلهذا قال سبحانه (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) ولم يقل لا تكتموا الحق فلم ينفه عن كل منهما لتلازمهما وليست هذه واو الجمع التى يسميها الكوفيون واو الصرف كما قد يظنه بعضهم فانه كان يكون المعنى لانجمعوا بينهما فيكون أحدهما وحده غير منهى عنه وأيضا فتلك انما تحيى اذا ظهر الفرق كقوله (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) وقوله (أو يوبقهن بما كسبن أو يعنف عن كثير ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص) ومن عطف الملزوم قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) فانهم اذا أطاعوا الرسول فقد أطاعوا الله كما قال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) واذا أطاع من بقلته رسالة محمد الله فانه لا بد أن يطيع الرسول فانه لا طاعة لله الا بطاعته والثالث عطف بعض الشيء عليه كقوله (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) وقوله (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم) وقوله (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال) وقوله (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطأوها) والرابع عطف الشيء على الشيء لاختلاف الصفتين كقوله (سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى والذى أخرج المرعى) وقوله (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون) وقد جاء في الشعر ما ذكر انه عطف لاختلاف اللفظ فقط كقوله * وأنى قولها كذبا ومينا * ومن الناس من يدعي ان مثل هذا جاء في كتاب الله كما يذكرونه في قوله شرعة ومنهاجا وهذا غلط مثل هذا لا يجيى في القرآن ولا في كلام فصيح وغاية ما يذكر منها يذكر الناس اختلاف معنى اللفظ كما ادعى بعضهم ان من هذا قوله

ألا حبذا هند وأرض بها هند * وهند أتى من دونها النأى والبعد

فزعوا انهما بمعنى واحد واستشهدوا بذلك على ما دعوه من ان الشرعة هى المنهاج فقال لهم المخالفون لهم النأى أهم من البعد فان النأى كلما قل بعده أو أكثر كأنه مثل المفارقة والبعد انما يستعمل فيما كثرت مسافة مفارقتة وقد قال تعالى (وهم ينهون عنه وينأون عنه) وهم مذمومون على مجانبته والتحنى عنه سواء كانوا قريبين أو بعيدين وليس كلهم كان بعيداً عنه لاسيما عند من يقول نزلت في أبي طالب وقد قال النابغة * والنزى كالحوض بالظلومة الجلد * والمراد به ما يحفر حول الخيمة لينزل فيه الماء ولا يدخل الخيمة أي صار كالحوض فهو مجانب للخيمة ليس بعيدا منها

(فصل) فاذا تبين هذا فلفظ الايمان اذا اطلق في القرآن والسنة يراد به ما يراد بلفظ البر ولفظ التقوى ولفظ الدين كما تقدم فان النبي صلى الله عليه وسلم بين ان الايمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا اله الا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق فكان كل ما يحبه الله يدخل في اسم الايمان وكذلك لفظ البر يدخل فيه جميع ذلك اذا اطلق وكذلك لفظ التقوى وكذلك الدين أو دين الاسلام وكذلك روى انهم سألوا عن الايمان فانزل الله هذه الآية (ليس البر ان تولوا وجوهكم) الآيات وقد فسر البر بالايمان

وفسر بالتقوي وفسر بالعمل الذي يقرب الى الله والجميع حق وقد روى مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم انه فسر البر بالايمان قال محمد بن نصر حدثنا اسحاق بن ابراهيم حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ والملائي قالا حدثنا المسعودي عن القاسم قال جاء رجل الى أبي ذر فسأله عن الايمان فقرأ (ليس البر ان تولوا وجوهكم) الى آخر الآية فقال الرجل ليس عن البر سألتك فقال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الذي سألتني عنه فقرأ عليه الذي قرأت عليك فقال له الذي قلت لي فما أبي أن يرضى قال له ان المؤمن الذي اذا عمل الحسنة سرته ورجا ثوابها واذا عمل السيئة ساءته وخاف عقابها وقال حدثنا اسحاق حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن عبد الكريم الجزري عن مجاهد ان أبا ذر سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقرأ عليه (ليس البر أن تولوا وجوهكم) الى آخر الآية وروى بإسناده عن عكرمة قال سئل الحسن بن علي بن أبي طالب مقبلة من الشام عن الايمان فقرأ (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) وروى ابن بطة بإسناده عن مبارك بن حسان قال قلت لاسلم الافطس رجل أطاع الله فلم يعصه ورجل عصي الله فلم يطعه فصار المطيع الى الله فادخله الجنة وصار العاصي الى الله فادخله النار هل يتفاضلان في الايمان قال لا قال فذكرت ذلك لعطاء فقال سلمم الايمان طيب أو خبيث قال الله قال (ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركبه جميعاً فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون) فسألهم فلم يجيبوني فقال بعضهم ان الايمان يبطل ليس معه عمل فذكرت ذلك لعطاء فقال سبحان الله اما يقرؤون الآية التي في البقرة (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين) قال ثم وصف الله على هذا الاسم ملازمه من العمل فقال (وأتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل الى قوله وأولئك هم الممتقون) فقال سألهم هل دخل هذا العمل في هذا الاسم وقل (ومن أراد الآخرة وسمي لها سعيها وهو مؤمن) فأنزل اسم العمل والعمل الاسم والمقصود هنا انه لم يثبت المدح الا على ايمان معه العمل لا على ايمان خال عن عمل فاذا صرف أن الذم والعقاب واقع في ترك العمل كان بعد ذلك نزاعهم لا فائدة فيه بل يكون نزاعاً لفظياً مع انهم مخطئون في اللفظ مخالفون للكتاب والسنة وان قالوا انه لا يضره ترك العمل فهذا كفر صريح وبعض الناس يحكى هذا عنهم وانهم يقولون ان الله فرض على العباد فرائض ولم يرد منهم أن يعملوها ولا يضرهم تركها وهذا قد يكون قول الغالية الذين يقولون لا يدخل النار من أهل التوحيد أحد لكى ما علمت معينا أحكى عنه هذا القول وانما الناس يحكونه في الكتب ولا يعينون قائله وقد يكون من لا خلاق من الفساق والمنافقين يقولون لا يضر مع الايمان ذنب أو مع التوحيد وبعض كلام الرايين على المرجئة وصفهم بهذا ويدل على ذلك قوله تعالى في آخر الآية (أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) فقوله صدقوا أي في قولهم آمنوا كقوله (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم) الى قوله (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) أي هم الصادقون في قولهم آمنا بالله بخلاف الكاذبين

الذين قال الله فيهم (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) وقال تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون الا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون) ويكذبون قراءتان مشهورتان فأنهم كذبوا في قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وكذبوا الرسول في الباطن وان صدقوه في الظاهر وقال تعالى (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) فبين أنه لا بد أن يفتن الناس وأن يمتحنهم ويبتليهم ويختبرهم يقال فتنت الذهب اذا أدخلته النار لتمييزه مما اختلط به ومنه قول موسى (ان هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء) أى محنتك وابتلاؤك كما ابتليت عبادك بالחסنات والسيئات ليتبين الصبار الشكور من غيره وابتليتهم بأرسال الرسل وانزال الكتب ليتبين المؤمن من الكافر فيجعل ذلك سبباً لضلالة قوم وهدى آخرين والقرآن فيه كثير من هذا يصف المؤمنين بالصدق والمنافقين بالكذب لان الطائفتين قالت بألسنتهم آمنا فن حقق قوله بعمله فهو مؤمن صادق ومن قال بلسانه ما ليس في قلبه فهو كاذب قال تعالى (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتلاً لانبجنا كما هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون) فلما قال في آية البر (أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) دل على أن المراد صدقوا في قولهم آمنا فان هذا هو القول الذي أمروا به وكانوا يقولونه ولم يؤمروا أن يلفظوا بألسنتهم ويقولوا نحن أبرار أو بررة بل اذا قال الرجل أنا بر فهذا مزك لنفسه ولهذا كانت زينب بنت جحش اسمها بررة فقيل تزكى نفسها فسمها النبي صلى الله عليه وسلم زينب بخلاف انشاء الايمان بقولهم آمنا فان هذا قد فرض عليهم أن يقولوه قال تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم) وكذلك في أول آل عمران (قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم) وقال تعالى (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله) فقوله لا تفرق دليل على أنهم قالوا آمنا ولا تفرق ولهذا قال وقالوا سمعنا وأطعنا فجمعوا بين قولهم آمنا وبين قولهم سمعنا وأطعنا وقد قال في آية البر (وأولئك هم المتقون) فجعل الأبرار هم المتقين عند الإطلاق والتجريد وقد ميز بينهما عند الاقتران والتقييد في قوله (وتعاونوا على البر والتقوى) ودلت هذه الآية على أن مسمى الايمان ومسمى البر ومسمى التقوى عند الإطلاق واحد فالمؤمنون هم المتقون وهم الأبرار . . . ولهذا جاء في حديث الشفاعة الصحيحة يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان وفي بعضها مثقال ذرة من خير وهذا مطابق لقوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) وذلك الذي هو مثقال ذرة من خير هو مثقال ذرة من ايمان وهؤلاء

المؤمنون الأبرار الاتقياء هم أهل السعادة المطلقة وهم أهل الجنة الذين وعدوا بدخولها بلا عذاب وهؤلاء الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا ومن حل علينا السلاح فليس منا فانه ليس من هؤلاء بل من أهل الذنوب المعرضين للوعيد بسوء أمثالهم

فصل وهذا النوع من نمط أسماء الله وأسماء كتابه وأسماء رسوله وأسماء دينه قال الله تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيما تدعوا فله الاسماء الحسنى) وقال تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه) وقال تعالى (هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سميعان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم) فاسماؤه كلها متفقة في الدلالة على نفسه المقدسة ثم كل اسم يدل على معنى من صفاته ليس هو المعنى الذي دل عليه الاسم الآخر فالعزيز يدل على نفسه مع عزته والخالق يدل على نفسه مع خلقه والرحيم يدل على نفسه مع رحمته ونفسه تستلزم جميع صفاته فصار كل اسم يدل على ذاته والصفة المختصة به بطريق المطابقة وعلى أحدهما بطريق التضمن وعلى الصفة الاخرى بطريق لزوم وهكذا أسماء كتابه القرآن والفرقان والكتاب والهدى والبيان والشفاء والنور ونحو ذلك هي بهذه المنزلة وكذلك أسماء رسوله محمد وأحمد والمحي والحاشر والمقني ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة كل اسم يدل على صفة من صفاته الممدوحة غير الصفة الاخرى وهكذا ما ينشأ ذكره من القصص في القراءة كقصة موسى وغيرها ليس المقصود بها أن تكون سمرا بل المقصود بها أن تكون عبرا كما قال تعالى (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب) فالذي وقع شيء واحد له صفات فيعبر عنه بعبارات متنوعة كل عبارة تدل على صفة من الصفات التي يعتبر بها المعتبرون وليس هذا من التكرير في شيء وهكذا أسماء دينه الذي أمر الله به ورسوله يسمى ايمانا وبراً وتقوى وخيراً ودينياً وعملاً صالحاً وصراطاً مستقيماً ونحو ذلك وهو في نفسه واحد لكن كل اسم يدل على صفة ليست هي الصفة التي يدل عليها الآخر وتكون تلك الصفة هي الاصل في اللفظ والباقي كان تابعا لها لازما لها ثم صارت دالة عليه بالتضمن فان الايمان أصله الايمان الذي في القلب ولا بد فيه من شيئين تصديق بالقلب واقراره ومعرفة ويقال لهذا قول القلب قال الجنيد بن محمد التوحيد قول القلب والتوكل عمل القلب فلا بد فيه من قول القلب وعمله ثم قول البدن وعمله ولا بد فيه من عمل القلب مثل حب الله ورسوله وخشية الله وحب ما يحبه الله ورسوله وبغض ما يبغضه الله ورسوله واخلاص العمل لله وحده وتوكل القلب على الله وحده وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوحى بها الله ورسوله وجعلها من الايمان ثم القلب هو الاصل فاذا كان فيه معرفة وارادة سري ذلك الى البدن بالضرورة لا يمكن أن يخاف البدن عما يريد القلب ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ألا وإن في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب وقال أبو هريرة القلب ملك والاعضاء جنوده فاذا طاب الملك طابت جنوده

وإذا خبت الملك خبت جنوده وقول أبي هريرة تقريب وقول النبي صلى الله عليه وسلم أحسن بيانا فان
 الملك وان كان صالحاً فالجند لهم اختيار قد يعصون به ملكهم وبالعكس فيكون فيهم صلاح مع فساده أو
 فساد مع صلاحه بخلاف القلب فان الجسد تابع له لا يخرج عن ارادته قط كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
 اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسدت لها سائر الجسد فاذا كان القلب صالحاً بما فيه من
 الايمان علماً وعملاً قليلاً لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول والظاهر والعمل بالايمان المطلق كما قال أهل
 الحديث قول وعمل قول باطن وظاهر وعمل باطن وظاهر والظاهر تابع للباطن لازم له متى صلح الباطن
 صلح الظاهر واذا فسد فسد ولهذا قال من قال من الصحابة عن المصلى العابد لو خشع قلب هذا خشعت
 جوارحه فلا بد في ايمان القلب من حب الله ورسوله وأن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما قال
 الله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله) فوصف
 الذين آمنوا بأنهم أشد حباً لله من المشركين وفي الآية قولان ٠٠ قيل يحبونهم كحب المؤمنين الله
 والذين آمنوا أشد حباً منهم لا واثمهم ٠٠ وقيل يحبونهم كما يحبون الله والذين آمنوا أشد حباً لله منهم لله
 وهذا هو الصواب والاول قول متناقض وهو باطل فان المشركين لا يحبون الأنداد مثله محبة المؤمنين
 لله وتستلزم الارادة والارادة التامة مع القدرة تستلزم الفعل فيمتنع أن يكون الانسان محباً لله ورسوله
 صريداً لما يحبه الله ورسوله ارادة جازمة مع قدرته على ذلك وهو لا يفعله فاذا لم يتكلم بالايمان مع قدرته
 دل على أنه ليس في قلبه الايمان الواجب الذي فرضه الله عليه ٠٠ ومن هنا يظهر خطأ قول جهم بن
 صفوان ومن اتبعه حيث ظنوا أن الايمان مجرد تصديق القلب وعلمه لم يجعلوا أعمال القلب من الايمان
 وظنوا أنه قد يكون الانسان مؤمناً كاملاً الايمان بقلبه وهو مع هذا يسب الله ورسوله ويعادي أولياء الله
 ويؤاخذ أعداء الله ويقتل الانبياء ويهدم المساجد ويهين اصحابه ويكرم الكفار غاية الكرامة ويهين
 المؤمنين غاية الاهانة قالوا وهذه كلها معاص لا تنافي الايمان الذي في قلبه بل يفعل هذا وهو في الباطن
 عند الله مؤمن قالوا وانما ثبت له في الدنيا أحكام الكفار لان هذه الاقوال اشارة عن الكفر ليحكم بالظاهر
 كما يحكم بالاقرار والشهود وان كان في الباطن قد يكون بخلاف ما قرر به وبخلاف ما شهد به للشهود فاذا أورد
 عليهم الكتاب والسنة والاجماع على ان الواحد من هؤلاء كافر في نفس الامر معذب في الآخرة قالوا فهذا
 دليل على انتفاء التصديق والعلم من قلبه فالكفر عندهم شيء واحد وهو الجهل والايمان شيء واحد وهو
 العلم أو تكذيب القلب وتصديقه فانهم متنازعون هل تصديق القلب شيء غير العلم أو هو هو وهذا القول
 مع أنه أفسد قول قيل في الايمان فقد ذهب اليه كثير من أهل الكلام المرجئة وقد كفر السلف كوكيع
 ابن الجراح وأحمد بن حنبل وأبي عبيد وغيرهم من بقول بهذا القول وقالوا ابليس كافر بنص القرآن وانما
 كفره باستكباره وامتناعه عن السجود لآدم لا لكونه كاذباً خيراً وكذلك فرعون وقومه قال الله تعالى
 فيهم (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) وقال موسى عليه السلام لفرعون (لقد علمت ما أنزل
 هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر) بعد قوله (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاستلني اسرائيل

اذ جاءهم فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء الارب السموات
 والارض بصائر وانى لاظنك يا فرعون مشهورا فوسى وهو الصادق المصدوق يقول (لقد علمت ما أنزل
 هؤلاء الارب السموات والارض بصائر) فدل على ان فرعون كان عالماً بأن الله أنزل الآيات وهو من أكبر
 خلق الله عناداً وبغياً فساد ارادته وقصده لا لعدم علمه قال تعالى (ان فرعون علا في الارض وجعل أهلها
 شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم انه كان من المفسدين) وقال تعالى (وجعدوا
 بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) وكذلك اليهود الذين قال الله فيهم (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه
 كما يعرفون أبناءهم) وكذلك من المشركين الذين قال الله فيهم (فاتهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات
 الله يجحدون) فهؤلاء غلطوا في أصلين أحدهما ظنهم ان الإيـن مجرد تصديق وعلم فقط ليس معه عمل
 وحال وحركة وارادة ومحبة وخشية في القلب وهذا من أعظم غلط المرجئة مطلقاً فان أعمال القلوب
 التي يسميها بعض الصوفية أحوالا ومقامات أو منازل السائرين الى الله أو مقامات العارفين أو غير ذلك
 كلها فيها بما فرضه الله ورسوله فهو من الايمان الواجب وفيها ما أحبه ولم يفرضه فهو من الايمان المستحب
 فالاول لا بد لكل مؤمن منه ومن اقتصر عليه فهو من الابرار أصحاب اليمين والثاني للمقرين السابقين
 وذلك مثل حب الله ورسوله بل أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما بل أن يكون الله ورسوله
 والجهد في سبيله أحب اليه من أهله وماله ومثل خشية الله وحده دون خشية المخلوقين ورجاء الله وحده
 دون رجاء المخلوقين والتوكل على الله وحده دون المخلوقين والابابة اليه مع خشيته كما قال تعالى (هذا
 ما نوعدون لكل أبواب حفيظ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) ومثل الحب في الله والبغض في
 الله والموالاة لله والمعاداة لله والثاني ظنهم ان كل من حكم الشارع بأنه كافر مخلد في النار فانما ذلك لانه لم
 يكن في قلبه نية من العلم والتصديق وهذا أمر خالفوا به الحس والعقل والشرع وما أجمع عليه طوائف
 بني آدم السامية الفطرة وجاهير النظر فان الانسان قد يعرف ان الحق مع غيره ومع هذا يجحد ذلك
 لحسده اياه أو لطلب علوه عليه أو لطوي النفس ويحمله ذلك الهوى على أن يعتدى عليه ويرد ما يقول
 بكل طريق وهو في قلبه يعلم ان الحق معه وعامة من كذب الرسل علموا ان الحق معهم وانهم صادقون
 لكن إما لحسدهم وإما لارادتهم العلو والرياسة وإما لحبهم دينهم الذي كانوا عليه وما يحصل لهم به من
 الاغراض كأموال ورياسة وصداقة أقوام وغير ذلك فيرون في اتباع الرسل ترك الاهواء المحبوبة اليهم أو
 حصول أمور مكروهة اليهم فيكذبونهم ويعادونهم فيكونون من أكفر الناس كابليس وفرعون مع علمهم
 بانهم على الباطل والرسل على الحق ولهذا لا يذكر الكفار حجة صحيحة تقدر في صدق الرسل انما
 يعتمدون على مخالفة أهوائهم كقولهم لنوح (أنؤمن لك واتبعك الأذليون) ومعلوم ان اتباع الأذلين
 له لا يقدح في صدقه لكن كرهوا مشاركة أولئك كما طلب المشركون من النبي صلى الله عليه وسلم ابعاد
 الضعفاء كسعد بن أبي وقاص وابن مسعود وخباب بن الارت وعمار بن ياسر وبلال ونحوهم وكان ذلك
 بمكة قبل أن يكون في الصحابة أهل صفة فأنزل الله تبارك وتعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة

والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين وكذلك فتننا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين (ومثل قول فرعون (أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون) وقول فرعون (ألم تر بك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين) ومثل قول مشركي العرب (ان تتبع الهدي تخطف من أرضنا) قال الله تعالى (أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجزي إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا) ومثل قول قوم شعيب له (أصلاتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا وان نفعل في أموالنا ما نشاء) ومثل قول عامة المشركين (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) وهذه الامور وأمثالها ليست حجة في صدق الرسل بل تبين انها تخالف ارادتهم وأهواءهم وعاداتهم فلذلك لم يتبعوهم وهؤلاء كلهم كفار بل أبوطالب وغيره كانوا يحبون النبي صلى الله عليه وسلم ويحبون علو كلمته وليس عندهم حسد له وكانوا يعلمون صدقه ولكن كانوا يعلمون في متابعتهم فراق دين آبائهم وذم قريش لهم فما احتملت نفوسهم ترك تلك العادة واحتمل هذا الذم فلم يتركوا الايمان لعدم العلم بل هوى النفس فكيف يقال ان كل كافر انما كفر لعدم علمه بالله ولم يكف الجهمية ان جعلوا كل كافر جاهل بالحق حق قالوا هو لا يعرف ان الله موجود حق والكفر عندهم ليس هو الجهل بأى حق كان بل الجهل بهذا الحق المعين ونحن والناس كلهم يرون خلقاً من الكفار يعرفون في الباطن ان دين الاسلام حق ويذكرون ما ينعمهم من الايمان إما معاداة أهله وإما مال يحصل لهم من جهنم يقطعونه عنهم وإما خوفهم اذا آمنوا أن لا يكون لهم حرمة عند المسلمين كحرمتهم في دينهم وأمثال ذلك من أغراضهم التي يبينون انها المانعة لهم من الايمان مع علمهم بان دين الاسلام حق ودينهم باطل وهذا موجود في جميع الامور التي هي حق يوجد من يعرف بقلبه انها حق وهو في الظاهر يجهل ذلك ويعادى أهله لظنه ان ذلك يجب له منفعة ويدفع عنه مضرة قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فانه منهم ان لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم انهم لمحكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين) والمفسرون متفقون على انها نزلت بسبب قوم ممن كان يظهر الاسلام وفي قلبه مرض خاف أن يغلب أهل الاسلام فيوالي الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم للخوف الذي في قلوبهم لالا اعتقادهم ان محمداً كاذب واليهود والنصارى صادقون وأشهر النقول في ذلك ان عبادة بن الصامت قال يارسول الله ان لى موالى من اليهود والى ابرأ الى الله من ولاية يهود فقال عبد الله بن أبي لكتي رجل أخاف الدوائر ولا ابرأ من ولاية يهود فنزلت هذه الآية والمرجئة الذين قالوا الايمان تصديق القلب وقول اللسان والاعمال ليست منه كان منهم طائفة من فقهاء الكوفة وعبادها ولم يكن قولهم مثل قول جهم فعرفوا ان الانسان لا يكون مؤمناً ان لم يتكلم بالايمان مع قدرته عليه وعرفوا ان ابليس وفرعون وغيرهما كفار مع تصديق قلوبهم

لكنهم اذا لم يدخلوا أعمال القلوب في الايمان لزمتهم قول جهم وان أدخلوها في الايمان لزمتهم دخول
أعمال الجوارح أيضاً فانها لازمة لها ولكن هؤلاء لهم ججاج شرعية بسببها اشتبه الامر عليهم فانهم رأوا
ان الله قد فرق في كتابه بين الايمان والعمل فقال في غير موضع (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات)
ورأوا ان الله خاطب الانسان بالايمان قبل وجود الاعمال فقال (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الصلاة فاغسلوا
وجوهكم وأيديكم الى المرافق • يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة) وقالوا لو ان رجلاً
آمن بالله ورسوله ضحوة ومات قبل أن يجب عليه شيء من الأعمال مات مؤمناً وكان من أهل الجنة
فدل على ان الاعمال ليست من الايمان وقالوا نحن نسلم ان الايمان يزيد بمعنى انه كان كلما أنزل الله آية
وجب التصديق بها فانضم هذا التصديق الى التصديق الذي كان قبله لكن بعد كمال ما أنزل الله مابقي
الايمان يتفاضل عندهم بل ايمان الناس كلهم سواء ايمان السابقين الاولين كأبي بكر وعمر وإيمان أخير الناس
كالججاج وأبي مسلم الخراساني وغيرهما والمرجئة المتكلمون منهم والفقهاء منهم يقولون ان الاعمال قد
تسمى إيماناً مجازاً لان العمل ثمرة الايمان ومقتضاه ولانها دليل عليه ويقولون قوله الايمان بضع وستون
أو بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إمالة عن الطريق مجازاً والمرجئة ثلاثة أصناف الذين
يقولون الايمان مجرد مافي القلب ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال اقلوب وهم أكثر فرق المرجئة كما
قد ذكر أبو الحسن الأشعري أقوالهم في كتابه وذكر فرقاً كثيرة بطول ذكرهم لكن ذكرنا جل أقوالهم
ومنها من لا يدخلها كجهم ومن اتبعه كالصالحى وهذا الذى نصره هو وأكثر أصحابه والقول الثانى من
يقول هو مجرد قول اللسان وهذا لا يعرف لاحد قبل انكرامية والثالث تصديق القلب وقول اللسان وهذا
هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم وهؤلاء غلطوا من وجوه • أحدها ظنهم ان الايمان الذى فرضه
الله على العباد متماثل فى حق العباد وان الايمان الذى يجب على شخص يجب مثله على كل شخص وليس
الامر كذلك فان أتباع الانبياء المتقدمين أوجب الله عليهم من الايمان ما لم يوجب على أمة محمد وأوجب
على أمة محمد من الايمان ما لم يوجب على غيرهم والايمان الذى كان يجب قبل نزول جميع القرآن ليس هو
مثل الايمان الذى يجب بعد نزول القرآن والايمان الذى يجب على من صرف ما أخبر به الرسول مفصلاً
ليس مثل الايمان الذى يجب على من صرف ما أخبر به مجملًا فانه لا بد فى الايمان من تصديق الرسول فى
كل ما أخبر لكن من صدق الرسول أومت عقب ذلك لم يجب عليه من الايمان غير ذلك وأما من باقه
القرآن والأحاديث وما فيها من الاخبار والاوامر المفصلة فيجب عليه من التصديق المفصل بخبر خبر
وأمر أمر مالا يجب على من لم يجب عليه الا الايمان المجمل فوته قبل أن يباقة شيء آخر وأيضاً لو قدر
انه عاش فلا يجب على كل واحد من العامة أن يعرف كل ما أمر به الرسول وكل ما نهى عنه وكل ما أخبر
به بل انما عليه أن يعرف ما يجب عليه هو وما يحرم عليه فن لا مال له لا يجب أن يعرف أمره المفصل فى
الزكاة ومن لا استطاعة له على الحج ليس عليه أن يعرف أمره المفصل بالناسك ومن لم يتزوج ليس عليه
أن يعرف ماوجب للزوجة فصار يجب من الايمان تصديقاً وعملاً على أشخاص مالا يجب على آخرين

وبهذا يظهر الجواب عن قولهم خوطبوا بالايان قبل الاعمال فنقول ان قلتم انهم خوطبوا به قبل أن
تجب تلك الاعمال فقبل وجوبها لم تكن من الايمان وكانوا مؤمنين الايمان الواجب عليهم قبل أن يفرض
عليهم ما خوطبوا بفرضه فلما نزل ان لم يقرأوا بوجوبه لم يكونوا مؤمنين ولهذا قال تعالى (ولله على الناس
حجج البينات من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين) ولهذا لم يجر ذكر الحج في
أكثر الأحاديث التي فيها ذكر الاسلام والايمان كحديث وفد عبد القيس وحديث الرجل النجدي الذي
يقال له ضمام بن ثعلبة وغيرها وانما جاء ذكر الحج في حديث ابن عمر وجبريل وذلك لان الحج آخر
ما فرض من الحسن فكان قبل فرضه لا يدخل في الايمان والاسلام فلما فرض أدخله النبي صلى الله عليه
وسلم في الايمان اذا فرد وأدخله في الاسلام اذا قرن بالايان واذا أفرد وسندكر ان شاء الله متى فرض
وكذلك قولهم من آمن ومات قبل وجوب العمل عليه مات مؤمناً صحيح لانه أني بالايان الواجب
عليه والعمل لم يكن وجب عليه بعد فهذا مما يجب أن يعرف فانه نزول به شبهة حصلت للطائفتين فاذا قيل
الاعمال الواجبة من الايمان فالايان الواجب متنوع ليس شيئاً واحداً في حق جميع الناس وأهل السنة
والحديث يقولون جميع الاعمال الحسنة واجبها ومستحبها من الايمان أي من الايمان الكامل بالمستحبات
ليست من الايمان الواجب فيفرق بين الايمان الواجب وبين الايمان الكامل بالمستحبات كما يقول الفقهاء
الفضل ينقسم الى مجزئ وكامل فالجزئ ما أتى فيه بالواجبات فقط والكامل ما أتى فيه بالمستحبات ولفظ
الكامل قد يراد به الكامل الواجب وقد يراد به الكامل المستحب وأما قولهم ان الله فرق بين الايمان والعمل
في مواضع فهذا صحيح وقد بينا ان الايمان اذا أطلق أدخل الله ورسوله فيه الاعمال المأمور بها وقد
يقرن به الاعمال وذكرنا نظائر ذلك كثيرة وذلك لان أصل الايمان هو ما في القلب والاعمال الظاهرة
لازمة لذلك لا يتصور وجود إيمان القلب الواجب مع عدم جميع أعمال الجوارح بل متى نقصت الاعمال
الظاهرة كان لنقص الايمان الذي في القلب فصار الايمان متنازلاً للملزم واللازم وان كان أصله ما في القلب
وحيث عطف عليه الاعمال فانه أريد انه لا يكتفي بإيمان القلب بل لابد معه من الاعمال الصالحة ثم للناس
في مثل هذا قولان منهم من يقول المعطوف دخل في المعطوف عليه أولاً ثم ذكر باسمه الخاص تخصيصاً
له لئلا يظن أنه لم يدخل في الاون وقالوا هذا في كل ما عطف فيه خاص على عام كقوله (من كان عدوا لله
وملائكته ورسوله وجبريل وميكال) وقوله (وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم
وموسى وعيسى بن مريم) وقوله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق
من ربهم) فنقص الايمان بما نزل على محمد بعد قوله الذين آمنوا وهذه نزلت في الصحابة وغيرهم من
المؤمنين وقوله (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) وقوله (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له
الدين حنفاء يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) والصلاة والزكاة من العبادة فقوله آمنوا وعملوا الصالحات
كقوله (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) فانه قصدوا لا
أن تكون العبادة لله وحده لا غيره ثم أمر بالصلاة والزكاة ليعلم انهما عبادتان واجبتان فلا يكتفي بمطلق

العبادة الخالصة دونهما وكذلك يذكر الايمان أولاً لانه الاصل الذي لا بد منه ثم يذكر العمل الصالح فانه أيضاً من تمام الدين لا بد منه فلا يظن الظان اكتفاه بمجرد ايمان ليس معه العمل الصالح وكذلك قوله (لم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) وقد قيل هؤلاء هم أهل الكتاب الذين آمنوا بما أنزل عليه وما أنزل على من قبله كآبى سلام ونحوه وان هؤلاء نوع غير النوع المتقدم الذين يؤمنون بالغيب وقد قيل هؤلاء جميع المتقدمين الذين آمنوا بما أنزل اليه وما أنزل من قبله وهؤلاء هم الذين يؤمنون بالغيب وهم صنف واحد وانما عطفوا التغاير الصفتين كقوله (سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوي والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى) فهو سبحانه واحد وعطف بعض صفاته على بعض وكذلك قوله والصلاة الوسطى وهي صلاة العصر والصفات اذا كانت معارف كانت للتوضيح وتضمنت المدح أو الذم تقول هذا الرجل هو الذي فعل كذا وهو الذي فعل كذا وهو الذي فعل كذا تعدد محاسنه ولهذا مع الاتباع قد يعطفونها وينصبون أو يرفعون وهذا القول هو الصواب فان المؤمنين بالغيب ان لم يؤمنوا بما أنزل اليه وما أنزل من قبله لم يكونوا على هدى من ربهم ولا مفلحين ولا متقين وكذلك الذين آمنوا بما أنزل اليه وما أنزل من قبله ان لم يكونوا من الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقهم الله ينفقون لم يكونوا على هدى من ربهم ولم يكونوا مفلحين ولم يكونوا متقين فدل على ان الجميع صفة المهتدين المتقين الذين اهتدوا بالكتاب المنزل الى محمد فقد عطف هذه الصفة على تلك مع انها داخلة فيها لكن المقصود صفة إيمانهم وانهم يؤمنون بجميع ما أنزل الله على أنبيائه لا يفرقون بين أحد منهم والا فاذ لم يذكر الا الايمان بالغيب فقد يقول من يؤمن ببعض ويكفر ببعض نحن تؤمن بالغيب ولما كانت سورة البقرة سنام القرآن ويقال انها أول سورة نزلت بالمدينة افتتحها الله بأربع آيات في صفة المؤمنين وآيتين في صفة الكافرين وبضع عشرة آية في صفة المنافقين فانه من حين هاجر النبي صلى الله عليه وسلم صار الناس ثلاثة أصناف إما مؤمن وإما كافر مظهر للكفر وإما منافق بخلاف ما كانوا بمكة فانه لم يكن هناك منافق ولهذا قال أحمد بن حنبل وغيره لم يكن من المهاجرين منافق وانما كان النفاق في قبائل الانصار فان مكة كانت الكفار مستولين عليها فلا يؤمن ويهاجر الا من هو مؤمن ليس هناك داع يدعو الى النفاق والمدينة من بها أهل الشوكه فصار للمؤمنين بها عز ومنعة بالانصار فمن لم يظهر الايمان آذوه فاحتاج المنافقون الى اظهار الايمان مع ان قلوبهم لم تؤمن والله تعالى افتتح البقرة ووسط البقرة وختم البقرة بالايمان بجميع ما جاءت به الانبياء فقال في أولها ما تقدم وقال في وسطها (قولوا آمنا بالله وما أنزل اليه وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق) الآية وقال في آخرها (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق

بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) والآية الأخرى وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا إيمان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتها والآية الوسطى قد ثبت في الصحيح أنه كان يقرأ بها في ركعتي الفجر و (بقل يا أهل الكتاب آملوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم) الآية تارة (وبقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد) فيقرأ بما فيه ذكر الإيمان والاسلام أو بما فيه ذكر التوحيد والاخلاص فعلى قول هؤلاء يقال الأعمال الصالحة المعطوفة على الإيمان دخلت في الإيمان وعطفت عليه عطف الخاص على العام اما لذكره خصوصاً بعد عموم واما لكونه اذا عطفت كان دليلاً على أنه لم يدخل في العام وقيل بل الأعمال في الأصل ليست من الإيمان فان أصل الإيمان هو ما في القلب ولكن هي لازمة له فمن لم يفعلها كان إيمانه منتفياً لان انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم لكن صارت يعرف الشارع داخلة في اسم الإيمان اذا أطلق كما تقدم في كلام النبي صلى الله عليه وسلم فاذا عطفت عليه ذكرت لثلاث يظن الظان أن مجرد إيمانه بدون الأعمال الصالحة اللازمة للإيمان يوجب الوعد فكان ذكرها تخصيصاً ونصيصةً ليعلم أن الثواب الموعود به في الآخرة وهو الجنة بلا عذاب لا يكون الا لمن آمن وعمل صالحاً لا يكون لمن ادعى الإيمان ولم يعمل وقد بين سبحانه في غير موضع أن الصادق في قوله آمنت لا بد أن يقوم بالواجب وحصر الإيمان في هؤلاء يدل على انتفائه عن سواهم . . . ولالجهمية هنا سؤال ذكره أبو الحسن في كتاب الموجز وهو أن القرآن نفي الإيمان عن غير هؤلاء كقوله (إنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجات قلوبهم) ولم يقل ان هذه الأعمال من الإيمان قالوا فتجن نقول من لم يعمل هذه الأعمال لم يكن مؤمناً لان انتفاءها دليل على انتفاء العلم من قلبه والجواب عن هذا من وجوه . . . أحدها انكم سلمتم ان هذه الأعمال لازمة للإيمان القاب فاذا انتفت لم يبق في القلب إيمان وهذا هو المطلوب وبعد هذا فكونها لازمة أو جزءاً نزاع لفظي . . . الثاني ان نصوصاً صرحت بأنها جزء كقوله الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة . . . الثالث انكم قلتم بان من انتفى عنه هذه الأمور فهو كافر خال من كل إيمان كان قولكم قول الخوارج وأنتم في طرف والخوارج في طرف فكيف توافقونهم ومن هذه الأمور إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج والجهاد والاجابة إلى حكم الله ورسوله وغير ذلك مما لا تكفرون تاركه وان كفرتموه كان قولكم قول الخوارج . . . الرابع ان قول القائل ان انتفاء بعض هذه الأعمال يستلزم أن لا يكون في قلب الانسان شيء من التصديق بان الرب حق قول يعلم فساداً بالاضطرار . . . الخامس ان هذا اذا ثبت في هذه ثبت في سائر الواجبات فيرتفع النزاع المعنوي

(فصل الوجه الثاني) من غلط المرجئة ظنهم ان ما في القلب من الإيمان ليس إلا التصديق فقط دون أعمال القلوب كما تقدم عن جهمية المرجئة . . . الثالث ظنهم ان الإيمان الذي في القلب يكون تاماً بدون شيء من الأعمال ولهذا يجعلون الأعمال ثمرة الإيمان ومقتضاه بمنزلة السبب مع المسبب ولا يجعلونها لازمة له والتعبد بقى ان إيمان القلب التام يستلزم العمل الظاهر بحسبه لا محالة ويتمتع أن يقوم بالقلب إيمان تام بدون عمل ظاهر ولهذا صاروا يقدررون مسائل يتمتع وقوعها لعدم تحقق الارتباط الذي بين البدن

والقلب مثل أن يقولوا رجل في قلبه من الايمان مثل ما في قلب أبي بكر وعمر وهو لا يسجد لله سجدة ولا يصوم رمضان ويبنى بأمه وأخته ويشرب الخمر نهار رمضان يقولون هذا مؤمن تام الايمان فيبقى سائر المؤمنين يشكرون ذلك غاية الانكار .. قال أحمد بن حنبل حدثنا خلف بن حبان حدثنا معقل بن عبيد الله العنسي قال قدم علينا سالم الافطس بالارجاء ففر منه أصحابنا نفوراً شديداً منهم ميمون بن مهران وعبد الكريم بن مالك فانه عاهد الله أن لا يؤويه وياه سقف بيت الا المسجد قال معقل فخرجت فدخلت على عطاء بن أبي رباح في نفر من أصحابي وهو يقرأ (حتى اذا استياس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) قلت ان لما حاجة فاخلنا ففعل فأخبرته ان قوما قبلنا قد أحسنوا وتكلموا وقالوا ان الصلاة والزكاة ليسا من الدين فقال أوليس الله تعالى يقول (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) فالصلاة والزكاة من الدين قد فقلت أنهم يقولون ليس في الايمان زيادة فقال أوليس قد قال الله فيما أنزل (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) هذا الايمان فقلت أنهم انحلوك وبلغني ان ابن ذر دخل عليك في أصحاب له فعرضوا عليك قولهم فقباته فقلت هذا الامر فقال لا والله الذي لا اله الا هو مرتين أو ثلاثاً ثم قال قدمت المدينة فجلست الي نافع فقلت يا أبا عبد الله ان لي اليك حاجة فقال سر أم علانية فقلت لابل سر قال رب سر لاخير فيه فقلت ليس من ذلك فلما صلينا العصر قام وأخذ بثوبي ثم خرج من الخوخة ولم ينظر القاص فقال حاجتك قال فقلت أخاني هذا فقال تنح قال فذكرت له قولهم فقال قال رسول صلى الله عليه وسلم أمرت أن أضرمهم بالسيف حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوا لا اله الا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله قال فقلت أنهم يقولون نحن نفر بأن الصلاة فرض ولا نصلي وبأن الخمر حرام ونشربها وان نكاح الامهات حرام ونحن ننكح فتر يده من يدي وقال من فعل هذا فهو كافر قال معقل فرأيت الزهري فأخبرته بقولهم فقال سبحان الله وقد أخذ الناس في هذه الخصومات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن قال معقل فقلت للحكم بن عتبة فقلت له ان عبد الكريم وميمونا بلغهما انه دخل عليك ناس من المرجئة فعرضوا عليك فقبات قولهم قال فقلت ذلك على ميمون وعبد الكريم لقد دخل على اثنا عشر رجلاً وأنا مريض فقالوا يا أبا محمد بلغك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رجل بامة سوداء أو حبشية فقال يا رسول الله على رقبة مؤمنة افترى هذه مؤمنة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تشهدين أن لا اله الا الله فسات نعم قال وتشهدين أن محمداً رسول الله قالت نعم قال وتشهدين أن الجنة حق والنار حق قالت نعم قال وتشهدين أن الله بعبتك من بعد الموت قال نعم قال فاعتقها فانها مؤمنة فخرجوا وهم ينتحلون ذلك قال معقل ثم جلست الى ميمون ابن مهران فقلت يا أبا أيوب لو قرأت لنا سورة ففسرتها قال فقرأ اذ الشمس كورت حتى اذا بلغ مطاع ثم أمين قال ذاكم جبريل والخبية لمن يقول ان ايمانه كايما جبريل .. ورواه حنبل عن أحمد ورواه أيضاً عن ابن أبي مليكة قال لقد أتني على برهة من الدهر وما أراني أدرك قوما يقول أحدهم اني مؤمن

يستكمل الايمان ثم ماضي حتى قال ايماني على ايمان جبريل وميكائيل وما زال بهم الشيطان حتى قال أحدهم اني مؤمن وان نكح أخيه وأمه وبنته والله لقد أدركت كذا وكذا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مامات أحد منهم الا وهو يخشى النفاق على نفسه وقد ذكر هذا المعنى عنه البخاري في صحيحه قال أدركت ثلاثين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه مامهم أحد يقول ايمانه كايمن جبريل .. وروى البغوي عن عبد الله بن محمد عن ابن مجاهد قال كنت عند عطاء بن أبي رباح فجاء ابنه يعقوب فدل يابته ان أصحابا يزعمون ان ايمانهم كايمن جبريل فقال يا بني ليس ايمان من أطاع الله كايمن من عصى الله .. قلت قوله عن المرجئة انهم يقولون ان الصلاة والزكاة ليستا من الدين قد يكون قول بعضهم فانهم كلهم يقولون ليستا من الايمان وأما من الدين فقد حكى عن بعضهم انه يقول ليستا من الدين ولا نفرق بين الايمان والدين ومنهم من يقول بل هما من الدين ويفرق بين اسم الايمان واسم الدين وهذا هو المعروف من أقوالهم التي يقولونها عن أنفسهم ولم أر أنا في كتاب أحد منهم أنه قال الاعمال ليست من الدين بل يقولون ليست من الايمان وكذلك حكى أبو عبيد عن ناظره منهم فان أبا عبيد وغيره يحتجون بان الاعمال من الدين فذكر قوله (اليوم أكملت لكم دينكم) انها نزلت في حجة الوداع قل أبو عبيد فاخبر انه انما كمل الدين الآن في آخر الاسلام في حجة النبي صلى الله عليه وسلم وزعم هؤلاء انه كان كاملا قبل ذلك بعشرين سنة من أول ما نزل عليه الوحي بمكة حين دعا الناس الى الاقرار حتى قال لقد اضطر بعضهم حينئذ خات عليه هذه الحجة الى أن قال ان الايمان ليس بجميع الدين ولكن الاثنتي عشرة جزءا من الايمان جزء والفرائض جزء والنوازل جزء .. قلت هذا الذي قاله هذا هو مذهب القوم قل أبو عبيد وهذا غير مانطق به الكتاب ألا تسمع الى قوله (ان الدين عند الله الاسلام) وقول (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه) وقول (ورضيت لكم الاسلام ديناً) فاخبر أن الاسلام هو الدين برمته وزعم هؤلاء انه ثبت الدين .. قلت انما قالوا ان الايمان ثلث ولم يقولوا ان الايمان ثلث الدين لكنهم فرقوا بين مسمى الايمان ومسمى الدين وسندكر ان شاء الله تعالى الكلام في مسمى هنا ومسمى هذا فقد يحكى عن بعضهم انه يقول ليستا من الدين ولا يفرق بين اسم الايمان والدين ومنهم من يقول بل كلاهما من الدين ويفرق بين اسم الايمان واسم الدين والشافعي رضي الله عنه كان معظما لعطاء بن أبي رباح ويقول ليس في التائبين اتبع الحديث منه وكذلك أبو حنيفة قل ما رأيت مثل عطاء وقد أخذ الشافعي هذه الحجة عن عطاء فروى ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي حدثنا أبي حدثنا ميمون حدثنا أبو عثمان بن الشافعي سمعت أبي يقول ليلة الاحمدي ما يحتاج عليهم يعني أهل الارزاء بأية أحج من قوله (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) .. وقال الشافعي رضي الله عنه في كتاب الأم في باب النية في الصلاة يحتاج بان لا تجزى صلاة الابنية بحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات .. ثم قال وكان الاجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون الايمان قول وعمل ونية لا يجزي

واحد من الثلاث الا بالآخر .. وقال حنبل حدثنا الحبيدي قال وأخبرت ان ناسا يقولون من أقر
بالصلاة والزكاة والصوم والحج ولم يفعل من ذلك شيئاً حتى يموت ويصلي مستدبر القبلة حتى يموت فهو
مؤمن ما لم يكن جاحداً اذا علم ان تركه ذلك فيه ايمانه اذا كان مقراً بالفرائض واستقبال القبلة فقلت
هذا الكفر الصراح وخلاف كتاب الله وسنة رسوله وعلماؤه المسلمين قال الله تعالى (وما أمروا الا
ليعبدوا الله مخلصين له الدين) الآية .. وقال حنبل سمعت أبا عبد الله احمد بن حنبل يقول من قال
هذا فقد كفر بالله ورد على الله أمره وعلى الرسول ما جاء به .. قالت وأما احتجاجهم بقوله للأمة
اعتقها فانها مؤمنة فهو من حججهم المشهورة وبه احتج بن كلاب وكان يقول الايمان هو التصديق والقول
جميعاً فكان قوله أقرب من قول جهم وأتباعه وهذا لا حجة فيه لأن الايمان الظاهر الذي تجرى عليه
الاحكام في الدنيا لا يستلزم الايمان في الباطن الذي يكون صاحبه من أهل السعادة في الآخرة فان
المنافقين الذين قالوا (آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) هم في الظاهر مؤمنون يصلون مع الناس
ويصومون ويحجون ويفزون والمسلمون يتناكحونهم ويوارثونهم كما كان المنافقون على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولم يحكم النبي صلى الله عليه وسلم في المنافقين بحكم الكفار المظهرين للكفر لا في مناهكهم
ولا موارثهم ولا نحو ذلك بل لما مات عبد الله بن أبي بن سلول وهو من أشهر الناس بالتفاق ورثه ابنه
عبد الله وهو من خيار المؤمنين وكذلك سائر من كان يموت منهم يرثه ورثته المؤمنون واذا مات لاحدهم
وارث ورثوه مع المسلمين .. وقد تنازع الفقهاء في المنافق الزنديق الذي يكتم زندقته هل يرث ويورث
على قولين والصحيح انه يرث ويورث وان علم في الباطن انه منافق كما كان الصحابة على عهد النبي صلى
الله عليه وسلم لأن الميراث مبناه على الموالاة الظاهرة لا على المحبة التي في القلوب فانه لو عاق بذلك لم
تمكن معرفته والحكمة اذا كانت خفية أو منتشرة عاق الحكم بمقتضاها وهو ما أظهره من موالاة
المسلمين فقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم لم يدخل فيه المنافقون
وان كانوا في الآخرة في الدرك الأسفل من النار بل كانوا يورثون ويرثون وكذلك كانوا في الحقوق
والحدود كسائر المسلمين وقد أخبر الله عنهم انهم يصلون ويذكرون ومع هذا لم يقبل ذلك منهم فقال
(وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا أتون الصلاة الا وهم كسالى ولا
ينفقون الا وهم كارهون) وقال (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا
كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا) وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق يرقب الشمس حتى اذا كانت بين قرني شيطان
قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها الا قليلاً وكانوا يخرجون مع النبي صلى الله عليه وسلم في المغازي كما خرج
ابن أبي في غزوة بني المصطلق وقال فيها (نحن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأدل) . وفي
الصحيحين عن زيد بن أرقم قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر أصاب الناس فيها شدة فقال
عبد الله بن أبي لأصحابه لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا الى

المدينة ليخرجن الأعراس منها الأذل فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فأرسل الي عبد الله بن أبي
 فسأله فاجتهد يمينه ما فعل وقالوا كذب زيد يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقع في نفسي مما قالوا شدة
 حتى أنزل الله تصديقي في (إذا جاءك المنافقون) فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم فلووا
 رؤسهم وفي غزوة تبوك استغفرهم النبي صلى الله عليه وسلم كما استغفر غيرهم فخرج بعضهم معه وبعضهم
 تخلفوا وكان في الذين خرجوا معه من هم بقتله في الطريق هموا بحمل حزام ناقته ليقع في واد هناك فجاءه
 الوحي فأمر الي حذيفة أسماءهم ولذلك يقول هو صاحب السر الذي لا يعلمه غيره كما ثبت ذلك في الصحيح
 ومع هذا ففي الظاهر تجرى عليهم أحكام أهل الايمان وبهذا يظهر الجواب عن شبهات كثيرة تورد في هذا
 المقام فان كثيراً من المتأخرين ما بقي في المظهرين للإسلام عندهم إلا عدل أو فاسق وأعرضوا عن حكم
 المنافقين والمنافقون ما زالوا ولا يزالون الى يوم القيامة . . والنفاق شعب كثيرة وقد كان الصحابة يخافون
 النفاق على أنفسهم ففي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا
 وعد أخلف وإذا أئتمن خان وفي لفظ لمسلم وان صام وصلى وزعم أنه مسلم . . وفي الصحيحين عن
 عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه
 شعبة منهن كانت فيه شعبة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا أئتمن خان وإذا عهد غدر وإذا
 خاصم فجر وكان النبي صلى الله عليه وسلم أولاً يصلي عليهم ويستغفر لهم حتى نهى الله عن ذلك فقال
 (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره) وقال (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر
 لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) فلم يكن يصلي عليهم ولا يستغفر لهم ولكن دماؤهم وأموالهم معصومة
 لا يستحل منهم ما يستحل من الكفار الذين لا يظهرون أنهم مؤمنين بل يظهرون الكفر دون الايمان
 فانه صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأنبي رسول الله فإذا
 قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله ولما قال لأسماء بن زيد أقتلته بعد ما قال
 لا اله الا الله قل إنما قلته تموداً قال هلا شقت عن قابله وقال اني لم أؤمر ان انقب عن قلوب الناس
 ولا أشق بطونهم وكان إذا استؤذن في قتل رجل يقول أليس يصلي أليس يشهد فإذا قيل له انه منافق
 قال ذلك فكان صلى الله عليه وسلم حكمه في دماؤهم وأموالهم حكمه في دماء غيرهم لا يستحل منها شيئاً
 الا بأمر ظاهر مع انه كان يعلم نفاق كثير منهم وفيهم من لم يكن يعلم نفاقه قال تعالى (ومن حولكم من
 الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون
 الى عذاب عظيم) وكان من مات منهم صلى الله عليه عليه المسلمون الذين لا يعلمون انه منافق ومن علم انه منافق
 لم يصل عليه وكان عمر إذا مات ميت لم يصل عليه حتى يصلي عليه حذيفة لأن حذيفة كان قد علم أعيانهم
 وقد قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان
 علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن الى الكفار) فأمر بامتحانهن هنا وقال (الله أعلم بايمانهن) والله
 تعالى لما أمر في الكفارة بعنق رقبة مؤمنة لم يكن على الناس أن لا يعتقوا الا من يعلموا أن الايمان في

قلبه فان هذا كما لو قيل لهم اعتقلوا الا من علمتم ان الايمان في قلبه وهم لم يؤمروا أن ينتقبوا عن قلوب
الناس ولا يشقوا بطونهم فاذا رأوا رجلاً يظهر الايمان جاز لهم عتقه وصاحب الجارية لما سأل النبي صلى
الله عليه وسلم هل هي مؤمنة انما أراد الايمان الظاهر الذي يفرق به بين المسلم والكافر وكذلك من
عليه نذر لم يلزمه أن يعتقد الا من علم أن الايمان في قلبه فانه لا يعلم ذلك مطلقاً بل ولا أحد من الخلق
يعلم ذلك مطلقاً .. وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الخلق والله يقول له (ومن حولكم من
الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين) فأولئك
انما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحكم فيهم حكمه في سائر المؤمنين ولو حضرت جنازة أحدهم صلى
عليها ولم يكن منهياً عن الصلوة الا على من علم نفاقه والا لزم أن ينتقب عن قلوب الناس ويعلم سراهم
وهذا لا يقدر عليه بشر .. ولهذا لما كشفهم الله بسورة براءة بقوله ومنهم ومنهم صار يعرف نفق ناس
منهم لم يكن يعرف نفقهم قبل ذلك فان الله وصفهم بصفات علمها الناس منهم وما كان الناس يجزمون بأنها
مستلزمة لنفاقهم وان كان بعضهم يظن ذلك وبعضهم يعلمه فلم يكن نفقهم معلوماً عند الجماعة بخلاف
حالهم لما نزل القرآن .. ولهذا لما نزلت سورة براءة كنتموا النفاق وما بقي يمكنهم من اظهاره أحياناً
ما كان يمكنهم قبل ذلك وأنزل الله تعالى (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في
المدينة لنغريك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلاً ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً سئنة الله التي
قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً) فلما نوءدوا بالقتل اذا أظهروا النفاق كنتموه .. ولهذا
لما تنازع الفقهاء في استنابة الزنديق ف قيل يستتاب واستدل من قال ذلك بالمنافقين الذين كان النبي صلى الله
عليه وسلم يقبل علانيتهم ويكل أمرهم الى الله فيقال له هذا كان في أول الامر وبعد هذا أنزل الله
(ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً) فعملوا أنهم ان أظهروه كما كانوا يظهرونه قتلوا فكنتموه
والزنديق هو المنافق وانما يقتله من يقتله اذا ظهر منه انه يكتم النفاق قالوا ولا تعلم توبته لا رغبة ما عنده
انه يظهر ما كان يظهر وقد كان يظهر الايمان وهو منافق ولو قبلت توبة الزنادقة لم يكن سبيل الى تقبيلهم
والقرآن قد نوءدهم بالقتيل .. والمقصود ان النبي صلى الله عليه وسلم انما أخبر عن تلك الأمة بالايمان
الظاهر الذي عاينت به الاحكام الظاهرة والا فقد ثبت عنه ان سعداً لما شهد لرجل انه مؤمن قل أو مسلم
وكان يظهر من الايمان ما تظهره الأمة وزيادة فيجب أن يفرق بين أحكام المؤمنين الظاهرة التي يحكم
فيها الناس في الدنيا وبين حكمهم في الآخرة بالثواب والعقاب فالؤمن المستحق للجنة لا بد أن يكون
مؤمناً في الباطن باتفاق جميع أهل القبلة حتى الكرامية الذين يسمون المنافق مؤمناً ويقولون الايمان هو
الكلمة يقولون انه لا ينفع في الآخرة الا الايمان الباطن وقد حكى بعضهم عنهم انهم يجعلون المنافقين من
أهل الجنة وغلط عليهم انما نازعوا في الاسم لا في الحكم بسبب شبهة المرجئة في ان الايمان لا ينفع
ولا يتفاضل ولهذا أكثر ما اشترط الفقهاء في الرقة التي تجزي في الكفارة العمل الظاهر فتنازعوا هل
يجزي الصغير على قواين معروفين للسلف ما روايتان عن أحمد ف قيل لا يجزي عتقه لان الايمان قول

وعمل والصغير لم يؤمن بنفسه انما ايمانه تبع لابيويه في احكام الدنيا ولم يشترط أحد أن يعلم انه مؤمن في الباطن وقيل بل يحزى عتقه لان العتق من الاحكام الظاهرة وهو تبع لابيويه فكما انه يرث منهما ويصلي عليه ولا يصلي الا على مؤمن فانه يعتق وكذلك المنافقون الذين لم يظهروا نفاقهم يصلي عليهم اذا ماتوا ويدفنون في مقابر المسلمين من عهد النبي صلى الله عليه وسلم والمقبرة التي كانت للمسلمين في حياته وحياة خلفائه واصحابه يدفن فيها كل من أظهر الايمان وان كان منافقاً في الباطن لم يكن للمنافقين مقبرة يتميزون بها عن المسلمين في شيء من ديار الاسلام كما يكون لليهود والنصارى مقبرة يتميزون بها ومن دفن في مقابر المسلمين صلى عليه المسلمون والصلاة لا تجوز على من علم نفاقه بنص القرآن فعلم ان ذلك بناء على الايمان الظاهر والله يتولي السرائر وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي عليهم ويستغفر لهم حتى نهي عن ذلك وعمل ذلك بالكفر فكان ذلك دليلاً على ان كل من لم يعلم انه كافر بالباطن جازت الصلاة عليه والاستغفار له وان كانت فيه بدعة وان كان له ذنوب واذا ترك الامام أو أهل العلم والدين الصلاة على بعض المتظاهرين ببدعة أو فجور زجراً عنها لم يكن ذلك محرماً للصلاة عليه والاستغفار له بل قال النبي صلى الله عليه وسلم فيمن كان يمتنع عن الصلاة عليه وهو الغل وقاتل نفسه والمدين الذي لا وفاء له صلوا على صاحبكم وروى انه كان يستغفر للرجل في الباطن وان كان في الظاهر يدع ذلك زجراً عن مثل مذهبه كما روى في حديث محمد بن جثامة وابسر في الكتاب والسنة المظهرين للاسلام الاقسام مؤمن أو منافق فلتسافق في الدرك الاسفل من النار والآخر مؤمن ثم قد يكون ناقص الايمان فلا يتناول الاسم المطابق وقد يكون تام الايمان وهذا يأتي الكلام عليه ان شاء الله في مسألة الاسلام والايمان وأما الفاسق من أهل الملة لكن المقصود هنا انه لا يحمل أحد بمجرد ذنب يذنبه ولا ببدعة ابتداعها ولو دعا الناس اليها كافرين في الباطن الا اذا كان منافقاً فامان كان في قلبه الايمان بالرسول وما جاء به وقد غلط في بعض ما تأوله من البسدة فهذا ليس بكافر أصلاً والحوارج كانوا من أظهر الناس بدعة وقتلوا الامة وتكفروا لها ولم يكن في الصحابة من يكفرهم لا على بن أبي طالب ولا غيره بل حكموا فيهم بحكمهم في المسلمين الظالمين المعتدين كما ذكرت الآثار عنهم بذلك في غير هذا الموضع وكذلك سائر الثنتين وسبعين فرقة من كان منهم منافقاً فهو كافر في الباطن ومن لم يكن منافقاً بل كان مؤمناً بالله ورسوله في الباطن لم يكن كافراً في الباطن وان أخطأ في التأويل كأنما كان خصاً وقد يكون في بعضهم شعبة من شعب انفاق ولا يكون فيه النفاق الذي يكون صاحبه في الدرك الاسفل من النار ومن قال ان الثنتين وسبعين فرقة كل واحد منهم يكفر كفاً ينقل عن الملة فقد خالف الكتاب والسنة واجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بل واجماع الأئمة الاربعة وغير الاربعة فليس فيهم من كفر كل واحد من الثنتين وسبعين فرقة وانما يكفر بعضهم بعضاً ببعض المقالات كما قد بسط الكلام عليهم في غير هذا الموضع وانما قال الأئمة بكفر هذا لان هذا فرض مالا يقع فيمتنع أن يكون الرجل لا يفعل شيئاً كما أمر به من الصلاة والزكاة والصيام والحج يفعل ما يقدر عليه من المحرمات مثل الصلاة بلا وضوء والى غير القبلة

ونكاح الامهات وهو مع ذلك مؤمن في الباطن بل لا يفعل ذلك الا لعدم الايمان الذي في قلبه ولهذا كان اصحاب أبي حنيفة يكفرون أنواعاً ممن يقول كذا وكذا لما فيه من الاستغفاف ويجعلونه مرتداً ببعض هذه الأنواع مع النزاع اللفظي الذي بين أصحابه وبين الجمهور في العمل هل هو داخل في اسم الايمان أم لا ولهذا فرض متأخرو الفقهاء مسئلة يمتنع وقوعها وهو ان الرجل اذا كان مقراً بوجوب الصلاة فدعي إليها وامتنع واستناب ثلاثاً مع تهديده بالقتل فلم يصل حتى قتل هل يموت كافراً أو فاسقاً على قولين وهذا الفرض باطل فانه يمتنع في الفطرة أن يكون الرجل يعتقد ان الله فرضها عليه وانه يعاقبه على تركها ويصبر على القتل ولا يسجد لله سجدة من غير عذر له في ذلك هذا لا يفعله بشر قط بل ولا يضرب أحد ممن يقر بوجوب الصلاة الاصل لا ينتهي الامر الى القتل وسبب ذلك ان القتل ضرر عظيم لا يصبر عليه الانسان الا لامر عظيم مثل لزومه لدين يعتقدانه ان فارقه هلك فيصبر عليه حتى يقتل وسواء كان الدين حقاً أو باطلاً أما مع اعتقاده ان الفعل يجب عليه باطناً وظاهراً فلا يكون فعل الصلاة أصعب عليه من احتمال القتل قط ونظير هذا لو قيل ان رجلاً من أهل السنة قيل له ترض عن أبي بكر وعمر فامتنع عن ذلك حتى قتل مع محبته لهما واعتقاده فضلهما ومع عدم الاعذار المانعة من الترضي عنهما فهذا لا يقع قط وكذلك لو قيل ان رجلاً يشهد أن محمداً رسول الله باطناً وظاهراً وقد طلب منه ذلك وليس هناك رهبة ولا رغبة يمتنع لاجلها فامتنع منها حتى قتل فهذا يمتنع أن يكون في الباطن يشهد أن محمداً رسول الله ولهذا كان القول الظاهر من الايمان الذي لانجاة للعبد الابن عند عامة السلف والخلف من الأولين والآخرين الا الجهمية جهما ومن وافقه فانه اذا قدر انه معذور لكونه أخرس أو لكونه خائفاً من قوم ان أظهر الاسلام آذوه ونحو ذلك فهذا يمكن أن لا يتكلم مع إيمان في قلبه كالكفر على كلمة الكفر قال الله تعالى (الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) وهذه الآية مما يدل على فساد قول جهم فانه جعل كل من تكلم بالكفر من أهل وعيد الكفار الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان فان قيل فقد قال تعالى (ولكن من شرح بالكفر صدرا) قيل وهذا موافق لأولها فانه من كفر من غير اكرام فقد شرح بالكفر صدرا والا تناقض أول الآية وآخرها ولو كان المراد بمن كفر هو الشارح صدره وذلك يكون بلا اكرام لم يستثن المكره فقط بل كان يجب أن يستثنى المكره وغير المكره اذا لم يشرح صدره واذا تكلم بكلمة الكفر طوعاً فقد شرح بها صدره وهي كفر وقد دل على ذلك قوله تعالى (يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تخذرون ولئن سئلتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قال الله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ان نعف عن طائفة منكم لعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين) فند أخير اثم كفروا بعد ايمانهم مع قولهم انا تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له بل كنا نخوض ونلعب وبين ان الاستهزاء بآيات الله كفر ولا يكون هذا الا من شرح صدره بهذا الكلام ولو كان الايمان في قلبه منعه أن يتكلم بهذا الكلام والقرآن يبين ان إيمان القلب يستلزم العمل الظاهر بحسبه كقوله تعالى (ويقولون آمنا

بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين (إنا كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) فنفى الإيمان عن تولي عن طاعة الرسول وأخبر أن المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم - سمعوا وأطاعوا فبين أن هذا من لوازم الإيمان

(فصل) فإن قيل فإذا كان الإيمان المطلق يتناول جميع ما أمر الله به ورسوله فحق ذهب بعض ذلك فيلزم تكفير أهل الذنوب كقول الخوارج أو تخليد لهم في النار وسلمهم اسم الإيمان بالكيفية كما يقوله المعتزلة وكلا هذين القولين شر من قول المرجئة فإن المرجئة منهم جماعة من العلماء والعباد المذكورين عند الأمة بخير وأما الخوارج والمعتزلة فأهل السنة والجماعة من جميع الطوائف مطبقون على ذمهم قيل أولاً يذنبون أن يعرف أن القول الذي لم يوافق الخوارج والمعتزلة عليه أحد من أهل السنة هو القول بتخليد أهل الكبار في النار فإن هذا القول من البدع المشهورة وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين على أنه لا يخلد في النار أحد من في قلبه مثقال ذرة من إيمان واتفقوا أيضاً على أن نبينا صلى الله عليه وسلم يشفع فيمن يأذن الله له بالشفاعة فيه من أهل الكبار من أمته وفي الصحيحين عنه أنه قال لكل نبي دعوة مستجابة وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة وهذه الأحاديث المذكورة في مواضعها وقد نقل بعض الناس عن الصحابة في ذلك خلافاً كما روى عن ابن عباس أن القاتل لا توبة له وهذا غلط على الصحابة فإنه لم يقد أحد منهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يشفع لأهل الكبار ولا قال أنهم يخلدون في النار ولكن ابن عباس في إحدى الروايتين عنه قال أن القاتل لا توبة له وعن أحمد بن حنبل في قبول توبة القاتل روايتان أيضاً والنزاع في التوبة غير النزاع في التخليد وذلك أن القتل يتعلق به حق آدمي فلهذا حصل فيه النزاع وأما قول القاتل أن الإيمان إذا ذهب بعضه ذهب كله فهذا ممنوع وهذا هو الأصل الذي تفرعت عنه البدع في الإيمان فأنهم ظنوا أنه متى ذهب بعضه ذهب كله لم يبق منه شيء ثم قالت الخوارج والمعتزلة هو مجموع ما أمر الله به ورسوله وهو الإيمان المطلق كما قاله أهل الحديث قالوا فإذا ذهب شيء منه لم يبق مع صاحبه من الإيمان شيء فيخلد في النار وقالت المرجئة على اختلاف فرقهم لا تذهب الكبار وترك الواجبات الظاهرة منه إذ لو ذهب شيء منه لم يبق منه شيء فيكون شيئاً واحداً يستوى فيه البر والفاجر ونصوص الرسول وأصحابه تدل على ذهاب بعضه وبقاء بعضه كقوله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ولهذا كان أهل السنة والحديث على أنه يتفاضل وجمهورهم يقولون يزيد وينقص ومنهم من يقول يزيد ولا يقول ينقص كما روى عن مالك في إحدى الروايتين ومنهم من يقول يتفاضل كعبدة الله بن المبارك وقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان منه عن الصحابة ولم يعرف فيه مخالف من الصحابة فروى الناس من وجوه كثيرة مشهورة عن حماد بن سلمة عن أبي جعفر عن جده عمير بن حبيب الخطمي وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الإيمان يزيد وينقص قيل له وما زيادته وما نقصانه

قال اذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فذلك زيادته واذا غفلنا ونسينا فذلك نقصانه وروي اسمعيل بن عياش عن جرير بن عثمان عن الحارث بن محمد عن أبي الدرداء قال الايمان يزيد وينقص وقال أحمد بن حنبل حدثنا يزيد حدثنا جرير بن عثمان قال سمعت أبا الدرداء قال ان من فقه العبدان يتعاهد ايمانه وما نقص منه ومن فقه العبد أن يعلم ازداد هوأم ينقص وان من فقه الرجل أن يعلم نزغات الشيطان اني تأتية وروي اسمعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو عن عبد الله بن ربيعة الحضرمي عن أبي هريرة قال الايمان يزيد وينقص وقال أحمد بن حنبل حدثنا يزيد بن هرون حدثنا محمد بن طلحة عن زبيد عن ذر قال كان عمر بن الخطاب يقول لاصحابه هلموا نزداد ايماناً فيذكرون الله عز وجل وقال أبو عبيد في الغريب في حديث على أن الايمان يبدو وكلفة في القلب كلما ازداد الايمان ازدادت اللمظة بروي ذلك عن عثمان بن عبد الله عن عمرو بن هند الجلي. الأصمعي اللمظة مثل النكتة أو نحوها وقال أحمد بن حنبل حدثنا وكيع عن شريك عن هلال عن عبد الله بن عكيم قال سمعت ابن مسعود يقول في دعائه اللهم زدنا ايماناً وبقيناً وفقها وروي سفيان الثوري عن جامع بن شداد عن الاسود ابن هلال قال كان معاذ بن جبل يقول لرجل اجلس بنا نؤمن نذكر الله تعالى وروي أبو اليمان حدثنا صفوان عن شريح بن عبيد أن عبد الله بن ربيعة كان يأخذ بيد الرجل من أصحابه فيقول قم بناؤمن ساعة فاجلس في مجلس ذكر وهذه الزيادة اثبتها الصحابة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن كله وصح عن عمار بن ياسر انه قال ثلاث من كن فيه فقد استكمل الايمان الانصاف من نفسه والافتقار من الاقتار وبذل السلام للعالم ذكره البخاري في صحيحه وقال جندب بن عبد الله وابن عمر وغيرهما تعلمنا الايمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا ايماناً والآثار في هذا كثيرة رواها المصنفون في هذا الباب عن الصحابة والتابعين في كتب كثيرة معروفة ولزيادة قد نطق بها القرآن في عدة آيات كقوله تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً) وهذه زيادة اذا تليت عليهم الآيات أي وقت تليت ليس هو تصديقهم بها عند النزول وهذا أمر يجده المؤمن اذا تليت عليه الآيات زاد في قلبه بفهم القرآن ومعرفة معانيه من علم الايمان ما لم يكن حتى كأنه لم يسمع الآية الا حينئذ ويحصل في قلبه من الرغبة في الخير والرهبة من الشر ما لم يكن فزاد علمه بالله ومحبه لطاعته وهذا زيادة الايمان وقال تعالى (الذين قال لهم الناس ان احبوا اليكم فاحشواكم فزادهم ايماناً وقالوا حسبي الله ونعم الوكيل) فهذه الزيادة عند تخوفهم بالعدو لم تكن عند آية نزلت فازدادوا يقيناً وتوكلاً على الله وثباتاً على الجهاد وتوحيداً بأن لا يخافوا المخلوق بل يخافون الخالق وحده وقال تعالى (واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايماناً فاما الذين آمنوا فزادتهم ايماناً وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم) وهذه الزيادة ليست مجرد التصديق بان الله أنزلها بل زادتهم ايماناً بحسب مقتضاها فان كانت أمراً بالجهاد أو غيره ازدادوا رغبة وان كانت نهياً عن شيء انتهوا عنه فكروه ولهذا قال (وهم يستبشرون) والاستبشار غير مجرد التصديق وقال تعالى (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما

أنزل اليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه) والفرح بذلك من زيادة الايمان قال تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) وقال تعالى (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) وقال تعالى (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا) وقال تعالى (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) وهذه نزلت لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الحديبية فجعل السكينة موجبة لزيادة الايمان والسكينة طمأنينة في القلب غير علم القلب وتصديقه ولهذا قال يوم حنين (فأنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها) وقال تعالى (ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينة عليه وأيده بمجنود لم تروها) ولم يكن قد نزل يوم حنين قرآن ولا يوم الغار وانما أنزل سكينة طمأنينته من خوف العدو فلما أنزل السكينة في قلوبهم مرجعهم من الحديبية ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم دل على ان الايمان المزيّد حال للقلب وصفة له وعمل مثل طمأنينته وسكونه وبقينه واليقين قد يكون بالعمل والطمأنينة كما يكون بالعلم والريب المنافي لليقين يكون ربياً في العلم وربياً في طمأنينة القلب ولهذا جاء في الدعاء المأثور اللهم اقسم لنا من خشيتك ما نحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تباغضنا به الى جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا وفي حديث الصديق الذي رواه أحمد والترمذي وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سلوا الله العافية واليقين فما أعطي أحد بعد اليقين شيئاً خيراً من العافية فسلوهما الله تعالى فاليقين عند المصائب بعد العلم بان الله قدرها سكونة القلب وطمأنينته وتسليمه وهذا من تمام الايمان بالقدر خيره وشره كما قال تعالى (ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) قال علقمة ويروى عن ابن مسعود هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم انها من عند الله فيرضى ويسلم وقوله تعالى (يهد قلبه) هداة لقلبه هو زيادة في ايمانه كما قال تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى) وقال (انهم فنية آمنوا بربههم وزدناهم هدى) ولفظ الايمان أكثر ما يذكر في القرآن مقيداً فلا يكون ذلك اللفظ متناولاً لجميع ما أمر الله به بل يجعل موجباً لوازمه وتمام ما أمر به وحينئذ يتناوله الاسم المطلق قال تعالى (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور) وقال تعالى في آخر السورة (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفاين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم) وقد قال بعض المفسرين في الآية الاولى انها خطاب لقريش وفي الثانية انها خطاب لليهود والنصارى وليس كذلك فان الله لم يقل قط للكفار (يا أيها الذين آمنوا) نعم قال بعد ذلك (الا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدر على شيء من فضل الله) وهذه السورة مدنية باتفاق لم يخاطب بها المشركين بمكة وقد قال (وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين) وهذا لا يخاطب به كافر وكفار مكة لم يكن أخذ ميثاقهم وانما أخذ ميثاق المؤمنين ببيعتهم له فان كل من كان مسلماً مهاجراً كان يبايع النبي صلى

الله عليه وسلم كما يايه الانصار ليله العقبة وانما دعاهم الى تحقيق الايمان وتكميله باداء ما يجب من تمامه باطنياً وظاهراً كما نسال الله أن يهدينا الصراط المستقيم في كل صلاة وان كان قد هدى المؤمنين للاقرار بما جاء به الرسول جملة لكن الهداية المفصلة في جميع ما يقولونه ويفعلونه في جميع أمورهم لم تحصل وجميع هذه الهداية المفصلة الخاصة هي من الايمان المأمور به وبذلك يخرجهم الله من الظلمات الى النور

فصل * وزيادة الايمان الذي أمر الله به والذي يكون من عباده المؤمنين من وجوه. أحدها الاجمال والتفصيل فيما أمروا به فانه وان وجب على جميع الخلق الايمان بالله ورسوله ووجب على كل أمة التزام ما يأمر به رسولهم مجملًا فمعلوم أنه لا يجب في أول الامر ما وجب بعد نزول القرآن كله ولا يجب على كل عبد من الايمان المفصل مما أخبر به الرسول ما يجب على من بلغه غيره فمن عرف القرآن والسنة ومعانيها لزمه من الايمان المفصل بذلك ما لا يلزم غيره ولو آمن الرجل بالله وبالرسول باطنياً وظاهراً ثم مات قبل أن يعرف شرائع الدين مات مؤمناً بما وجب عليه من الايمان وليس ما وجب عليه ولا ما وقع عنه مثل ايمان من عرف الشرائع فآمن بها وعمل بها بل ايمان هذا أكمل وجوباً ووقوعاً فان ما وجب عليه من الايمان أكل وما وقع منه أكل وقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) أي في التشريع بالامر والنهي ليس المراد أن كل واحد من الامة وجب عليه ما يجب على سائر الامة وانه فعل ذلك بل في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه وصف النساء بأنهن ناقصات عقل ودين وجمال نقصان عقلها ان شهادة امرأتين شهادة رجل واحد ونقصان دينها اذا حاضت لا تصوم ولا تصلي وهذا النقصان ليس هو نقص مما أمرت فلا تعاقب على هذا النقصان لكن من أمر بالصلاة والصوم ففعله كان دينه كاملاً بالنسبة الى هذه الناقصة الدين. الوجه الثاني الاجمال والتفصيل فيما وقع منهم فمن آمن بما جاء به الرسول مطلقاً فلم يكذب قط لكن أعرض عن معرفة أمره ونهيه وخبره وطلب العلم الواجب عليه فلم يعلم الواجب عليه ولم يعمل بل أتبع هواه وآخر طلب علم ما أمر به فعمل به وآخر طلب علمه فعمله وآمن به ولم يعمل به فهو لاه وان اشتركوا في الوجوب لكن من طلب علم التفصيل وعمل به فإيمانه أكل بمن عرف ما يجب عليه والتزمه وأقر به لكنه لم يعمل بذلك كله وهذا المقر بما جاء به الرسول المعترف بذنبه الخائف من عقوبته على ترك العمل أكل ايمانا بمن لم يطلب معرفة ما أمر به الرسول ولا عمل بذلك ولا هو خائف أن يعاقب بل هو في غفلة عن تفصيل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم مع أنه مقر بنبوته باطنياً وظاهراً فكل ما علم القلب ما أخبر به الرسول فصدقه وما أمر به فالتزمه كان ذلك زيادة في ايمانه على من لم يحصل له ذلك وان كان معه التزام عام واقرار عام وكذلك من عرف أسماء الله ومعانيها فآمن بها كان ايمانه أكل بمن لم يعرف تلك الاسماء بل آمن بها ايمانا مجملًا أو عرف بعضها وكلما ازداد الانسان معرفة بأسماء الله وصفاته وآياته كان ايمانه به أكل. . . الثالث ان العلم والتصديق نفسه يكون بعضه أقوى من بعض وأثبت وأبعد عن الشك والريب وهذا أمر يشهد به كل أحد من نفسه كما أن الحس الظاهر بالشيء الواحد مثل رؤية الناس لللال وان اشتركوا فيها فبعضهم تكون رؤيته أنهم من بعض

وكذلك سماع الصوت الواحد وشم الرائحة الواحدة وذوق النوع الواحد من الطعام فكذلك معرفة القلب وتصديقه يتفاضل أعظم من ذلك من وجوه متعددة والمعاني التي يؤمن بها من معاني أسماء الرب وكلامه يتفاضل الناس في معرفتها أعظم من تفاضلهم في معرفة غيرها . . الرابع ان التصديق المستلزم لعمل القلب أكمل من التصديق الذي لا يستلزم عمله فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لا يعمل به وإذا كان شخصان يعلمان أن الله حق ورسوله حق والجنة حق والنار حق وهذا علمه أوجب له محبة الله وخشيته والرغبة في الجنة والهرب من النار والآخرة علمه لم يوجب ذلك فعلم الاول أكمل فان قوة المسبب دل على قوة السبب وهذه الامور نشأت عن العلم فالعلم بالمحسوب يستلزم طلبه والعلم بالخوف يستلزم الهرب منه فاذا لم يحصل اللازم دل على ضعف الملزوم ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الخبير كلمتين فان موسى لما أخبره ربه أن قومه عبدوا العجل لم يلق الا لواح فلما رآهم قد عبدوه ألقاهم وليس ذلك لشك موسى في خبر الله لكن الخبر وان جزم بتصديق الخبر فقد لا يتصور الخبر به في نفسه كما يتصوره اذا عاينه بل يكون قلبه مشغولاً عن تصور الخبر به وان كان مصداقه ومعلوم انه عند المعاينة يحصل له من تصور الخبر به ما لم يكن عند الخبر فهذا التصديق أكمل من ذلك التصديق . . الخامس ان أعمال القلوب مثل محبة الله ورسوله وخشية الله تعالى ورجائه ونحو ذلك هي كلها من الايمان كما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفاق السلف وهذه يتفاضل الناس فيها تفاضلاً عظيماً . . السادس ان الاعمال الظاهرة مع الباطنة هي أيضاً من الايمان والناس يتفاضلون فيها . . السابع ذكر الانسان بقلبه مأمراً الله به واستحضاره لذلك بحيث لا يكون غافلاً عنه أكمل ممن صدق به وغفل عنه فان الغفلة تضاد كمال العلم والتصديق والذكر والاستحضار يكمل العلم واليقين . . ولهذا قال عمر بن حبيب من الصحابة اذا ذكرنا الله وحده وسبحناه فتلك زيادته واذا غفلنا ونسينا وضعنا فتلك نقصانه وكان معاذ ابن جبل يقول لأصحابه اجلسوا بنا ساعة نؤمن قال تعالى (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه) وقال تعالى (وذكروا ان الذكرى تنفع المؤمنين) وقال تعالى (سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقي) ثم كما تذكر الانسان ما عرفه قبل ذلك وعمل به حصل له معرفة نفي آخر لم يكن عرفه قبلاً ذلك وعرف من معاني أسماء الله وآياته ما لم يكن عرفه قبل ذلك كما في الاثر من عمله بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وهذا أمر يمجده في نفسه كل مؤمن . . وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت قال تعالى (واذا نلت عليهم آياته زادتهم ایماناً) وذلك انها تزيدهم علم ما لم يكونوا قبل ذلك علموه وتزيدهم عملاً بذلك العلم وتزيدهم تذكراً لما كانوا نسوه وعملاً بتلك التذكرة وكذلك ما يشاهده العباد من الآيات في الآفاق وفي أنفسهم قال تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) أي ان القرآن حق ثم قال تعالى (أولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد) فان الله شهيد في القرآن بما أخبر به فآمن به المؤمن ثم أراهم في الآفاق وفي أنفسهم من الآيات ما يدل على مثل ما أخبر به في القرآن فيبين لهم هذه الآيات ان القرآن حق مع ما كان قد حصل

لهم قبل ذلك وقال تعالى (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) فالآيات المخلوقة والمخلوقة فيها تبصرة وفيها تذكرة تبصرة من العمى وتذكرة من الغفلة فيبصر من لم يكن عرف حتى يعرف ويذكر من عرف ونسى والانسان يقرأ السورة مرات حتى سورة الفاتحة ويظهر له في أثناء الحال من معانيها ما لم يكن خطر له قبل ذلك حتى كأنها تلك الساعة نزلت فيؤمن بتلك المعاني ويزداد علمه وعمله وهذا موجود في كل من قرأ القرآن بتدبر بخلاف من قرأه مع الغفلة ثم كلما فعل شيئاً بما أمر به استحضر أنه أمر به فصدق الامر فحصل له في تلك الساعة من التصديق في قلبه ما كان غافلاً عنه وان لم يكن مكذباً . . الثامن ان الانسان قد يكون مكذباً ومنكراً لأمور لا يعلم أن الرسول أخبر بها وأمر بها ولو علم ذلك لم يكذب ولم ينكر بل قلبه جازم بأنه لا يخبر الا بصدق ولا يأمر الا بحق ثم يسمع الآية أو الحديث أو يتدبر ذلك أو يفسر له معناه أو يظهر له ذلك بوجه من الوجوه فيصدق بما كان مكذباً به ويعرف ما كان منكراً وهذا تصديق جديد وإيمان جديد ازداد به إيمانه ولم يكن قبل ذلك كافراً بل جاهلاً وهذا وان أشبه الجمل والمفصل لكون صاحب الجمل قد يكون قلبه سليماً عن تكذيب وتصديق لشي من التفاصيل وعن معرفة وانكار لشي من ذلك فيأتيه التفصيل بعد الاجال على قلب ساذج وأما كثير من الناس بل من أهل العلوم والعبادات فيقوم بقلوبهم من التفصيل أمور كثيرة تخالف ما جاء به الرسول وهم لا يعرفون أنها تخالف فإذا عرفوا رجعوا وكل من ابتدع في الدين قولاً أخطأ فيه أو عمل عملاً أخطأ فيه وهو مؤمن بالرسول أو عرف ما قاله وآمن به لم يعدل عنه هو من هذا الباب وكل مبتدع قصده متابعة الرسول فهو من هذا الباب فمن علم ما جاء به الرسول وعمل به أكمل ممن أخطأ ذلك ومن علم الصواب بعد الخطأ وعمل به فهو أكمل ممن لم يكن كذلك

فصل ١٠ وقد أثبت في القرآن اسماً بلا إيمان في قوله تعالى (قال الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما بدخل الإيمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً) . . وقد ثبت في الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص قال أعطي النبي صلى الله عليه وسلم رهطاً وفي رواية قسم قسماً وترك فيهم من لم يعطه وهو أعجبهم الي فقلت يا رسول الله مالك عن فلان فوالله اني لأراه مؤمناً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مسلماً أقولها لأننا ويردها على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأننا قال اني لاعطي الرجل وغيره أحب الي منه مخافة أن يكبه الله في النار وفي رواية فضرِب بين عنتي وكنتي وقال أقتل أي سعد فهذا الاسلام الذي نفي الله عن أهله دخول الإيمان في قلوبهم هل هو اسلام يثابون عليه أم هو من جنس اسلام المتأفقين فيه قولان مشهوران للسلف والخلف أحدهما انه اسلام يثابون عليه ويخرجهم من الكفر والنفاق وهذا مروى عن الحسن وابن سيرين وإبراهيم النخعي وأبي جعفر الباقر وهو قول حماد بن زيد وأحمد بن حنبل وسهل بن عبد الله التستري وأبي طالب المكي وكثير من أهل الحديث والسنة والحقائق قال أحمد ابن حنبل حدثنا مؤمل عن عمار بن زيد قال

سمعت هشاماً يقول كان الحسن ومحمد يقولان مسلم وبها بان مؤمن وقال أحمد بن حنبل حدثنا أبو سلمة الخزازي قال قال مالك وشريك وأبو بكر بن عياش وعبد العزيز بن أبي سلمة وحامد بن سلمة وحامد بن زيد الايمان المعرفة والاقرار والعمل الا ان حماد بن زيد يفرق بين الاسلام والايمان يجعل الايمان خاصاً والاسلام عاماً. والقول الثاني ان هذا الاسلام هو الاستسلام خوف السبي والقتل مثل اسلام المنافقين قال وهؤلاء كفار فان الايمان لم يدخل في قلوبهم ومن لم يدخل الايمان في قلبه فهو كافر وهذا اختيار البخاري ومحمد بن نصر المروزي والسلف مختلفون في ذلك قال محمد بن نصر حدثنا اسحاق أنبأنا جرير عن مغيرة قال أتيت ابراهيم النخعي فقلت ان رجلاً خاصمني بقله سعيد العنبري فقال ابراهيم ليس بالعنبري ولكنه زبيدي قوله (قلت الاعراب آمنوا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) فقل هو الاستسلام فقال ابراهيم لا هو الاسلام وقال حدثنا محمد بن يحيى حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن مجاهد قالت الاعراب آمنوا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا قال استسلمنا خوف السبي والقتل ولكن هذا منقطع سفيان لم يدرك مجاهداً والذين قالوا ان هذا الاسلام هو كاسلام المنافقين لا يتأبون عليه قالوا لان الله نفي عنهم الايمان ومن نفي عنه الايمان فهو كافر وقال هؤلاء الاسلام هو الايمان وكل مسلم مؤمن وكل مؤمن مسلم ومن جعل الفساق مسلمين غير مؤمنين لزمه أن لا يجعلهم داخلين في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة) وفي قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة) وأمثال ذلك فانهم ادعوا باسم الايمان لا باسم الاسلام فمن لم يكن مؤمناً لم يدخل في ذلك وجواب هذا أن يقال الذين قالوا من السلف انهم خرجوا من الايمان الى الاسلام لم يقولوا انه لم يبق معهم من الايمان شيئاً بل هذا قول الخوارج والمعتزلة وأهل السنة الذين قالوا هذا يقولون الفساق يخرجون من النار بالشفاعة وان معهم ايمان يخرجون به من النار لكن لا يطلق عليهم اسم الايمان لان الايمان المطلق هو الذي يستحق صاحبه الثواب ودخول الجنة وهؤلاء لبسوا من أهله وهم يدخلون في الخطاب بالايمان لان الخطاب بذلك هو لمن دخل في الايمان وان لم يستكملوه فانه انما خوطب ليفعل تمام الايمان فكيف يكون قد آتمه قبل الخطاب والا كنا قد تبينا ان هذا المأمور من الايمان قبل الخطاب وانما صار من الايمان بعد ان أمروا به فالخطاب بآيها الذين آمنوا غير قوله (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) ونظائر فان الخطاب بآيها الذين آمنوا يدخل فيه من أظهر الايمان وان كان منافقاً في الباطن يدخل فيه في الظاهر فكيف لا يدخل فيه من لم يكن منافقاً وان لم يكن من المؤمنين حقاً وحقيقة ان من لم يكن من المؤمنين حقاً يقال فيه انه مسلم ومعه ايمان بمنعه الخلود في النار وهذا متفق عليه بين أهل السنة لكن هل يطلق عليه اسم الايمان هذا هو الذي تنازعوا فيه فقل يقال مسلم ولا يقل مؤمن وقيل بل يقال مؤمن والتحقيق أن يقال انه مؤمن ناقص الايمان مؤمن بايمانه فاسق بكبيرته ولا يعطي الاسم المطلق فن الكتاب والسنة نفيًا عنه الاسم المطلق واسم الايمان يتناول به أمر الله به ورسوله لان ذلك ايجاب عليه وتحريم عليه وهو لازم له كما يلزمه غيره وانما الكلام في اسم المدح المطلق وعلى هذا فالخطاب بالايمان يدخل فيه

ثلاث طوائف يدخل فيه المؤمن حقاً ويدخل فيه المنافق في أحكامه الظاهرة وان كانوا في الآخرة في الدرك الأسفل من النار وهو في الباطن ينفي عنه الاسلام والايمان وفي الظاهر يثبت له الاسلام والايمان الظاهر ويدخل فيه الذين أسلموا ولم تدخل حقيقة الايمان في قلوبهم لكن معهم جزء من الايمان واسلام يشابون عليه ثم قد يكونون مفرطين فيما فرض عليهم وليس معهم من الكبار ما يعاقبون عليه كأهل الكبار لكن يعاقبون على ترك المفروضات وهؤلاء كالأعراب المذكورين في الآية وغيرهم فانهم قالوا آمنا من غير قيام منهم بما أمروا به باطنياً وظاهراً فلا دخلت حقيقة الايمان في قلوبهم ولا جاهدوا في سبيل الله وقد كان دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الجهاد وقد يكونون من أهل الكبار المعرضين للوعيد كالذين يصلون ويذكرون ويجاهدون ويأتون الكبار وهؤلاء لا يخرجون من الاسلام بل هم مسلمون ولكن بينهم نزاع لفظي هل يقال انهم مؤمنون كما سذكروه ان شاء الله وأما الخوارج والمعتزلة فيخرجونهم من اسم الايمان والاسلام فان الايمان والاسلام عندهم واحد فاذا خرجوا عندهم من الايمان خرجوا من الاسلام لكن الخوارج تقول هم كفار والمعتزلة تقول لا مسلمون ولا كفار ينزلونهم منزلة بين المنزلتين والدليل على ان الاسلام المذكور في الآية هو اسلام يشابون عليه وانهم ليسوا منافقين انه قال (قلت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم) ثم قال (وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً) فدل انهم اذا أطاعوا الله ورسوله مع هذا الاسلام أجزهم الله على الطاعة والمنافق عمله حابط في الآخرة وأيضاً فإنه وصفهم بخلاف صفات المنافقين وصفهم بكفر في قلوبهم وانهم يبطنون خلاف ما يظهرون كما قال تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشمرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً) الآيات (وقال اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) فلما نقفون يصفهم في القرآن بالكذب وانهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم وبان في قلوبهم من الكفر ما يعاقبون عليه وهؤلاء لم يصفهم بشئ من ذلك لكن لما ادعوا الايمان قال للرسول قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً) . . . وفي الايمان المصلي لا يستلزم أن يكونوا منافقين كما في قوله (يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين) ثم اقول (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى رءسهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً) ومعلوم انه ليس من لم يكن كذلك يكون منافقاً من أهل الدرك الأسفل من النار بل لا يكون قد أتى بالايمان الواجب فنفي عنه كما ينفي سائر الاسماء عن ترك بعض ما يجب فيها فكذلك الأعراب لم يأتوا بالايمان الواجب فنفي عنهم لذلك وان كانوا مسلمين معهم من الايمان يشابون عليه وهذا حال أكثر الداخلين في الاسلام ابتداء بل حال أكثر من لم يعرف حقائق الايمان فان الرجل اذا قوتل حتى أسلم كما كان الكفار يقاتلون حتى

يسلموا أو أسلم بعد الاسر وسمع بالاسلام فجاء فأسلم فانه مسلم ملتزم طاعة الرسول ولم تدخل الى قلبه المعرفة بمخالفات الايمان فان هذا انما يحصل لمن تيسرت له أسباب ذلك اما بفهم القرآن واما بمباشرة أهل الايمان والافتداه بما يصدر عنهم من الأقوال والأعمال واما بهداية خاصة من الله يهديه بها والانسان قد يظهر له من محاسن الاسلام ما يدعوه الى الدخول فيه وان كان قد ولد عليه وتربى بين أهله فانه يحبه فقد ظهر له بعض محاسنه وبعض مساوي الكفار وكثير من هؤلاء قد يرتاب اذا سمع الشبه القاذبة فيه ولا يجاهد في سبيل الله فليس هو داخلا في قوله (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) وليس هو منافقا في الباطن مضمرا للكفر فلا هو من المؤمنين حقا ولا هو من المنافقين ولا هو أيضا من أصحاب الكبراء بل يأتي بالطاعات الظاهرة ولا يأتي بمخالفات الايمان التي يكون بها من المؤمنين حقا فهذا معه ايمان وليس هو من المؤمنين حقا وبثاب على ما فعل من الطاعات ولهذا قال تعالى (ولكن قولوا أسلمنا) ولهذا قال (يؤمنون عليك أن أسلموا قل لا تنتموا على اسلامكم بل الله يمين عليكم أن هذا كم للايمان ان كنتم صادقين) يعنى في قوله آمنا بقول ان كنتم صادقين فانه يمين عليكم أن هذا كم للايمان وهذا يقتضي انهم قد يكونون صادقين في قولهم آمنا ثم صدقهم اما أن يراد به اتصافهم بأنهم آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون واما أن يراد به انهم لم يكونوا كالمنافقين بل معهم ايمان وان لم يكن لهم أن يدعوا حطاق الايمان وهذا أشبه والله أعلم لان النسوة المنتحفات قال فيهن (فان علمتهن مؤمنات فلا ترجعهن الى الكفار) ولا يمكن انى الريب عنهن في المستقبل ولان الله انما كذب المنافقين لم يكذب غيرهم وهؤلاء لم يكذبهم ولكن قال لم تؤمنوا كما قال لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقوله لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يؤمن من لا يامن جاره بوثقه وهؤلاء ليسوا منافقين . . وسياق الآية يدل على أن الله ذمهم لكونهم منوا بالاسلام لجهلهم وجناتهم وأظهروا ما في أنفسهم مع علم الله به فان الله تعالى قال (قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض) فلو لم يكن في قلوبهم شيء من الدين لم يكونوا يعلمون الله بدينهم فان الاسلام الظاهر يعرفه كل أحد ودخلت الباء في قوله أتعلمون الله بدينكم لانه ضمن معنى يخبرون ويحدثون كأنه قال أخبرونه وتحدثونه بدينكم وهو يعلم ما في السموات وما في الارض وسياق الآية يدل على أن الذين أخبروا به الله هو ما ذكره الله عنهم من قولهم آمنا فانهم أخبروا عما في قلوبهم . . وقد ذكر المفسرون انه لما نزلت هاتان الآيتان أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون انهم مؤمنون صادقون فنزل قوله تعالى (قل أتعلمون الله بدينكم) وهذا يدل على انهم كانوا صادقين أولا في دخولهم في الدين لانه لم يجدد لهم بعد نزول الآية جهاد حتى يدخلوا في الآية انما هو كلام قالوه وهو سبحانه قال ولما يدخل الايمان في قلوبكم ولفظ لما ينشئ به ما يقرب حصوله ويحصل غالباً فقولوه (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) وقد قال السدي نزلت هذه الآية في أعراب مزينة وجهينة وأسلم وأشجع وغفار وهم الذين ذكرهم الله في سورة الفتح وكانوا يقولون

آمنوا بالله ليؤمنوا على أنفسهم فلما استنفروا الى الحديبية تخلفوا فنزلت فيهم هذه الآية وعن مقاتل كانت منازلهم بين مكة والمدينة وكانوا اذا مرت بهم سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا آمنوا ليؤمنوا على دمائهم وأموالهم فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحديبية استنفرهم فلم ينفروا معه وقال مجاهد نزلت في أصراب بني أسد بن خزيمة ووصف غيره حالهم فقالوا قدموا المدينة في سنة مجدية فأظهروا الاسلام ولم يكونوا مؤمنين وأفسدوا طريق المدينة بالعدرات وأغلوا أسعارهم وكانوا يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون أينناك بالانقال والعيال فنزلت فيهم هذه الآية وقد قال قتادة في قوله (يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين) قال ممنوا على النبي صلى الله عليه وسلم حين جاؤا فقالوا انا أسلمنا بغير قتال لم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان فقال الله لنبيه (يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان) وقال مقاتل بن حيان هم أصراب بني أسد بن خزيمة قالوا يا رسول الله أينناك بغير قتال وتركنا العشائر والاموال وكل قبيلة من العرب قاتلتك حتى دخلوا كرها في الاسلام فلما بذلك عليك حق فأنزل الله تعالى (يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين) فله بذلك المن عليكم وفيهم أنزل (ولا تبطلوا أعمالكم) ويقال من الكبائر التي ختمت بنار كل موجبة من ركبها ومات عليها لم يبق منها. وهذا كله يبين انهم لم يكونوا كفارا في الباطن ولا كانوا قد دخلوا فيما يجب من الايمان وسورة الحجرات قد ذكرت هذه الاصناف فقال (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) ولم يصفهم بكفر ولا نفاق لكن هؤلاء يخشى عليهم الكفر والنفاق ولهذا ارتد بعضهم لانهم لم يخاطبوا الايمان بشاشة قلوبهم وقال بعد ذلك (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) وهذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة وكان قد كذب فيما أخبر قتل المفسرون نزلت هذه الآية في الوليد بن عقبة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق ليقبض صدقاتهم وقد كانت بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فسار بعض الطريق ثم رجع فقال انهم منعوا الصدقة وأرادوا قتلي فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم البعث اليهم فنزلت هذه الآية وهذه الآية معروفة من وجوه كثيرة ثم قال تعالى في تمامها (واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم) وقال تعالى (وان طائفتان من المؤمنين اقاتلتا فأصاحبا بينهما فان بغت احدهما على الاخرى الآية ثم نهاهم عن أن يسخر بعضهم ببعض وعن اللمز والتنازع بالالقباب وقال (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) وقد قيل معناه لا تسميه فاسقا ولا كافرا بعد ايمانه وهذا ضعيف بل المراد بئس الاسم أن تكونوا فاسقا بعد ايمانكم كما قال تعالى في الذي كذب (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) فسماء فاسقا. وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سباب المسلم فسوق وقتاله كفر يقول فاذا سابتم المسلم وسخرتم منه ولم تسموه استحققت أن تسموا فاسقا وقد قال في آية القذف (ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون) يقول فاذا أتيتهم بهذه الامور التي تستحقون بها ان تسموا فاسقا كنتم قد استحققت اسم الفسوق بعد

الايمان والا فهم في تنازهم ما كانوا يقولون فاسق كافر فان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وبعضهم يلقب بعضاً وقد قال طائفة من المفسرين في هذه الآية لا تسميه بعد الاسلام بذنبه قبل الاسلام كقوله لليهودي اذا أسلم ييهودي وهذا مروى عن ابن عباس وطائفة من التابعين كالحسن وسعيد بن جبير وعطاء الخراساني والقرظي وقال عكرمة هو قول الرجل يا كافر يا منافق وقال عبد الرحمن بن زيد هو تسميته بالاعمال كقوله بازاني ياسارق وفي تفسير العوفي عن ابن عباس قال هو تعبير الثائب بسيئات كان قد عملها ومعلوم ان اسم الكفر واليهودية والزاني والسارق وغير ذلك من السيئات ليست هي اسم الفاسق فلم ان قوله بنس الاسم الفسوق لم يرد به تسمية المسيب باسم الفاسق فان تسميته كافراً أعظم بل ان الساب يصير فاسقاً لقوله سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ثم قال ومن لم يتب فأوائك هم الظالمون فجعلهم ظالمين اذا لم يتوبوا من ذلك وان كانوا يدخلون في اسم المؤمنين ثم ذكر النهي عن الغيبة ثم ذكر النهي عن التفاخر بالاحساب وقال (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) ثم ذكر قول الاعراب آمنا فالسورة تنهي عن هذه المعاصي والذنوب التي فيها تعد على الرسول وعلى المؤمنين فالاعراب المذكورون فيها من جنس المنافقين وأهل السباب والفسوق والمنادين من وراء الحجرات وأمثالهم ليسوا من المنافقين ولهذا قال المفسرون انهم الذين استنفروا عام الحديبية وأولئك وان كانوا من أهل الكبرياء فلم يكونوا في الباطن كفاراً منافقين قال ابن اسحق لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم العمرة عمرة الحديبية استنفر من حول المدينة من أهل البوادي والاعراب ليخرجوا معه خوفاً من قومه أن يعرضوا له بحرب أو بصد فتناقل عنه كثير منهم فهم الذين عفى الله بقوله (سيقول لك الخلفون من الاعراب شغلنا أموالنا وأهلونا فاستغفرنا) أي ادع الله أن يغفر لنا تخلفنا عنك (يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم) أي ما يبطلون استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم وهذا حال الفاسق الذي لا يبالي بالذنب والمنافقون قال فيهم (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورأيهم يصدون وهم مستكبرون سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) ولم يقل مثل هذا في هؤلاء الاعراب بل الآية دليل على أنهم لو صدقوا في طلب الاستغفار ففهم استغفار الرسول ثم قال (ستدعون الى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً وان تنولوا كما نولتم من قبل يهذبكم عذاباً ألماً) فوعدهم الله بالثواب على طاعة الداعي الى الجهاد وتوعدهم بالنولي عن طاعته وهذا خطاب أمثالهم من أهل الذنوب والكبرياء بخلاف من هو كافر في الباطن فانه لا يستحق الثواب بمجرد طاعة الامر حتى يؤمن أولاً ووعده ليس على مجرد توليه عن الطاعة في الجهاد فان كفره أعظم من هذا فهذا كله يدل على ان هؤلاء من فساق الملة فان الفسق يكون تارة بترك الفرائض وتارة بفعل المحرمات وهؤلاء لما تركوا ما فرض الله عليهم من الجهاد وحصل عندهم نوع من الرب الذي أضعف ايمانهم لم يكونوا من الصادقين الذين وصفهم وان كانوا صادقين في أنهم في الباطن متدينين بدين الاسلام وقول المفسرين لم يكونوا مؤمنين اني ما نفاه الله عنهم من الايمان كما نفاه عن الزاني والسارق والشارب وعن لا يأمن جاره بوائقه وعن لا يجب لاجبيه من

الخير ما يجيب لنفسه وعمن لا يجيب الى حكم الله ورسوله وأمثل هؤلاء وقد يخرج على ذلك بقوله بنس الاسم الفسوق بعد الايمان كما قال سباب المسلم فسوق وقتاله كفر فقدم من استبدل اسم الفسوق بعد الايمان فدل على ان الفاسق لا يسمى مؤمناً فدل ذلك على ان هؤلاء الاعراب من جلس أهل الكبار لا من جنس المنافقين . . وأما ما نقل من انهم أسلموا خوف القتل والسبا فهكذا كان اسلام غير المهاجرين والانصار أسلموا رغبة ورهبة كالسلام الطلقاء من قريش بعد ان قهرهم النبي صلى الله عليه وسلم واسلام المؤلفة قلوبهم من هؤلاء ومن أهل نجد وليس كل من أسلم لرغبة أو رهبة كان من المنافقين الذين هم في الدرك الاسفل من النار بل يدخلون في الاسلام والطاعة وليس في قلوبهم تكذيب ومعاداة للرسول ولا استنارت قلوبهم بنور الايمان واستبصروا فيه وهؤلاء قد يحسن اسلام أحدهم فيصير من المؤمنين كما كثر الطلقاء وقديقي من فساق الملة ومنهم من يصير منافقاً مرتاباً اذا قال له منكر ونكير ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاهاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته وقد تقدم قول من قال انهم أسلموا بغير قتال فهؤلاء كانوا أحسن اسلاماً من غيرهم وان الله انما ذمهم لكونهم منوا بالاسلام وأنزل فيهم ولا تبطلوا أعمالكم وانهم من جنس أهل الكبار وأيضاً قوله (ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم) ولما انما ينتفي بها ما ينتظر ويكون حصوله مترقباً كقوله (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) وقوله (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم) فقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم يدل على ان دخول الايمان منتظر منهم فان الذي يدخل في الاسلام ابتداء لا يكون قد حصل في قلبه الايمان لكنه يحصل فيما بعد كما في الحديث كان الرجل يسلم أول النهار رغبة في الدنيا فلا يجي آخر النهار الا والاسلام أحب اليه مما طلعت عليه الشمس ولهذا كان عامة الذين أسلموا رغبة ورهبة دخل الايمان في قلوبهم بعد ذلك وقوله (ولكن قولوا أسلمنا) أمرهم بأن يقولوا ذلك والمنافق لا يؤمر بشئ ثم قال (وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتمكم من أعمالكم شيئاً) والمنافق لا تنفعه طاعة الله ورسوله حتى يؤمن أولاً . . وهذه الآية مما احتج بها أحمد بن حنبل وغيره على انه يستنفي في الايمان دون الاسلام وان أصحاب الكبار يخرجون من الايمان الى الاسلام قال الميموني سألت أحمد بن حنبل عن رأيه في أنا مؤمن ان شاء الله فقال أقول مؤمن ان شاء الله وأقول مسلم ولا استنفي قال قلت لأحمد تفرق بين الاسلام والايمان فقال لي نعم فقلت له بأي شئ يخرج قال لي (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) وذكر أشياء وقال الشاذلي سألت أحمد عن قال أنا مؤمن عند نفسي من طريق الاحكام والمواريث ولا أعلم ما أنا عند الله قال ليس بمرجي . . وقال أبو أيوب سليمان بن داود الهاشمي الاستثناء جائز ومن قال أنا مؤمن حقاً ولم يقل عند الله ولم يستن فذلك عندي جائز وليس بمرجي وبه قال أبو خيثمة وابن أبي شيبه وذكر الشاذلي انه سأل أحمد بن حنبل عن المصير على الكبار يطلبه بجهده أى يطلب الذنب بجهده الا أنه لم يترك الصلاة والزكاة والصوم هل يكون مصراً من كانت هذه حاله قال هو مصير مثل قوله لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن يخرج من الايمان ويقع في الاسلام ومن نحو

قوله ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ومن نحو قول ابن عباس في قوله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون فقلت له ما هذا الكفر قال كفر لا ينقل عن الملة مثل الايمان بعضه دون بعض فكذلك الكفر حتى يجيء من ذلك أمر لا يختلف فيه وقال ابن أبي شيبة لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن لا يكون مستكمل الايمان يكون ناقصاً من ايمانه .. قال الشافعي وسألت أحمد عن الايمان والاسلام فقال الايمان قول وعمل والاسلام اقرار قال وبه قال أبو خزيمة وقال ابن أبي شيبة لا يكون اسلام الا بايمان ولا ايمان الا باسلام واذا كان على الخطابة فقال قد قبلت الايمان فهو داخل في الاسلام واذا قل قد قبلت الاسلام فهو داخل في الايمان .. وقال محمد بن نصر المروزي وحكي غير هؤلاء أنه سأل أحمد بن حنبل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن فقل من أتى هذه الاربعة أو مثلهن أو فوقهن فهو مسلم ولا أسميه مؤمناً ومن أتى دون ذلك يريد دون الكبائر أسميه مؤمناً .. قص الايمان .. قلت أحمد بن حنبل كان يقول تارة بهذا الفرق وتارة كان يذكر الاختلاف ويتوقف وهو المتأخر عنه قل أبو بكر الأثرم في السنة سمعت أبا عبد الله يسأل عن الاستثناء في الايمان ما تقول فيه فقال أما أنا فلا أعيبه أي من الناس من يعيبه قال أبو عبد الله اذا كان يقول ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص فاستثنى مخافة واحتياطاً ليس كما يقولون على الشك انما يستثنى للعمل قال أبو عبد الله قال الله تعالى (لندخلن المسجد الحرام ان شاء الله) أي ان هذا استثناء بغير شك وقال النبي صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون أي لم يكن يشك في هذا وقد استثناء وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم وعليها نبعث ان شاء الله يعني من القبر وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم اني لأرجو أن أكون أخشاك لله قل هذا كله تقوية للاستثناء في الايمان .. قلت لأبي عبد الله وكأنك لا ترى بأساً أن لا يستثنى فقال اذا كان ممن يقول الايمان قول وعمل يزيد وينقص فهو أسهل عندي ثم قال أبو عبد الله ان قوما تضعف قلوبهم عن الاستثناء كالتمجب منهم وسمعت أبا عبد الله وقيل له شيا به أي شيء تقول فقال شيا به كان يدعى الارزاء قال وحكي عن شيا به قول أخبث من هذه الاقوال ما سمعت عن أحمد بمثله قال أبو عبد الله قال شيا به اذا قال فقد عمل بلسانه كما يقولون فاذا قال فقد عمل بجارحته أي بلسانه حين تكلم به ثم قال أبو عبد الله هذا قول خبيث ما سمعت أحداً يقول به ولا بلغني قيل لأبي عبد الله كنت كتبت عن شيا به شيئاً فقال نعم كنت كتبت عنه قديماً يسيراً قبل أن نعلم أنه يقول بهذا قلت لأبي عبد الله^(١)

كتبت عنه قال لا ولا حرف قيل لأبي عبد الله يزعمون ان سفیان كان يذهب الى الاستثناء في الايمان فقال هذا مذهب سفیان المعروف به الاستثناء قلت لأبي عبد الله من يرويه عن سفیان فقال كل من حكي عن سفیان في هذا حكاية كان يستثنى قال وقال وكيع عن سفیان الناس عندنا مؤمنون في الاحكام والموارث ولا ندرى ما هم عند الله قالت لأبي عبد الله فأنت بأي شيء تقول فقال نحن نذهب الى الاستثناء قلت

لابي عبد الله فاما اذا قال أنا مسلم فلا يستثنى فقال نعم لا يستثنى اذا قال أنا مسلم قلت لابي عبد الله أقول هذا مسلم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وأنا أعلم انه لا يسلم الناس منه فذكر حديث معمر عن الزهري فزى ان الاسلام الكلمة والايمان العمل قال أبو عبد الله حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قيل لابي عبد الله فقولوا بالايمان يزيد وينقص فقال حديث النبي صلى الله عليه وسلم يدل على ذلك فذكر قوله اخرجوا من كان في قلبه مثقال كذا اخرجوا من كان في قلبه مثقال كذا فهو يدل على ذلك .. وذكر عند أبي عبد الله عيسى الاحمر وقوله في الارجاء فقال نعم وذاك خبيث القول .. وقال أبو عبد الله حدثنا مؤمل حدثنا حماد بن زيد سمعت هشاماً يقول كان الحسن ومحمد يقولان مسلم ويهايان مؤمن .. قلت لابي عبد الله رواء غير سويد قال ما علمت بذلك وسمعت أبا عبد الله يقول الايمان قول وعمل قلت لابي عبد الله فالحديث الذي يروى أعتقها فانها مؤمنة قال ليس كل أحد يقول انها مؤمنة يقولون أعتقها قال ومالك سمعه من هذا الشيخ هلال ابن علي لا يقول فانها مؤمنة قال وقد قال بعضهم بانها مؤمنة فهي تفر بذاك في حكمها حكم المؤمنة هذا معناه قلت لابي عبد الله تفرق بين الايمان والاسلام فقال قد اختلف الناس فيه وكان حماد ابن زيد زعموا يفرق بين الايمان والاسلام قيل له من المرجئة قال الذين يقولون الايمان قول بلا عمل قلت فأحمد بن حنبل لم يرد قط انه سلب جميع الايمان فلم يبق معه منه شيء كما تقول الخوارج والمعتزلة فانه قد صرح في غير موضع بان أهل الكبار معهم ايمان يخرجون به من النار واحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان وليس هذا قوله ولا قول أحد من أئمة أهل السنة بل كلهم متفقون على ان الفاسق الذين ليسوا متقين معهم شيء من الايمان يخرجون به من النار هو الفارق بينهم وبين الكفار والمنافقين لكن اذا كان معه بعض الايمان لم يلزم أن يدخل في الاسم المطلق الممدوح وصاحب الشرع قد نفي الاسم عن هؤلاء فقال لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وقال لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه من الخير ما يحب لنفسه وقل لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه واقسم على ذلك مرات وقال المؤمن من آمنه الناس على دماهم وأموالهم والمعتزلة ينفون عنه اسم الايمان بالكلية واسم الاسلام أيضاً ويقولون ليس معه شيء من الايمان والاسلام ويقولون نزل منزلة بين منزلتين فهم يقولون انه يخذل في النار لا يخرج منها بالشفاعة وهذا هو الذي أنكر عليهم والاول نفوا مطلق الاسم وأثبتوا معه شيئاً من الايمان يخرج به من النار لم يكونوا مبتدعة وكل أهل السنة متفقون على انه قد سلب كمال الايمان الواجب فزال بعض ايمانه الواجب لكنه من أهل الوعيد وانما ينازع في ذلك من يقول الايمان لا يتبع من الجهمية والمرجئة فيقولون انه كامل الايمان فالذي ينفي اطلاق الاسم يقول الاسم المطلق مقرون بالمدح واستحقاق الثواب كقولنا متق وبر على العسرات المستقيم فاذا كان الفاسق لا تطلق عليه هذه الاسماء فكذلك اسم الايمان وأمدخوله في الخطاب فلأن الخطاب باسم الايمان كل من معه شيء منه لانه أمر لهم فعاصيهم لا تسقط عنهم وأما ما ذكره أحمد في الاسلام فاتبع فيه الزهري حيث قال

فكانوا يرون الاسلام الكلمة والايمان العمل في حديث سعد بن أبي وقاص وهذا على وجهين فانه قد يراد به الكلمة بتواضعها من الاعمال الظاهرة وهذا هو الاسلام الذي بينه النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت وقد تراد الكلمة فقط من غير فعل الواجبات الظاهرة وليس هذا هو الذي جعله النبي صلى الله عليه وسلم للاسلام لكن قديقال اسلام الاعراب كان من هذا فيقال الاعراب وغيرهم كانوا اذا أسلموا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم الزموا بالاعمال الظاهرة الصلاة والزكاة والصيام والحج ولم يكن أحد يترك بمجرد الكلمة بل كان من أظهر المعصية يعاقب عليها وأحمد ان كان أراد في هذه الرواية ان الاسلام هو الشهادتان فقط فكل من قالها فهو مسلم فهذه احدى الروايات عنه والرواية الاخرى لا يكون مسلماً حتى يأتي بها ويصلي فاذا لم يصل كان كافراً والثالثة انه كافر بترك الزكاة أيضاً والرابعة انه يكفر بترك الزكاة اذا قاتل الامام عليها دون ما اذا لم يقاتله وعنده انه لو قال أنا تؤديها ولا أدفعها الى الامام لم يكن للامام أن يقتله وكذلك عنه رواية انه يكفر بترك الصيام والحج اذا عزم انه لا يحج أبداً ومعلوم انه على القول بكفر تارك المباني يتمتع أن يكون الاسلام مجرد الكلمة بل المراد انه اذا أتى بالكلمة دخل في الاسلام وهذا صحيح فانه يشهد له بالاسلام ولا يشهد له بالايمان الذي في القلب ولا يستثنى في هذا الاسلام لانه أمر مشهور لكن الاسلام الذي هو أداء الخمس كما أمر به يقبل الاستثناء فالاسلام الذي لا يستثنى فيه الشهادتان باللسان فقط فانها لا تزيد ولا تنقص فلا استثناء فيه وقد صار الناس في مسمى الاسلام على ثلاثة أقوال قيل هو الايمان وهو اسمان لمسمى واحد وقيل هو الكلمة وهذان القولان لهما وجه سند كره لكن التحقيق ابتداء هو ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الاسلام والايمان ففسر الاسلام بالاعمال الظاهرة والايمان بالايمان بالاصول الخمسة فليس لنا اذا جمعنا بين الاسلام والايمان ان نجيب بغير ما أجاب به النبي صلى الله عليه وسلم وأما اذا افرد اسم الايمان فانه يتضمن الاسلام واذا افرد الاسلام فقد يكون مع الاسلام مؤمناً بلا نزاع وهذا هو الواجب وعمل يكون مسلماً أولاً لا يراه مؤمن قد تقدم الكلام فيه وكذلك هل يستلزم الاسلام للايمان هذا فيه النزاع المذكور وسنبينه والحمد لله الذي في القرآن بالجنة وبالنجاة من العذاب انما هو معلق باسم الايمان وأما اسم الاسلام مجرد أفا علق به في القرآن دخول الجنة لكنه فرضه وأخبر انه دينه الذي لا يقبل من أحد سواه وبالاسلام بعث الله جميع النبيين قال تعالى (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) وقال (ان الدين عند الله الاسلام) وقال نوح (يا قوم ان كان كبر عايتكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم اقصوا الى ولا تنظروا فان توليتم فاسألتكم من أجر إن أجري الاعلى الله وأمرت أن أكون من المسلمين) وقد أخبر انه لم ينج من العذاب الا المؤمنون فقال (فلنا أحد فيهم من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول منهم ومن آمن وما آمن معه الا قليل) وقال (وأوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن) وقال نوح (وما أنا بطارد الذين آمنوا) وكذلك أخبر عن ابراهيم ان دينه الاسلام

فقال تعالى (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لك الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون) وقال (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفاً واتخذ الله ابراهيم خليلاً) وبمجموع هذين الوصفين علق السعادة فقال (بلي من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) كما علقه بالايان بليوم الآخر والعمل الصالح في قوله (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وهذا يدل على ان الاسلام الذي هو اخلاص الدين لله مع الاحسان وهو العمل الصالح الذي أمر الله به هو والايان انقرون بالعمل الصالح متلازمان فان الوعد على الوصفين وعد واحد وهو الثواب وانتفاء العقاب فان انتفاء الخوف علة تقتضي انتفاء ما يخافه ولهذا قال لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لم يقل لا يخافون فهم لا خوف عليهم وان كانوا يخافون الله ونفى عنهم أن يحزنوا لان الحزن انما يكون على ماض فهم لا يحزنون بحال لا في القبر ولا في مصرات القيامة بخلاف الخوف فانه قد يحصل لهم قبل دخول الجنة ولا خوف عليهم في الباطن كما قال تعالى (لان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون) وأما الاسلام المطابق للمجرد فليس في كتاب الله تعالى دخول الجنة به كما في كتاب الله تعليق دخول الجنة بالايان المطابق للمجرد كقوله (سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله) وقال (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم) وقد وصف الخليل ومن اتبعه بالايان كقوله (فأمن له لوط) ووصفه بذلك فقال (فأى الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون) وقال تعالى (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) ووصفه بأعلى طبقات الايمان وهو أفضل البرية بعد محمد صلى الله عليه وسلم والخليل انما دعا بالرزق للمؤمنين خاصة فقال (وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر) وقال (واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) وقال موسى (يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) بعد قوله (فأمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملأه من أضلئتهم) وقال (وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين) وقد ذكرنا بشرى المطابقة للمؤمنين في قوله (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) وقد وصف الله السحرة بالاسلام والايان معا فقالوا (آمننا برب العالمين رب موسى وهارون) وقالوا (ما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا) وقالوا (انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا أول المؤمنين) وقالوا (ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين) • ووصف الله أنبياء بني اسرائيل بالاسلام في قوله (انا أنزلنا النوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا) والانبيااء كلهم مؤمنون • • ووصف الحواريين بالايان والاسلام فقال تعالى (واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون

قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون) • وحقيقة الفرق أن الاسلام دين والدين مصدر دان يدين ديناً اذا خضع وذل ودين الاسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده فأصله في القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه فمن عبده وعبد معه الهاً آخر لم يكن مسلماً ومن لم يعبد به استكبر عن عبادته لم يكن مسلماً والاسلام هو الاستسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له هكذا قال أهل اللغة اسلم الرجل اذا استسلم فالاسلام في الاصل من باب العمل عمل القلب والجوارح •• وأما الايمان فأصله تصديق واقرار ومعرفة فهو من باب قول القلب المتضمن عمل القلب والاصل فيه التصديق والعمل تابع له فلهذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم الايمان بايمان القلب وبخضوعه وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وفسر الاسلام باستسلام مخصوص وهو المباني الخمس وهكذا في سائر كلامه صلى الله عليه وسلم يفسر الايمان بذلك النوع ويفسر الاسلام بهذا وذلك النوع أعلى •• ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام علانية والايمان في القلب فان الاعمال الظاهرة يراها الناس وأما ما في القلب من تصديق ومعرفة وحب وخشية ورجاء فهذا باطن لكن له لوازم قد تدل عليه واللازم لا يدل الا اذا كان ملزوماً فلهذا كان من لوازمه ما يفعله المؤمن والمنافق فلا يدل (١) ففي حديث عبد الله بن عمرو وأبي هريرة جميعاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من آمنه الناس على دماثهم وأموالهم ففسر المسلم بأمر ظاهر وهو سلامة الناس منه وفسر المؤمن بأمر باطن وهو أن يأمنوه على دماثهم وأموالهم وهذه الصفة أعلى من تلك فان من كان مأموناً سلم الناس منه وليس كل من سلموا منه يكون مأموناً فقد يترك أذاهم وهم لا يأمنون اليه خوفاً أن يكون ترك أذاهم لرغبة ورهبة لا لايمان في قلبه وفي حديث عبيد بن عمير عن عمرو بن عبسة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما الاسلام قال اطعام الطعام ولين الكلام قال فما الايمان قال السماحة والصبر فاطعام الطعام عمل ظاهر يفعله الانسان بقاصد متعددة وكذلك لين الكلام وأما السماحة والصبر فثقتان في النفس قال تعالى (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة) وهذا أعلى من ذاك وهو أن يكون صبراً شكوراً فيه سماحة بالرحمة للانسان وصبر على المكروه وهذا ضد الذي خلق هلوعاً اذا مسه الشر جزوعاً واذا مسه الخير منوعاً فان ذاك ليس فيه سماحة عند النعمة ولا صبر عند المصيبة وتام الحديث فأي الاسلام أفضل قال من سلم المسلمون من لسانه ويده قال يارسول الله أي المؤمنين أكل ايماناً قال أحسنهم خلقاً قال يارسول الله أي القتل أشرف قل من أريق دمه وعقر جواده قال يارسول الله فأى الجهاد أفضل قال الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله قال يارسول الله فأى الصدقة أفضل قال جهد المقل قال يارسول الله فأى الصلاة أفضل قال طول القنوت قال يارسول الله فأى الهجرة أفضل قال من هجر السوء وهذا محفوظ عن عبيد بن عمير نارة يروي مرسلًا ونارة يروي مسنداً وفي رواية أي الساعات أفضل قل جوف الليل الغابر وقوله أفضل الايمان السماحة والصبر

(١) بياض بالاصل

يروى من وجه آخر عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم .. وهكذا في سائر الاحاديث انما يفسر الاسلام بالاستسلام لله بالقلب مع الاعمال الظاهرة كما في الحديث المعروف الذي رواه أحمد عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه قال والله يا رسول الله ما أتيتك حتى حلفت عدد أصابعي هذه أن لا آتيك فبالذي بعثك بالحق ما بعثك به قال الاسلام قال وما الاسلام قال أن تسلم قلبك لله وأن توجه وجهك الى الله وأن تصلي الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة اخوان نصيران لا يقبل الله من عبد أشرك بعد اسلامه وفي رواية قال أن تقول أسلمت وجهي لله وتحليت وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة وكل مسلم على مسلم محرم وفي لفظ تقول أسلمت نفسي لله وخليت وجهي اليه .. وروى محمد بن نصر من حديث خالد بن معدان عن أبي هريرة قل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للاسلام ضوءاً ومنازلاً كمنار الطريق من ذلك ان تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وأن تقيم الصلاة وتؤدي الزكاة وتصوم رمضان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتسلم على بني آدم اذا لقيتهم فان ردوا عليك ردت عليك وعليهم الملائكة وان لم يردوا عليك ردت عليك الملائكة ولعنهم ان سكت عنهم وتسليمك على اهل بيتك اذا دخلت عليهم فمن استقص منهن شيئاً فهو سهم في الاسلام تركه ومن تركه فقد نبذ الاسلام وراء ظهره وقد قال تعالى (يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) قال مجاهد وقتادة نزلت في المسلمين يأمرهم بالدخول في شرائع الاسلام كلها وهذا لا ينافي قول من قال نزلت فيمن أسلم من اهل الكتاب أو فيمن لم يسلم لان هؤلاء كلهم مأمورون أيضاً بذلك والجمهور يقولون في السلم أي في الاسلام وقالت طائفة هو الطاعة وكلاهما مأثور عن ابن عباس وكلاهما حق فان الاسلام هو الطاعة كما تقدم انه من باب الاعمال .. وأما قوله كافة فقد قيل المراد ادخلوا كلكم وقيل المراد به ادخلوا في الاسلام جميعه وهذا هو الصحيح فان الانسان لا يؤمر بعمل غيره وانما يؤمر بما يقدر عليه وقوله ادخلوا خطاب لهم كلهم فقوله كافة ان أريد به مجتمعين لزم أن يترك الانسان الاسلام حتى يسلم غيره فلا يكون الاسلام مأموراً به الا بشرط الغير له كالجمعة وهذا لا يقوله مسلم وان أريد بكافة أي ادخلوا جميعكم فكل أو امر القرآن كقوله (آمنا بالله ورسله وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) كلها من هذا الباب وما قيل فيها كافة وقوله تعالى (قاتلوا المشركين كافة) أي قاتلوهم كلهم لاندعوا مشركاً حتى تقتلوه فانها أنزلت بعد نبذ اليهود ليس المراد قاتلوهم مجتمعين أو جميعكم فان هذا لا يجب بل يقتلون بحسب المصلحة والجهاد فرض على الكفاية فاذا كانت فرائض الاعيان لم يؤكده المأمورين فيها بكافة فكيف يؤكده بذلك في فروض الكفاية وانما المقصود تعميم المقاتلين وقوله (كما يقتلونكم كافة) احتمالان .. والمقصود ان الله أمر بالدخول في جميع الاسلام كما دل عليه هذا الحديث فكل ما كان من الاسلام وجب الدخول فيه فان كان واجباً على الاعيان لزمه فعله وان كان واجباً على الكفاية اعتقد وجوبه وعزم عليه اذا تعين أو أخذ بالفضل ففعله وان كان مستحباً اعتقد حسنه وأحب فعله وفي حديث جرير أن رجلاً قال يا رسول الله صف لي الاسلام قال تشهد أن لا اله الا الله وتقر بما جاء من عند الله وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت قال أقررت في قصة

طويلة فيها انه وقع في أخقيق جرذان وانه قتل وكان جائعا وملكان يدسان في شدة من ثمار الجنة فتوبه وتقر بما جاء من عند الله هو الاقرار بأن محمداً رسول الله فانه هو الذي جاء بذلك وفي الحديث الذي يرويه أبو سليمان الداراني حديث الوفد الذين قالوا نحن المؤمنون قل فما علامة ايمانكم قالوا خمس عشرة خصلة خمس أمرتنا رسولك أن نعمل بهن وخمس أمرتنا رسولك أن نؤمن بهن وخمس تخلقنا بها في الجاهلية ونحن عليها في الاسلام الا أن تكره منها شيئاً قال فما الخمس التي أمرتكم رسولك أن تعملوا بها قالوا أن نشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت قال وما الخمس التي أمرتكم أن تؤمنوا بها قالوا أمرتنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت قال وما الخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية وثبتت عليها في الاسلام قالوا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضى بمر القضاء والصدق في مواطن اللقاء وترك الشهادة بالاعداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم علماء حكماء كادوا من صدقهم أن يكونوا أنبياء فقال صلى الله عليه وسلم وأنا أزيدكم خمساً فتم لكم عشرون خصلة ان كنتم كما تقولون فلا تجمعوا مالا تأكلون ولا تبذروا مالا تسكنون ولا تنافسوا فيما أنتم عنه منتقلون واتقوا الله الذي اليه ترجعون وعاليه تعرضون وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون فقد فرقوا بين الخمس التي يعمل بها فجعلوها الاسلام والخمس التي يؤمن بها فجعلوها الايمان وجميع الاحاديث الماثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم تدل على مثل هذا وفي الحديث الذي رواه أحمد من حديث أيوب عن أبي قلابة عن رجل من أهل الشام عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له أسلم تسلم قال وما الاسلام قال أن تسلم قلبك الله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك قل فأني الاسلام أفضل قال الايمان قال وما الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت قال فأني الايمان أفضل قال الهجرة قال وما الهجرة قال أن تهجر السوء قال فأني الهجرة أفضل قال الجهاد قال وما الجهاد قال أن تجاهد الكفار اذا لقيتهم ولا تغل ولا تنجبن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عملان هما أفضل الاعمال الا من عمل بهن لهما قالنا حجة مبرورة أو عمرة وقوله هما أفضل الاعمال أي بعد الجهاد لقوله ثم عملان ففي الحديث جعل الايمان خصوصاً في الاسلام والايمان أعم منه كما جعل الهجرة خصوصاً في الايمان والايمان أعم منه وجعل الجهاد خصوصاً من الهجرة والمهاجر أعم منه فالاسلام أن تعبد الله وحده لا شريك له مخلصاً له الدين وهذا دين الله الذي لا يقبل من أحد غيره لا من الاولين ولا من الآخرين ولا تكون عبادته مع ارسال الرسل اليها الا بما أمرت به رساله لا بما يضاد ذلك فان ضد ذلك معصية وقد ختم الله الرسل بمحمد صلى الله عليه وسلم فلا يكون مسلماً الا من شهد أن لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله .. وهذه الكلمة بها يدخل الانسان في الاسلام فن قال الاسلام الكلمة وأراد هذا فقد صدق ثم لا بد من التزام ما أمر به الرسول من الاعمال الظاهرة كالإيمان والخمس ومن ترك من ذلك شيئاً نقص اسلامه بقدر ما نقص من ذلك كما في الحديث من انتقص منهن شيئاً فهو سهم من الاسلام تركه وهذه الاعمال اذا عملها الانسان مخلصاً لله تعالى فانه يشبهه عليها ولا يكون ذلك الا مع اقراره بقلبه

أنه لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله فيكون معه من الايمان هذا الاقرار وهذا الاقرار لا يستلزم أن يكون صاحبه معه من اليقين ما لا يقبل الريب ولا أن يكون مجاهداً ولا سائر ما يتميز به المؤمن عن المسلم الذي ليس بمؤمن وخلق كثير من المسلمين باطنياً وظاهراً معهم هذا الاسلام بلوازمه من الايمان ولم يصلوا الى اليقين والجهاد فهو لاه يثابون على اسلامهم واقرارهم بالرسول مجملين قد لا يعرفون انه جاء بكتاب وقد لا يعرفون انه جاءه ملك ولا انه أخبر بكذا واذا لم يبلغهم أن الرسول أخبر بذلك لم يكن عليهم الاقرار المفصل به لكن لا بد من الاقرار بأنه رسول الله وانه صادق في كل ما يخبر به عن الله ثم الايمان الذي يتميز به فيه تفصيل وفيه طمأنينة ويقين فهذا متميز بصفته وقدره في الكمية والكيفية فان أولئك معهم من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وتفصيل المعاد والقدر ما لا يعرفه هؤلاء وأيضاً في قلوبهم من اليقين والثبات ولزوم التصديق لقلوبهم ما ليس مع هؤلاء وأولئك هم المؤمنون حقاً وكل مؤمن لا بد أن يكون مسلماً فان الايمان يستلزم الاعمال وليس كل مسلم مؤمناً هذا الايمان المطلق لان الاستسلام لله والعمل له لا يتوقف على هذا الايمان الخاص وهذا الفرق يجده الانسان من نفسه ويعرفه من غيره فعامة الناس اذا أسلموا بعد كفر وولدوا على الاسلام والنزمو شرائعه وكانوا من أهل الطاعة لله ورسوله فهم مسلمون ومعهم ايمان مجمل ولكن دخول حقيقة الايمان الى قلوبهم انما يحصل شيئاً فشيئاً ان أعطاهم الله ذلك والا فكثير من الناس لا يصلون لا الى اليقين ولا الى الجهاد ولو شككوا شكوا ولو أمروا بالجهاد لما جاهدوا وليسوا كفاراً ولا منافقين بل ليس عندهم من علم القلب ومعرفة و يقينه ما يدره الريب ولا عندهم من قوة الحب لله ولرسوله ما يقدمونه على الأهل والمال وهؤلاء ان عرفوا من المحنة وماتوا دخلوا الجنة وان ابتلوا بمن يورد عليهم شبهات توجب ريبيهم فان لم ينم الله عليهم بما يزيل الريب والاصاروا مرتابين وانتقلوا الى نوع من النفاق وكذلك اذا تعين عليهم الجهاد ولم يجاهدوا كانوا من أهل الوعيد ولهذا لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أسلم عامة أهلها فلما جاءت المحنة والابتلاء نافق من نافق فلو مات هؤلاء قبل الامتحان لما اتوا على الاسلام ودخلوا الجنة ولم يكونوا من المؤمنين حقاً الذين ابتلوا فظهر صدقهم قال تعالى (ألم حسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) وقال تعالى (ما كان الله ليعذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) وقال (ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابه فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين) ولهذا ذم المنافقين بأنهم دخلوا في الايمان ثم خرجوا منه بقوله تعالى (ان المنافقين لكاذبون اتخذوا انيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله الى قوله ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) وقال في الآية الاخرى (يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة الى قوله قل بالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعتف عن طائفة منكم لعتب طائفة بانهم كانوا مجرمين) فقد أمره ان يقول لهم قد كفرتم بعد ايمانكم وقول من يقول عن مثل هذه الآيات انهم كفروا بعد ايمانهم بلسانهم مع كفرهم أولاً بقلوبهم لا يصح لان الايمان باللسان مع

كفر القلب قد قارنه الكفر فلا يقال قد كفرتم بعد ايمانكم فانهم لم يزالوا كافرين في نفس الامر وان
أريد انكم أظهرتم الكفر بعد اظهاركم الايمان فهم لم يظهروا للناس الا خواصهم وهم مع خواصهم ما زالوا
هكذا بل لما نافقوا وحذروا ان تنزل سورة تبين ما في قلوبهم من النفاق وتكلموا بالاستهزاء صاروا كافرين
بعد ايمانهم ولا يدل اللفظ على انهم ما زالوا منافقين وقد قال تعالى (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم
وهموا بما لم ينالوا وما نعموا الا ان أغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا بك خيراً لهم وان يتولوا
يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة) فهذا قال كفروا بعد اسلامهم فهذا الاسلام قد يكون من جنس
اسلام الاعراب فيكون قوله بعد ايمانهم وبعد اسلامهم سواء وقد يكونون ما زالوا منافقين فلم يكن لهم
حال كان معهم فيها من الايمان شيء لكنهم أظهروا الكفر والردة .. ولهذا دعاهم الى التوبة فقال
فان يتوبوا بك خيراً لهم وان يتولوا بعد التوبة يعذبهم عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة وهذا
انما هو كمن أظهر الكفر فيجده الرسول باقاة الحد والعقوبة .. ولهذا ذكر هذا في سياق قوله
(جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) ولهذا قال في تمامها (وما لهم في الارض من ولي ولا نصير)
.. وهؤلاء الصنف الذين كفروا بعد اسلامهم غير الذين كفروا بعد ايمانهم فان هؤلاء حلفوا بالله
ما قالوا وقد قالوا كلمة الكفر التي كفروا بها بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوه وهو يدل على أنهم سمعوا
في ذلك فلم يصلوا الى مقصودهم فانه لم يقل هموا بما لم يفعلوا لكن بما لم ينالوا فصدر منهم قول وفعل
قال تعالى (ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب) فاعترفوا واعتذروا ولهذا قيل (لا تعتذروا
قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة) فدل على أنهم لم يكونوا عند أنفسهم قد
أنوا كفراً بل ظنوا أن ذلك ليس بكفر فبين أن الاستهزاء بالله وآيته ورسوله كفر يكفر به صاحبه
بعد ايمانه فدل على انه كان عندهم ايمان ضعيف ففعلوا هذا المحرم الذي صرفوا أنه محرم ولكن لم يظنوه
كفراً وكان كفراً كفروا به فانهم لم يعتقدوا جوازه وهكذا قال غير واحد من السلف في صفة
المنافقين الذين ضرب لهم المثل في سورة البقرة انهم أبصروا ثم عموا وعرفوا ثم انكروا وآمنوا ثم
كفروا ولذلك قال قتادة ومجاهد
الرسول وذهب نورهم
قال مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله
ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى فهم لا يرجعون الي ما كانوا عليه .. وأما
قول من قال المراد بالنور ما حصل في الدنيا من حقن دماهم وأموالهم فذا ماتوا سلبوا ذلك الضوء
كما سلب ذلك النور ضوءه فلفظ الآية يدل على خلاف ذلك فانه قال (وتركهم في ظلمات لا يبصرون
صم بكم عمى فهم لا يرجعون) ويوم القيامة يكونون في العذاب كما قال تعالى (يوم يقول المنافقون
والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا ورائكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له
باب بطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم)

الآية وقد قال غير واحد من السلف ان المنافق يعطى يوم القيامة نوراً ثم يطفأ ولهذا قال تعالى (يوم لا يحزى الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا ائتم لنا نورنا واغفر لنا) قال المفسرون اذا رأى المؤمنون نور المنافقين يطفأ سألوا الله أن يتم لهم نورهم ويبلغهم به الجنة قال ابن عباس ليس أحد من المسلمين الا يعطى نوراً يوم القيامة فأما المنافق فيعطى نوره والمؤمن يشفق مما رأى من اطفاء نور المنافق فهو يقول ربنا ائتم لنا نورنا وهو كما قال فقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وهو ثابت من وجوه أخر عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه مسلم من حديث جابر وهو معروف من حديث ابن مسعود وهو أطولها ومن حديث أبي موسى في الحديث الطويل الذى يذكر فيه انه ينادى يوم القيامة ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتهم الله فى صورة غير صورته التى يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتهم الله فى صورته التى يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه وفى رواية فيكشف عن ساقه وفى رواية فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا أذن له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد أنفاً ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه فين أن المنافقين يحشرون مع المؤمنين فى الظاهر كما كانوا معهم فى الدنيا ثم وقت الحقيقة هؤلاء يسجدون لرهبهم وأولئك لا يتمكنون من السجود فانهم لم يسجدوا فى الدنيا له بل قصدوا الرياء للناس والجزاء فى الآخرة هو من جنس العمل فى الدنيا فلماذا أعطوا نوراً ثم طفى لانهم فى الدنيا دخلوا فى الايمان ثم خرجوا . . ولهذا ضرب الله لهم امثال بهذا بذلك وهذا المثل هو لمن كان فيهم آمن ثم كفر وهؤلاء الذين يعطون فى الآخرة نوراً ثم يطفى . ولهذا قال فهم لا يرجعون قال قتادة ومقاتل لا يرجعون عن ضلالهم وقل السدى لا يرجعون الى الاسلام يعنى فى الباطن والا فهم يظهرونه وهذا المثل انما يكون فى الدنيا وهذا المثل مضروب لبعضهم وهم الذين آمنوا ثم كفروا وأما الذين لم يزالوا منافقين فضرب لهم المثل الآخر وهو قوله (أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق) وهذا أصح القولين فان المفسرين اختلفوا هل المثلان مضروبان لهم كلهم أو هذا المثل لبعضهم على قولين واتماني هو الصواب لانه قال أو كصيب وانما ثبت بها أحد الامرين فدل ذلك على أنهم مثلهم هذا وهذا فانهم لا يخرجون عن المثلين بل بعضهم يشبه هذا وبعضهم يشبه هذا ولو كانوا كلهم يشبهون المثلين لم يذكر أو بل يذكر الواو العاطفة وقول من قال أو ههنا للتخيير كقولهم جالس الحسن أو ابن سيرين ليس بشئ لان التخيير يكون فى الامر لا يكون فى الخبر وهذا خبر وكذلك قول من قل أو بمعنى الواو أو لتشكيك المخاطبين أو الابهام عليهم ليس بشئ فان الله يريد بالامثال البيان والتفهيم لا يريد التشكيك والابهام . . والمقصود تفهيم المؤمنين حالهم وبدل على ذلك انه قال فى المثل الاول (صم بكم عمى) وقال فى الثانى (يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق

حذر الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير (فيبين في المثل الثاني أنهم يسمعون ويبصرون ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم وفي الاول كانوا يبصرون ثم صاروا في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى وفي الثاني اذا أصابهم البرق مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا فلم حال ضياء وحال ظلام والاولون بقوا في الظلمة فالاول حال من كان في ضوء فصار في ظلمة والثاني حال من لم يستقر لافي ضوء ولا في ظلمة بل تختلف عليه الاحوال التي توجب مقامه واسترايته يبين هذا انه سبحانه ضرب للكفار أيضاً مثلين بحرف أو فقال (والذين كفروا أعماهم كسراب بقيعة يحسبه الظان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) فالاول مثل الكفر الذي يحسب صاحبه أنه على حق وهو على باطل كمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فانه لا يعلم ولا يعلم انه لا يعلم فلماذا مثل بسراب بقيعة والثاني مثل الكفر الذي لا يعتقد صاحبه شيئاً بل هو في ظلمات بعضها فوق بعض من عظم جهله لم يكن معه اعتقاد انه على حق بل لم يزل جاهلاً خالاً في ظلمات متراكمة . . . وأيضاً فقد يكون المنافق والكافر تارة متصفاً بهذا الوصف فيكون التقسيم في المثلين لنوع الاشخاص ولتنوع أحوالهم وبكل حال فليس ما ضرب له هذا المثل هو مماثل لما ضرب له هذا المثل لاختلاف المثلين صورة ومعنى ولهذا لم يضرب للايمان الا مثل واحد لأن الحق واحد فضرب مثله بالنور وأولئك ضرب لهم المثل بضوء لا حقيقة له كالسراب بالقيعة أو بالظلمات المتراكمة وكذلك المنافق يضرب له المثل بمن أبصر ثم عمى أو هو مضطرب يسمع ويبصر ما لا ينتفع به فبين أن من المنافقين من كان آمن ثم كفر باطناً وهذا مما استفاد به النقل عند أهل العلم بالحديث والتفسير والسيرة انه كان رجال قد آمنوا ثم نافقوا وكان يجري ذلك لاسباب منها أمر القبلة لما حولت ارناء عن الايمان لاجل ذلك طائفة وكانت محنة امتحن الله بها الناس قال تعالى (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) قال أي اذا حولت والمعنى أن الكعبة هي القبلة التي كان في علمنا أن نجعلها قبلتكم فان الكعبة ومسجدها وحرمها أفضل بكثير من بيت المقدس وهي بيت العتيق وقبله ابراهيم وغيره من الانبياء ولم يأمر الله قط أحداً أن يصلي الي بيت المقدس لا موسى ولا عيسى ولا غيرهما فلم تكن لنجعلها قبله دائماً ولكن جعلناها أولاً قبله لنتحن بنحويكم منها الناس فيبين من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه فكان في شرعها هذه الحسكة . . . وكذلك أيضاً لما انهزم المسلمون يوم أحد وشج وجه النبي صلى الله عليه وسلم وكسرت ربايته ارناء طائفة نافقوا قال تعالى (ولا تنهوا ولا تخزنوا وأنتم الاعلنون ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الضالين وللمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) وقال تعالى (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا

قاتلوا في سبيل الله أو دفعوا قالوا لنعلم قتالا تبغنا كم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون) فقول له وليعلم الذين نافقوا ظاهر فيمن أحدث نفاقا وهو يتناول من لم ينافق قبل ومن نافق ثم جدد نفاقا ثانياً وقوله هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يبين أنهم لم يكونوا قبل ذلك أقرب منهم بل إما أن يتساووا وإما أن يكونوا الأيمان أقرب وكذلك كان فان ابن أبي لما انخزل عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد انخزل ثلث الناس قالوا كانوا نحو ثلاثمائة وهؤلاء لم يكونوا قبل ذلك كلهم منافقين في الباطن اذ لم يكن لهم داع الى النفاق فان ابن أبي كان مظهراً للطاعة النبي صلى الله عليه وسلم والايمان به وكان كل يوم جمعة يقوم خطيباً في المسجد بأمر بتباعد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن ما في قلبه يظهر الا لقليل من الناس ان ظهر وكان معظماً في قومه كانوا قد عزموا على أن يتوجوه ويجعلوه مثل الملك عليهم فلما جاءت النبوة بطل ذلك فحمله الحسد على النفاق والا فلم يكن هو في الباطن على دين يدعو اليه وانما كان هذا في اليهود فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم يدينه وقد ظهر حسنه ونوره مالت اليه القلوب لاسيما لما نصره الله يوم بدر ونصره من يهود بني قينقاع صار معه الدين والدنيا فكان المنقضى للإيمان في عامة الانصار قائماً وكان كثير منهم يعظم ابن أبي تعظيماً كثيراً ويواليه ولم يكن ابن أبي أظهر مخالفة توجب الامتياز فلما انخزل يوم أحد وقال بديع رأيي ورأيه وبأخذ رأيي العبيان أو كما قال انخزل معه خلق كثير منهم من لم ينافق قبل ذلك . . . وفي الجملة في الاخبار ممن نافق بعد ايمانه ما يطول ذكره هنا فاولئك كانوا مسلمين وكان معهم ايمان هو الضوء الذي ضرب الله به المثل فلو ماتوا قبل الحنة والنفاق ماتوا على هذا الاسلام الذي يثابون عليه ولم يكونوا من المؤمنين حقاً الذين امتنعوا فثبتوا على الايمان ولا من المنافقين حقاً الذين ارتدوا عن الايمان بالحنة وهذا حال كثير من المسلمين في زماننا وأكثرهم اذا ابتلوا بالحن التي يتضعض فيها أهل الايمان بتقص ايمانهم كثيراً وينافق كثير منهم ومنهم من يظهر الردة اذا كان العدو غالباً وقد رأينا ورأى غيرنا من هذا ما فيه عبرة وادا كانت العافية أو كان المسلمون ظاهرين على عدوهم كانوا مسلمين وهم مؤمنون بالرسول باطناً وظاهراً لكن ايماناً لا يثبت على الحنة . ولهذا يكثر في هؤلاء ترك الفرائض وانهاك المحارم وهؤلاء من الذين قالوا آمنا فقل لهم قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم أى الايمان المطلق الذي أهله هم المؤمنون حقاً فان هذا هو الايمان اذا أطلق في كتاب الله تعالى كما دل عليه الكتاب والسنة ولهذا قل تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) فلم يحصل لهم ريب عند الحن التي تقلل الايمان في القلوب والريب يكون في علم القلب وفي عمل القلب بخلاف الشك فانه لا يكون الا في العلم ولهذا لا يوصف باليقين الا من اطمان قلبه علماً وعملاً والا فاذا كان عالماً بالحق ولكن المصيبة او الخوف اورثه جزعاً عظيماً لم يكن صاحب يقين قل تعالى (هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزلاً شديداً) وكثيراً ما يعرض للمؤمن شعبة من شعب النفاق ثم يتوب الله عليه وقد يرد على قلبه بعض ما يوجب النفاق ويدفعه الله عنه والمؤمن يتبلى بوساوس الشيطان بوساوس الكفر التي

يضيق بها صدره كما قالت الصحابة يا رسول الله ان احداً ليجر في نفسه ما لئن يخر من السماء الى الارض أحب اليه من أن يتكلم به فقال ذلك صريح الايمان وفي رواية ما يتعاطم أن يتكلم به قال الحمد لله الذي رد كبده الى الوسوسة أي حصول هذا الوسواس مع هذه الكراهة العظيمة له ودفعه عن القلب هو من صريح الايمان كالمجاهد الذي جاءه العدو فدافعه حتى غلبه فهذا عظيم الجهاد والصريح الخالص كالابن الصريح وانما صار صريحاً لما كرهوا تلك الوسارس الشيطانية ودفعوها فخلص الايمان فصار صريحاً ٥٥ ولا بد لعامة الخلق من هذه الوسارس فمن الناس من يجيها فيصير كافراً أو منافقاً ومنهم من قد غمر قلبه الشهوات والذنوب فلا يجيها الا اذا طلب الدين فاما أن يصير مؤمناً واما أن يصير منافقاً ولهذا يعرض للناس من الوسواس في الصلاة ما لا يعرض لهم اذا لم يصلوا لان الشيطان يكثر تعرضه للعبد اذا أراد الانابة الى ربه والتقرب اليه والاتصال به فلماذا يعرض للمصايين ما لا يعرض لغيرهم ويعرض للخاصة أهل العلم والدين أكثر ما يعرض للعامة ولهذا يوجد عند طلاب العلم والعبادة من الوسواس والشبهات ما ليس عند غيرهم لانه لم يسلك شرع الله ومنهاجه بل هو مقبل على هواه في غفلة عن ذكر ربه وهذا مطلوب الشيطان بخلاف المتوجهين الى ربهم بالعلم والعبادة فانه عدوهم يطلب صدمهم عن الله قال تعالى (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) ولهذا أمر قاري القرآن أن يستعين بالله من الشيطان الرجيم فان قراءة القرآن على الوجه المأمور به تورث القلب الايمان العظيم وتزيده يقيناً وطمانينة وشفاء وقال تعالى (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خساراً) وقال تعالى (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) وقال تعالى (هدى للمتقين) وقال تعالى (فأما الذين آمنوا فزادتهم ايماناً وهم يستبشرون) وهذا مما يجده كل مؤمن من نفسه فلشيطان يريد بوساوسه أن يشغل القلب عن الانتفاع بالقرآن فأمر الله القاري اذا قرأ القرآن أن يستعين منه قال تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) فان المستعين بالله مستجير به لاجئ اليه مستغيث به من الشيطان فالعاثذ بغيره مستجير به فاذا عاذ العبد بربه متوكلاً عليه فيعيذه الله من الشيطان ويحيره منه ولذلك قال الله تعالى (ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم واما ينزغتك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم) ٥٥ وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اني لاعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فأمر سبحانه بالاستعاذة عند طلب العبد الخير لئلا يعوقه عنه وعند ما يعرض عليه من الشر ليدفعه عنه عند ارادة العبد للحسنات وعند ما يأمره الشيطان بالسيئات ٥٥ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خاق كذا من خاق كذا حتى يقول من خاق الله فمن وجد ذلك فليستعذ بالله ولينته فأمر بالاستعاذة عند ما يطلب الشيطان أن يوقعه في شر أو يمنعه من خير كما يفعل العدو مع عدوه وكلما كان الانسان أعظم رغبة في العلم والعبادة وأقدر على ذلك من غيره بحيث

تكون قوته على ذلك أقوى ورغبته واراذه في ذلك أتم كان ما يحصل له ان سلمه الله من الشيطان أعظم
وكان ما يقتضيه به ان تمكن منه الشيطان أعظم .. ولهذا قال الشعبي كل أمة علماءها شرارها الا المسلمين
فان علماءهم خيارهم .. وأهل السنة في الاسلام كالاسلام في الملك وذلك ان كل أمة غير المسلمين فهم
ضالون وانما يضلهم علماءهم فعلماءهم شرارهم والمسلمون على هدى وانما يتبين الهدى بعلمائهم فعلماءهم
خيارهم وكذلك أهل السنة أئمتهم خيار الامة وأئمة أهل البدع أضل على الامة من أهل الذنوب ..
ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الخوارج ونهى عن قتال الولاة الظالمة وأولئك لهم نعمة في العلم
والعبادة فصار يعرض لهم من الوسوس التي تضلهم وهم يظنونها هدى فيطيعونها مالا يعرض لغيرهم ومن
سلم من ذلك منهم كان من أئمة المتقين مصابيح الهدى وينابيع العلم كما قال ابن مسعود لأصحابه كونوا
ينابيع العلم مصابيح الحكمة سرج الليل جدد القلوب أحلاس البيوت خلقان اثنيان تعرفون في أهل
السما وتنفون على أهل الأرض

فصل وما ينبغي أن يعلم أن الالفاظ الموجودة في القرآن والحديث اذا صرف تفسيرها وما
أريد بها من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لم يحتاج في ذلك الى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم
ولهذا قال الفقهاء الاسماء ثلاثة أنواع نوع يعرف حده بالشرع كالصلاة والزكاة ونوع يعرف حده باللغة
كالشمس والقمر ونوع يعرف حده بالعرف كلفظ القبض وانظ المعلوم في قوله (وعاشروهن بالمعروف
ونحو ذلك) وروى عن ابن عباس أنه قال تفسير القرآن على أربعة أوجه تفسير تعرفه العرب من كلامها
وتفسير لا يعذر أحد بجهالة وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله من ادعى علمه فهو كاذب فاسم
الصلاة والزكاة والصيام والحج ونحو ذلك قد بين الرسول صلى الله عليه وسلم ما يراد بها في كلام الله
ورسوله وكذلك لفظ الخمر وغيرها ومن هناك يعرف معناها فلو أراد أحد أن يفسرها بغير ما بينه النبي
صلى الله عليه وسلم لم يقبل منه وأما الكلام في اشتقاقها ووجه دلالتها فذلك من جنس علم البيان وتعليل
الاحكام هو زيادة في العلم وبيان حكمة الفاظ القرآن لكن معرفة المراد بها لا يتوقف على هذا واسم
الايان والاسلام والفاق والكفر هي أعظم من هذا كله فلهذا صلى الله عليه وسلم قد بين المراد بهذه
الالفاظ بيانا لا يحتاج معه الى الاستدلال على ذلك بالاشتقاق وشواهد استعمال العرب ونحو ذلك فلمذا
يجب الرجوع في مسميات هذه الاسماء الى بيان الله ورسوله فانه شاف كاف بل معاني هذه الاسماء معلومة
من حيث الجمة للخاصة والعامة بل كل من تأمل ما نقوله الخوارج والمرجئة في معنى الايمان علم بالاضطرار
أنه مخالف للرسول ويعلم بالاضطرار أن طاعة الله ورسوله من تمام الايمان وأنه لم يكن يجعل كل من
أذنب ذنباً كافراً ويعلم أنه لو قدر أن قومًا قاولا للنبي صلى الله عليه وسلم نحن نؤمن بما جئتنا به بقلوبنا
من غير شك ونقر بالسنتنا بالشهادتين الا أنا لا نطيعك في شيء مما أمرت به ونهيت عنه فلا نصلي ولا نصوم
ولا نحج ولا نصدق الحديث ولا نؤدى الامانة ولا نفي بالمهد ولا نصل الرحم ولا نفعل شيئاً من الخير
الذي أمرت به ونشرب الخمر ونسكح ذوات المحارم بالزنا الظاهر ونقتل من قدرنا عليه من أصحابك

وأمتك ونأخذ أموالهم بل نقتلك أيضاً ونقتلك مع أعدائك هل كان يتوهم عاقل أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول لهم أنتم مؤمنون كاملو الايمان وأنتم من أهل شفاعتي يوم القيامة ويرجي لكم أن لا يدخل أحد منكم النار بل كل مسلم يعلم بالاضطرار أنه يقول لهم أنتم أكفر الناس بما جئت به ويضرب رقابهم ان لم يتوبوا من ذلك وكذلك كل مسلم يعلم أن شارب الخمر والزاني والقاذف والسارق لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يجعلهم مرتدين يجب قتلهم بل القرآن والنقل المتواتر عنه يبين أن هؤلاء لهم عقوبات غير عقوبة المرتد عن الاسلام كما ذكر الله في القرآن جلد القاذف والزاني وقطع السارق وهذا متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولو كانوا مرتد لقتلهم فكلا القولين مما يعلم فساد بالاضطرار من دين الرسول صلى الله عليه وسلم . . وأهل البدع انما دخل عليهم الداخل لانهم أعرضوا عن هذه الطريق وصاروا يبنون دين الاسلام على مقدمات يظنون صحتها إما في دلالة الالفاظ وإما في المعاني الممقولة ولا يتأملون بيان الله ورسوله وكل مقدمات تخالف بيان الله ورسوله قلها تكون ضلالاً ولهذا تكلم أحمد في رسالته المعروفة في الرد على من يتمسك بما يظهر له من القرآن من غير استدلال ببيان الرسول والصحابة والتابعين وكذلك ذكر في رسالته الى أبي عبد الرحمن الجرجاني في الرد على المرجئة وهذه طريقة سائر أئمة المسلمين لا يعدلون عن بيان الرسول اذا وجدوا الى ذلك سبيلاً ومن عدل عن سبيلهم وقع في البدع التي مضمونها أنه يقول على الله ورسوله مالا يعلم أو غير الحق وهذا مما حرمه الله ورسوله وقال تعالى في الشيطان (انما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) وقال تعالى (لم يؤخذ عليهم يمين الكتاب أن لا يقولوا على الله الا الحق) وهذا من تفسير القرآن بالرأى الذي جاء فيه الحديث من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار . . مثال ذلك ان المرجئة لما عدلوا عن معرفة كلام الله ورسوله أخذوا يتكلمون في معنى الايمان والاسلام وغيرهما بعراق ابتدعوها مثل أن يقولوا الايمان في اللغة هو التصديق والرسول انما خاطب الناس باقية العرب لم يغيرها فيكون مراده بالايمان التصديق ثم قالوا والتصديق انما يكون بالقلب واللسان أو بالقلب فلا عمل ليست من الايمان ثم عمدتهم في أن الايمان هو التصديق قوله (وما أنت بمؤمن لنا) أي بمصدق لنا . . فيقال لهم اسم الايمان قد تكرر ذكره في القرآن أكثر من ذكر سائر الالفاظ وهو أصل الدين وبه يخرج الناس من الظلمات الى النور ويفرق بين السعداء والاشقياء ومن يوالى ومن يعادى والذين كله تابع لهذا وكل من لم يحتاج الى معرفة ذلك فيجوز أن يكون الرسول قد أهمل بيان هذا ووكله الى هاتين المقدمتين ومعلوم أن الشاهد الذي استشهدوا به على أن الايمان هو التصديق انه من القرآن ونقل معنى الايمان متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أعظم من تواتر لفظ الكلمة فان الايمان يحتاج الى معرفة جميع الامة فينقلونه بخلاف كلمة من سورة فاتح كثر المؤمنين لم يكونوا يحفظون هذه السورة فلا يجوز أن يجعل بيان أصل الدين مبني على مثل هذه المقدمات ولهذا كثر النزاع والاضطراب بين الذين عدلوا عن صراط الله المستقيم وسلكوا السبل وصاروا من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ومن الدين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات فهذا كلام عام

مطلق .. ثم يقال هاتان المقدمتان كلاهما ممنوعة فمن الذي قال ان لفظ الايمان مرادف للفظ التصديق
وهب أن المعنى يصح اذا استعمل في هذا الموضع فلم قلت انه يوجب الترادف ولو قلت ما أنت بمسلم لنا
ما أنت بمؤمن لنا صح المعنى لكن لم قلت ان هذا هو المراد بلفظ مؤمن واذا قال الله أقيموا الصلاة ولو
قال القائل آمنوا الصلاة ولازموا الصلاة التزموا الصلاة أفعلوا الصلاة كان المعنى صحيحاً لكن لا يدل هذا
على معنى أقيموا فكون اللفظ برادف اللفظ يراد دلالة على ذلك ثم يقال ليس هو مرادفاً له وذلك من
وجوه .. أحدها أن يقال للمخبر اذا صدقته صدقه ولا يقال آمنه وآمن به بل يقال آمن له كما قال
(قَامَنَ لَهُ لُوطٌ) وقال (فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذِرْيَةٌ مِنْ قَوْمِهِ) وقال فرعون (آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ)
وقالوا لنوح (أَنْتُمْ مِنْ لَدُنْكَ وَاتَّبِعْكَ) وقال تعالى (قُلْ أَذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ
لِلْمُؤْمِنِينَ) وقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون) وقال (وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزِّلُونِ) .. فان
قيل فقد يقال ما أنت بمصدق لنا .. قيل اللام تدخل على ما يتعدي بنفسه اذا ضعف عمله اما بتأخير
أو بكونه اسم فاعل أو مصدرأ أو باجتماعهما فيقال فلان يعبد الله ويخافه ويتقيه ثم اذا ذكر باسم الفاعل
قيل هو عابد لربه متق لربه خائف لربه وكذلك تقول فلان يرهّب الله ثم تقول هو راهب لربه واذا
ذكرت الفعل وأخبرته تقويه باللام كقوله (وَفِي نَسْجَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) وقد قال
(فَايَا فَارِهِبُونَ) فعدها بنفسه وهناك ذكر اللام فان هنا قوله فاي اي أنهم من قوله في وقوله هناك
لربهم أنهم من قوله ربهم فان الضمير المنفصل المنصوب أكمل من ضمير الجر بالباء وهناك اسم ظاهر فتنوّه
باللام أولى وأنهم من تجريده ومن هذا قوله (إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ) ويقال عبرت رؤياه وكذلك قوله
(وَإِنَّمَا لَنَا لَفَاطِظُهَا) وإنما يقال غظته لا يقال غظت له ومثله كثير فيقول القائل ما أنت بمصدق لنا أدخل
فيه اللام كونه اسم فاعل والا فأنما يقال صدقته لا يقال صدقت له ولو ذكرنا الفعل لقالوا ما صدقتنا وهذا
بخلاف لفظ الايمان فانه تعدي الى الخبر باللام دائماً لا يقال آمنته قط وإنما يقال آمنت له كما يقال أقررت
فكان تفسيره بلفظ الافرار أقرب من تفسيره بلفظ التصديق مع أن بينهما فرقاً .. الثاني انه ليس
مرادفاً للفظ التصديق في المعنى فان كل مخبر عن مشاهدة أو غيب يقال له في اللغة صدقت كما يقال كذبت
فمن قال السماء فوقنا قيل له صدق كما يقال كذب وأما لفظ الايمان فلا يستعمل الا في الخبر عن غائب لم
يوجد في الكلام ان من أخبر عن مشاهدة كقوله طلعت الشمس وغربت انه يقال آمنا كما يقال صدقناه
ولهذا المحدثون والشهود ونحوهم يقال صدقناهم وما يقال آمنا لهم فان الايمان مشتق من الامن فأنما
يستعمل في خبر يؤمن عليه الخبر كالأمر الغائب الذي يؤمن عليه الخبر ولهذا لم يوجد قط في القرآن
وغيره لفظ آمن له الا في هذا النوع والاشنان اذا اشتركا في معرفة الشيء يقال صدق أحدهما صاحبه ولا
يقال آمن له لانه لم يكن غائباً عنه ائتمنه عليه ولهذا قال (قَامَنَ لَهُ لُوطٌ) أنؤمن لبشرين مثلنا آمنتم له .. يؤمن
بالله ويؤمن للمؤمنين) فيصدقهم فيما أخبروا به بما غاب عنه وهو ما دون عنده على ذلك فاللفظ متضمن
مع التصديق معنى الاثمان والامانة كما يدل عليه الاستعمال والاشتقاق ولهذا قالوا (ما أنت بمؤمن لنا) أي

لا تقرر بخبرنا ولا تشق به ولا تطمئن اليه ولو كنا صادقين لانهم لم يكونوا عنده ممن يؤمن على ذلك فلو صدقوا لم يأمن لهم .. الثالث ان لفظ الايمان في اللغة لم يقابل بالكذب كلفظ التصديق فانه من المعلوم في اللغة أن كل خبر يقل له صدقت أو كذبت ويقال صدقناه أو كذبناه ولا يقال لكل مخبر آمنا له أو كذبناه ولا يقل أنت مؤمن له أو مكذب له بل المعروف في مقابلة الايمان لفظ الكفر يقال هو مؤمن أو كافر والكفر لا يختص بالكذب بل لو قل أنا أعلم أنك صادق لكن لا أتبعك بل أعاديك وأبغضك وأخالفك ولا أوافقك لكان كفره أعظم فلو كان الكفر المقابل للايمان ليس هو التكذيب فقط علم أن الايمان ليس هو التصديق فقط بل اذا كان الكفر يكون تكديبا ويكون مخالفة ومعاداة وامتناعا بلا تكذيب فلا بد أن يكون الايمان تصديقا مع موافقة وموافقة لا يكفي مجرد التصديق فيكون الاسلام جزء مسمى الايمان كما كان الامتناع من الاقياد مع التصديق جزء مسمى الكفر فيجب أن يكون كل مؤمن مسلما متقادا للأمر وهذا هو العمل .. فان قيل فالرسول صلى الله عليه وسلم فسر الايمان بما يؤمن به .. قيل فالرسول ذكر ما يؤمن به لم يذكر ما يؤمن له وهو نفسه يجب أن يؤمن به ويؤمن له فالايان به من حيث نبوته غيب عندنا خبرنا بها وليس كل غيب آمنا به عاينا أن نطيعه وأما ما يجب من الايمان له فهو الذي يوجب طاعته والرسول يجب الايمان به وله فينبغي أن يعرف هذا وأيضا فان طاعته طاعة لله وطاعة الله من تمام الايمان به .. اربع ان من الناس من يقول الايمان أصله في اللغة من الامن الذي هو ضد الخوف فآمن أي صار داخل في الامن وأنشدوا .. وأما المقدمة الثانية فيقال انه اذا فرض انه مرادف للتصديق فتوهم ان التصديق لا يكون الا بالقلب أو اللسان عنه جوابان .. أحدهما المنع بل الافعال تسمى تصديقا كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال العينان تزنيان وزناها النظر والاذن تزني وزناها السمع واليد تزني وزناها البطش والرجل تزني وزناها المشي والقلب يتنى ذلك ويشتهى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه وكذلك قل أهل اللغة وطوائف من السلف والخلف قال الجوهري والصدوق مثال الفسيق الدائم التصديق ويكون الذي يصدق قوله بالعمل وقال الحسن البصري ليس الايمان بالتحلى ولا بالتفنى ولكنه ما وقع في القلوب وصدقته الاعمال وهذا مشهور عن الحسن يروى عنه من غير وجه كما رواه عباس الدوري حدثنا حجاج حدثنا أبو عبيدة الناجي عن الحسن قال ليس الايمان بالتحلى ولا بالتفنى ، لكن ما وقع في القلب وصدقته الاعمال من قل حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا رفعه العمل ذلك بأن الله يقول (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) ورواه ابن بطنة من الوجين وقوله ليس الايمان بالتفنى يعني الكلام وقوله بالتحلى يعني أن يصير حلية ظاهرة له فيظهره من غير حقيقة من قلبه ومعناه ليس هو ما يظهر من القول ولا من الحلية الظاهرة ولكن ما وقع في القلب وصدقته الاعمال فالعمل يصدق أن في القلب ايمانا واذا لم يكن عمل كذب أن في قلبه ايمانا لان ما في القلب مستلزم للعمل الظاهر وانتفاء اللازم يدل على انتفاء المزوم وقد روى محمد بن نصر المروزي بإسناده أن عبد الملك بن مروان كتب الى سعيد بن جبير

سأله عن هذه المسائل فأجابه عنها .. سألت عن الايمان فالايمان هو التصديق أن يصدق العبد بالله وملائكته وما أنزل من كتاب وما أرسل من رسول وبليوه الآخر وسألت عن التصديق والتصديق أن يعمل العبد بما صدق به من القرآن وما ضعف عن شيء منه وفرط فيه صرف أنه ذنب واستغفر الله وتاب منه ولم يصر عليه فذلك هو التصديق وتساءل عن الدين فالدين هو العبادة فانك لن تجد رجلاً من أهل الدين ترك عبادة أهل دين ثم لا يدخل في دين آخر الا صار لادين له وتساءل عن العبادة والعبادة هي العاعة ذلك انه من أطاع الله فيما أمره به وفيما نهاه عنه فقد آثر عبادة الله ومن أطاع الشيطان في دينه وعمله فقد عبد الشيطان ألا تري أن الله قال للذين فرطوا (ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان) وإنما كانت عبدتهم الشيطان انهم أطاعوه في دينهم .. وقال أسد بن موسى حدثنا الوليد بن مسلم عن الاوزاعي حدثنا حسان بن عطية قال الايمان في كتاب الله صار الى العمل قال الله تعالى (إنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) الآية ثم صيرهم الى العمل فقال (الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) قال وسمعت الاوزاعي يقول قل الله تعالى (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين) ولايمان بالله باللسان والتصديق به العمل .. وقال معمر عن الزهري كنا نقول الاسلام بالاقرار ولايمان بالعمل والايمان قول وعمل قريبان لا ينفع أحدهما الا بالآخر وما من أحد الا يوزن قوله وعمله فان كان عمله أوزن من قوله صعد الى الله وان كان كلامه أوزن من عمله لم يصعد الى الله ورواه أبو عمر الطلعنكي بإسناده المعروف وقال معاوية بن عمرو عن أبي اسحاق الفزاري عن الاوزاعي قال لا يستقيم الايمان الا بالقول ولا يستقيم الايمان والقول الا بالعمل ولا يستقيم الايمان والقول والعمل الا بنية موافقة للسنة .. وكان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الايمان والعمل العمل من الايمان والايمان من العمل وإنما الايمان اسم يجمع كما يجمع هذه الاديان اسمها ويصدق العمل فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدق بعمله فذلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها ومن قل بلسانه ولم يعرف بقلبه ولم يصدق بعمله كان في الآخرة من الخاسرين .. وهذا معروف عن غير واحد من السلف والخلف انهم يجعلون العمل مصداقاً للقول ورواه ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه معاذ بن أسد حدثنا الفضيل بن عياض عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد أن أبا ذر سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال الايمان الاقرار والتصديق بالعمل ثم تلا (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الى قوله وأولئك هم المتقون) قلت حديث أبي ذر هذا مروي من غير وجه فان كان هذا اللفظ هو لفظ الرسول فلا كلام وان كانوا رووه بضمي دل على أنه من المعروف في لغتهم انه يقال صدق قوله بعمله وكذلك قال شيخ الاسلام الهروي الايمان تصديق كله .. وكذلك الجواب الثاني انه اذا كان أصله التصديق فهو تصديق مخصوص كما ان الصلاة دعاء مخصوص والحج قصد مخصوص والصيام امساك مخصوص وهذا التصديق له لوازم صارت لوازمه داخله في مسماه عند الاطلاق فان انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم ويبقى النزاع لفظياً هل الايمان دال على العمل بالنضمن أو باللزم وما ينبغي أن يعرف أن

أكثر التنازع بين أهل السنة في هذه المسئلة هو نزاع لفظي والافالقاتلون بان الايمان قول من الفقهاء كحماد بن ابي سليمان وهو اول من قل ذلك ومن اتبعه من أهل الكوفة وغيرهم متفقون مع جميع علماء السنة على ان اصحاب الذنوب داخلون تحت الذم والوعيد وان قالوا ان ايمانهم كامل كايان جبرائيل فهم يقولون ان الايمان بدون العمل المفروض ومع فعل المحرمات يكون صاحبه مستحقاً للذم والعقاب كما نقوله الجماعة ويقولون أيضاً بأن من أهل الكبار من يدخل النار كما نقوله الجماعة والذين ينفون عن الفاسق اسم الايمان من أهل السنة متفقون على أنه لا يخلد في النار فليس بين فقهاء المسئلة نزاع في اصحاب الذنوب اذا كانوا مقرين باطناً وظاهراً بما جاء به الرسول وما تواتر عنه أنهم من أهل الوعيد وأنه يدخل النار منهم من أخير الله ورسوله بدخوله اليها ولا يخلد منهم فيها أحد ولا يكونون مرتدين مباحي الدماء ولكن الافوال المنحرفة قول من يقول بخلدهم في النار كالخوارج والمعتزلة وقول غلاة المرجئة الذين يقولون ما نعلم أن أحداً منهم يدخل النار بل تقف في هذا كله .. وحكى عن بعض غلاة المرجئة الجزم بالنفي العام ويقال للخوارج الذي نفي عن السارق والزاني والشارب وغيرهم الايمان هو لم يجعلهم مرتدين عن الاسلام بل عاقب هذا بالجلد وهذا بالقطع ولم يقتل أحداً الا الزني الحصن ولم يقتله قتل المرتد فان المرتد يقتل بالسيف بعد الاستتابة وهذا يرحم بالحجارة بلا استتابة فدل ذلك على انه وان نفي عنهم الايمان فليسوا عنده مرتدين عن الاسلام مع ظهور ذنوبهم وليسوا كلنافتين الذين كانوا يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر فأولئك لم يعاقبهم الا على ذنب ظاهر .. وبسبب الكلام في مسئلة الايمان تنازع الناس هل في اللغة أسماء شرعية نقلها الشارع عن سماها في اللغة أو أنها باقية في الشرع على ما كانت عليه في لغة لكن الشارع زاد في أحكامها لا في معنى الاسماء وهكذا قالوا في اسم الصلاة والزكاة والصيام والحج أنها باقية في كلام الشارع على معناها اللغوي لكن زاد في أحكامها ومقصودهم أن الايمان هو مجرد التصديق وذلك يحصل بالقلب واللسان وذهبت طائفة ثالثة الى أن الشارع تصرف فيها تصرف أهل العرف فهي بالنسبة الى اللغة مجاز وبالنسبة الى صرف الشارع حقيقة .. والتحقيق ان الشارع لم ينقلها ولم يغيرها ولكن استعملها مقيدة لا مطلقة كما يستعمل نفاذها كقوله تعالى (والله على الناس حج البيت) فذكر حجاً خاصاً وهو حج البيت وكذلك قوله (فمن حج البيت أو اعتمر) فلم يكن لفظ الحج متناولاً لكل قصد بل لقصد مخصوص دل عليه اللفظ نفسه من غير تغيير اللغة والشاعر اذا قال

وأشهد من عرف حلولا كثيرة يحجون سب الزبرقان المزعفرا

كان متكلماً باللغة .. وقد قيل لفظه يحج سب الزبرقان المزعفرا .. معلوم أن ذلك الحج المخصوص دلت عليه الاضافة فكذلك الحج المخصوص الذي أمر الله به دلت عليه الاضافة أو التعريف باللام فاذا قيل الحج فرض عليك كانت لام العهد تبين أنه حج البيت وكذلك الزكاة هي اسم لما تزكو به النفس وزكاة النفس زيادة خيرها وذهاب شرها والاحسان الى الناس من أعظم ما تزكو به النفس كما قال تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها) وكذلك ترك الفواحش مما تزكو به قل تعالى (ولولا

فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبداً) وأصل زكاتها بالتوحيد وإخلاص الدين لله قال تعالى (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة) وهي عند المفسرين التوحيد . . . وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم مقدار الواجب وسماها الزكاة المفروضة فصار لفظ الزكاة إذا عرفت باللام ينصرف إليها لأجل العهد ومن الأسماء ما يكون أهل العرف نقولوه وينسبون ذلك إلى الشارع مثل لفظ التيمم فان الله تعالى قال (فقيموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) فلفظ التيمم استعمل في معناه المعروف في اللغة فانه أمر بتيمم الصعيد ثم أمر بمسح الوجوه والأيدي منه فصار لفظ التيمم في عرف الفقهاء يدخل فيه هذا المسح وليس هو لغة الشارع بل الشارع فرق بين تيمم الصعيد وبين المسح الذي يكون بعده ولفظ الإيمان أمر به مقيداً بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وكذلك لفظ الإسلام بالاستسلام لله رب العالمين وكذلك لفظ الكفر مقيداً ولكن لفظ النفاق قد قيل انه لم تكن العرب تكلمت به لكنه مأخوذ من كلامهم فان نفق يشبه خرج ومنه نفقت الدابة اذا ماتت ومنه نافق اليربوع والنفق في الأرض قال تعالى (فان استطعت أن تبني نفقاً في الأرض) فلما نفق هو الذي خرج من الإيمان باطناً بعد دخوله فيه ظاهراً وقيد النفاق بأنه نفاق من الإيمان ومن الناس من يسمى من خرج عن طاعة الملك منافقاً غاية لكن النفاق الذي في القرآن هو النفاق على الرسول فخطاب الله ورسوله للناس بهذه الأسماء فخطاب الناس بغيرها وهو خطاب مقيده خاص لا مطلق يحتمل أنواعاً . . . وقد بين الرسول تلك الخصائص والاسم دل عليها فلا يقال إنها منقولة ولا أنه زيد في الحكم دون الاسم بل الاسم إنما استعمل على وجه يختص بمراد الشارع لم يستعمل مطلقاً وهو إنما قال أقيموا الصلاة بعد أن عرفهم الصلاة بالمأمور بها فكان التعريف منصرفاً إلى الصلاة التي يعرفونها لم ينزل لفظ الصلاة وهم لا يعرفون معناه . . . ولهذا قال من قال في لفظ الصلاة انه عام للمعنى اللغوي أو أنه مجمل لتزده بين المعنى اللغوي والشرعي ونحو ذلك فأقوالهم ضعيفة فان هذا اللفظ إنما ورد خبراً أو أمراً فالخبر كقوله (أرايت الذي ينهى عبداً اذا صلى) وسورة اقرأ من أول ما نزل من القرآن وكان بعض الكفار إما أبو جهل أو غيره قد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة وقال لئن رأيت بصلي لأطأن عنقه فلما رآه ساجداً رأى من الهول ما أوجب تكوُّسه على عقبيه فاذا قيل أرايت الذي ينهى عبداً اذا صلى فقد علمت تلك الصلاة الواقعة بلا اجمال في اللفظ ولا عموم ثم انه لما فرضت الصلوات الخمس ليلة المعراج أقام النبي صلى الله عليه وسلم لهم الصلوات بموافقتها صبيحة ذلك اليوم وكان جبرائيل يؤم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون يأتون بالنبي صلى الله عليه وسلم فاذا قيل لهم أقيموا الصلاة عرفوا أنها تلك الصلاة وقيل انه قبل ذلك كانت له صلاتان طرفي النهار فكانت أيضاً فلم يخاطبوا باسم من هذه الأسماء الا وسماء معلوم عندهم فلا اجمال في ذلك ولا يتناول كل ما يسمى حجاً ودعاء وصوماً فان هذا إنما يكون اذا كان اللفظ مطلقاً وذلك لم يرد . . . وكذلك الإيمان والإسلام وقد كان معنى ذلك عندهم من أظهر الأمور وإنما سأل جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وهم يسمعون وقال هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم ليبين لهم كان هذه الأسماء وحققها التي ينبغي أن

تقصده لئلا يقتصر على أدنى مسمياتها وهذا كما في الحديث الصحيح انه قال ليس المسكين هذا الطواف الذي
ترده اللقمة واللقمات والفرة والفرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غناه يغنيه ولا يفتن له فيتصدق عليه
ولا يسأل الناس الخافاً فهم كانوا يعرفون المسكين وانه المحتاج وكان ذلك مشهوراً عندهم فيمن يظهر
حاجته بالسؤال فيبين النبي صلى الله عليه وسلم ان الذي يظهر حاجته بالسؤال والناس يعطونه تزدل
مسكنته باعطاء الناس له والسؤال له بمنزلة الحرفة وهو وان كان مسكيناً يستحق من الزكاة اذا لم يعط
من غيرها كفايته فهو اذا وجد من يعطيه كفايته لم يبق مسكيناً وانما المسكين المحتاج الذي لا يسأل
ولا يعرف فيعطى فهذا هو الذي يجب أن يقدم في العطاء فانه مسكين قطعاً وذلك مسكنته تندفع بعطاء
من يسأله وكذلك قوله الاسلام هو الخمس يريد ان هذا كله واجب داخل في الاسلام فليس للانسان
أن يكتفى بالاقرار بالشهادتين وكذلك الايمان يجب أن يكون على هذا الوجه المفصل لا يكتفى فيه بالايمان
الجميل ولهذا وصف الاسلام بهذا . . . وقد اتفق المسلمون على أنه من لم يأت بالشهادتين فهو كافر
وأما الاعمال الاربعة فاختلّفوا في تكفير تاركها ونحن اذا قلنا أمل السنة متفقون على انه لا يكفر بالذنوب
فانما يريد به المعاصي كالزنا والشرب وأما هذه المباني ففي تكفير تاركها نزاع مشهور وعن أحمد في ذلك
نزاع واحدى الروايات عنه انه يكفر من ترك واحدة منها وهو اختيار أبي بكر وطائفة من أصحاب
مالك كابن حبيب وعنه رواية ثانية لا يكفر الا بترك الصلاة والزكاة فقط ورواية ثالثة لا يكفر الا بترك
الصلاة والزكاة اذا قاتل الامام عليها ورابعة لا يكفر الا بترك الصلاة وخامسة لا يكفر بترك شيء منهن .
وهذه أقوال معروفة للسلف قال الحكم بن عتيبة من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر ومن ترك الزكاة
متعمداً فقد كفر ومن ترك الحج متعمداً فقد كفر ومن ترك صوم رمضان متعمداً فقد كفر وقال
سعيد بن جبير من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر بالله ومن ترك الزكاة متعمداً فقد كفر بالله ومن ترك
صوم رمضان متعمداً فقد كفر بالله وقال الضحاك لا ترفع الصلاة الا بالزكاة وقال عبيد الله بن مسعود
من أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة فلا صلاة له رواه أسد بن موسى وقال عبد الله بن عمرو من شرب
الخمر مسياً أصبح مشركاً ومن شربه مصباحاً أمسى مشركاً فقبل لبراهيم النخعي كيف ذلك قل لانه يترك
الصلاة قال أبو عبد الله الاحنس في كتابه من شرب المسكر فقد تعرض لترك الصلاة ومن ترك الصلاة
فقد خرج من الايمان وما يوضح ذلك ان جبريل لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الاسلام والايمان
والاحسان كان في آخر الامر بعد فرض الحج والحج انما فرض سنة تسع أو عشر . . . وقد اتفق الناس
على انه لم يفرض قبل ست من الهجرة ومعلوم ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأمر الناس بالايمان ولم
يبين لهم معناه الى ذلك الوقت بل كانوا يعرفون أصل معناه وهذه المسائل بسطها موضع آخر . . . والمقصود
هنا ان من نفي عنه الرسول اسم الايمان أو الاسلام فلا بد أن يكون قد ترك بعض الواجبات فيه
وان بقي بعضها ولهذا كان الصحابة والسلف يقولون انه يكون في العبد ايمان ونفاق قل أبو داود والسجستاني
حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا وكيع عن الاعشى عن شقيق عن أبي المقدام عن أبي يحيى قال سئل حديثه

عن المنافق قال الذي يصف الاسلام ولا يعمل به وقال أبو دود حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البحتري عن حذيفة قال القلوب أربعة قلب أغلف فذلك قلب الكافر وقلب مصفح وذلك قلب المنافق وقلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل شجرة يمدحها ماء طيب ومثل النفاق مثل قرحة يمدحها قيصح ودم فأيهما غلب عليه غلب وقد روى مرفوعا وهو في المسند مرفوعا وهذا الذي قاله حذيفة يدل عليه قوله تعالى (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان) فقد كان قبل ذلك فيهم نفاق مغلوب فما كان يوم أحد غلب نفاقهم فصاروا إلى الكفر أقرب وروى عبد الله بن المبارك عن عوف بن أبي جميلة عن عبد الله بن عمرو بن هند عن علي بن أبي طالب قال إن الإيمان يبدو لمظة بيضاء في القلب فكما ازداد العبد إيمانا ازداد القلب بياضا حتى إذا استكمل الإيمان أبيض القلب كله وإن النفاق يبدو لمظة سوداء في القلب فكما ازداد العبد نفاقا ازداد القلب سوادا حتى إذا استكمل النفاق اسود القلب وإيم الله لوشققتهم عن قلب المؤمن لوجدتموه أبيض ولو شققتم عن قلب المنافق والكافر لوجدتموه اسود وقال ابن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل رواه أحمد وغيره وهذا كثير في كلام السلف يثبتون أن القلب قد يكون فيه إيمان ونفاق والكتاب والسنة يدلان على ذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر شعب الإيمان وذكر شعب النفاق وقال من كانت فيه شعبة منهن كانت فيه شعبة من النفاق حتى يدعها وتلك الشعبة قد يكون معها كثير من شعب الإيمان ولهذا قل يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فعمل أن من كان معه من الإيمان أقل القليل لم يخلد في النار وإن كان معه كثير من النفاق فهو يعذب في النار على قدر ما معه من ذلك ثم يخرج من النار وعلى هذا فقلوله للأعراب (لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) نفي حقيقة دخول الإيمان في قلوبهم وذلك لا يمنع أن يكون معهم شعبة منه كما نفاه عن الزاني والسارق ومن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه ومن لا يأمن جاره بوائقه وغير ذلك كما تقدم ذكره فإن في القرآن والحديث ممن نفي عنه الإيمان وترك بعض الواجبات شيء كثير وحينئذ فنقول من قال من السلف أسلمنا أي استسلمنا خوف السيف وقول من قال هو الإسلام الجميع صحيح فإن هذا إنما أراد الدخول في الإسلام والإسلام الظاهر يدخل فيه المنافقون فيدخل فيه من كان في قلبه إيمان ونفاق وقد علم أنه يخرج من النار في قلبه مثقال ذرة من إيمان بخلاف المنافق المحض الذي قلبه كله اسود فهذا هو الذي يكون في الدرك الأسفل من النار ولهذا كان الصحابة يخشون النفاق على أنفسهم ولم يخافوا التكذيب لله ورسوله فإن المؤمن يعلم من نفسه أنه لا يكذب الله ورسوله يقينا وهذا مستند من قال أنا مؤمن حقا فإنه إنما أراد بذلك ما يعلمه من نفسه من التصديق الجازم ولكن الإيمان ليس مجرد التصديق بل لا بد من أعمال قلبية تستلزم أعمال ظاهرة كما تقدم فحب الله ورسوله من الإيمان وحب ما أمر الله به وبغض ما نهى عنه وهذا من أخس الأمور بالإيمان ولهذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث أن من سرته حسنة وسأته سيئة فهو مؤمن فهذا يحب الحسنة ويفرح بها ويبغض السيئة ويسوؤه فعلها وإن فعلها

بشهوة غالبة وهذا الحب والبغض من خصائص الايمان ومعلوم ان الزاني حين يزني انما يزني لحب نفسه
 لذلك الفعل فلو قام بقلبه خشية الله التي تقهر الشهوة أو حب الله الذي يغلبها لم يزن ولهذا قال تعالى
 عن يوسف عليه السلام (كذلك لتصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) فمن كان مخلصاً
 لله حق الاخلاص لم يزن وانما يزني خلوه عن ذلك وهذا هو الايمان الذي ينزع منه لم ينزع منه نفس
 التصديق ولهذا قيل هو مسلم وليس بمؤمن فان المسلم المستحق للثواب لا بد أن يكون مصداقاً والا كان منافقاً
 لكن ليس كل من صدق قام بقلبه من الاحوال اليمانية الواجبة مثل كمال محبة الله ورسوله ومثل خشية
 الله والاخلاص له في الاعمال والتوكل عليه بل يكون الرجل مصداقاً بما جاء به الرسول وهو مع ذلك
 يرأى بأعماله ويكون أهله وماله أحب اليه من الله ورسوله والجهاد في سبيله وقد خوطب بهذا المؤمنون
 في آخر الامر في سورة براءة ف قيل لهم (ان كان آباؤكم وأبنائكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال
 اقترفتهموها ونجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا
 حتى يأتي الله بأمره ان الله لا يهدي القوم الفاسقين) ومعلوم ان كثيراً من المسلمين أو أكثرهم بهذه
 الصفة وقد ثبت انه لا يكون الرجل مؤمناً حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وانما المؤمن من
 لم يرتب وجاهد بماله ونفسه في سبيل الله فمن لم تقم بقلبه الاحوال الواجبة في الايمان هو الذي انفي عنه
 الرسول الايمان وان كان معه التصديق والتصديق من الايمان ولا بد أن يكون مع التصديق شيء من حب
 الله وخشية الله والا فالتصديق الذي لا يكون معه شيء من ذلك ليس ايماناً البتة بل هو كتصديق فرعون
 واليهود وابليس وهذا هو الذي أنكره السلف على الجهمية قال الحميدى سمعت وكيعاً يقول أهد السنة
 يقولون الايمان قول وعمل والمرجئة يقولون الايمان قول والجهمية يقولون الايمان المعرفة وفي رواية
 أخرى عنه وهذا كفر قال محمد بن عمر الكلابي سمعت وكيعاً يقول الجهمية شر من القدرية قال وقال
 وكيع المرجئة الذين يقولون الاقرار يجزى من العمل ومن قال هذا فقد هلك ومن قال النية تجزي من
 العمل فهو كفر وهو قول جهم وكذلك قال أحمد بن حنبل ولهذا كان القول ان الايمان قول وعمل عند
 أهل السنة من شعائر السنة وحكي غير واحد الاجماع على ذلك وقد ذكرنا عن الشافعي رضي الله عنه
 ما ذكره من الاجماع على ذلك قوله في لام وكان الاجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم
 يقولون ان الايمان قول وعمل ونية لا يجزى واحد من الثلاثة الا بالآخر وذكر ابن أبي حاتم في مناقبه
 سمعت حرملة يقول اجتمع حفص الفرد ومصلان الاباضي عند الشافعي في دار الجروى فتخطرا معه في
 الايمان فاحتج مصلان في الزيادة والنقصان يعني وخالفه حفص الفرد فحصى الشافعي وتقلد المسئلة على ان
 الايمان قول وعمل يزيد وينقص فطعن حفص الفرد وقطعه وروى أبو عمر الطائفي بإسناده المعروف
 عن موسى بن هارون الحمال قال أمدى علينا اسحاق بن راهويه ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص لاشك
 ان ذلك كما وصفنا وانما عقلا هذا بالرويات الصحيحة والآثار العامة المحكمة وآحاد أصحاب رسول
 الله صلى الله عليه وسلم والتابعين وهلم جرا على ذلك وكذلك بعد التابعين من أهل العلم على شيء واحد

لا يختلفون فيه وكذلك في عهد الاوزاعي بالشام وسفيان الثوري بالعراق ومالك بن أنس بالحجاز ومعمر
 باليمن على ما فسرنا وبيننا ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص وقال اسحق من ترك الصلاة متعمداً حق
 ذهب وقتها الظهر الى المغرب والمغرب الى نصف الليل فانه كافر بالله العظيم يستتاب ثلاثة أيام فان لم يرجع
 وقال تركها لا يكون كفراً ضربت عنقه يعني تركها وقال ذلك وأما اذا صلى وقال ذلك فهذه مسألة اجتهد
 قال واتبعهم على ما وصفنا من بعدهم من عصرنا هذا أهل العلم الا من بين الجماعة واتبع الاهواء المختلفة
 فأولئك قوم لا يهاب الله بهم لما يابنوا الجماعة . قال أبو عبيد القاسم بن سلام الامام وله كتاب مصنف في
 الايمان قال هذه تسمية من كان يقول الايمان قول وعمل يزيد وينقص . من أهل مكة عبيد بن عير التيمي
 عطاه بن أبي رباح مجاهد بن جبراه بن أبي مليكة عمرو بن دينار ابن أبي نجيح عبيد الله بن عمر عبد الله بن
 عمرو بن عثمان عبد الملك بن جريج نافع بن جبير داود بن عبد الرحمن العطار عبد الله بن رجاء . ومن
 أهل المدينة محمد بن شهاب الزهري ربيعة بن أبي عبد الرحمن أبو حازم الاعرج سعيد بن ابراهيم بن عبد
 الرحمن يحيى بن سعيد الانصاري هشام بن هروة بن الزبير عبد الله بن عمر العمرى مالك بن أنس محمد بن
 أبي ذئب سليمان بن بلال عبد العزيز بن عبد الله يعني الماجشون عبد العزيز بن أبي حازم . ومن أهل اليمن
 طاوس التيمي وهب بن منبه معمر بن راشد عبد الرزق بن همام . ومن أهل مصر والشام مكحول
 الاوزاعي سعيد بن عبد العزيز الوليد بن مسلم يونس بن يزيد الايلي يزيد بن أبي حبيب يزيد بن شريح
 سعيد بن أبي أيوب الليث بن سعد عبد الله بن أبي جعفر معاوية بن صالح حيوة بن شريح عبد الله بن وهب
 . ومن سكن العواصم وغيرها من الجزيرة يميون بن مهران يحيى بن عبد الكريم معقل بن عبيد الله عبيد
 الله بن عمرو الرقي عبد الملك بن مالك المعاذ بن عمران محمد بن سلمة الحراني أبو اسحق الفزاري خالد بن الحسين
 علي بن بكار يوسف بن اسباط عطاه بن مسلم محمد بن كثير الهيثم بن جميل . ومن أهل الكوفة علقمة
 الاسود بن يزيد أبو وائل سعيد بن جابر الربيع بن خنيم عامر الشعبي ابراهيم النخعي الحكم بن عيينة
 طلحة بن مصرف منصور بن المعتمر سلمة بن كهيل مغيرة الضبي عطاه بن السائب اسمعيل بن أبي خالد
 أبو حيان يحيى بن سعيد سليمان بن مهران الاعشى يزيد بن أبي زياد سفيان بن سعيد الثوري سفيان بن عيينة
 الفضيل بن عياض أبو المقدم ثابت بن العجلان ابن شبرمة ابن أبي ليلى زهير شريك بن عبد الله الحسن بن
 صالح حفص بن غياث أبو بكر بن عياش أبو الاحوص وكيع بن الجراح عبد الله بن نمير أبو اسامة عبد الله
 ابن ادريس زيد بن الحباب الحسين بن علي الجمعي محمد بن بشر العبدي يحيى بن آدم ومحمد ويعلى وعمرو
 بنو عبيد . ومن أهل البصرة الحسن بن أبي الحسن محمد بن سيرين قتادة بن دعامة بكر بن عبد الله
 المزني أيوب السختياني يونس بن عبيد عبد الله بن عون سليمان التيمي هشام بن حسان الدستوائي شعبة
 ابن الحجاج حماد بن سلمة حماد بن زيد أبو الاشهب يزيد بن ابراهيم أبو عوانة وهيب بن خالد عبيد
 الوارث بن سعيد معتمر بن سليمان التيمي يحيى بن سعيد القطان عبد الرحمن بن مهاد بشر بن المفضل
 يزيد بن ذريح المؤمل بن اسمعيل خالد بن الحارث معاذ بن معاذ أبو عبد الرحمن المقرئ . ومن

أهل واسط هشيم بن بشير خالد بن عبد الله على بن عاصم يزيد بن هرون صالح بن عمر عاصم بن علي
 .. ومن أهل المشرق الضعاعك بن مزاحم أبو جرة نصر بن عمران عبد الله بن المبارك النضر بن شمير
 جرير بن عبد الحميد الضبي .. قال أبو عبيد هؤلاء جميعا يقولون الايمان قول وعمل يزيد وينقص وهو
 قول أهل السنة المعمول به عندنا .. قلت ذكر من الكوفيين من قال ذلك أكثر مما ذكر من غيرهم
 لان الارجاء في أهل الكوفة وكان أول من قاله حماد بن أبي سليمان فاحتاج علماءها ان يظهروا انكار
 ذلك فكثير منهم من قال ذلك كما ان النجهم وتعطيل الصفات لما كان ابتداء حدونه من خراسان كثير من
 علماء خراسان ذلك الوقت من الانكار على الجهمية ما لم يوجد لمن لم تكن هذه البدعة في بلده ولا سمع
 بها كما جاء في حديث ان لله عند كل بدعة يكاد بها الاسلام وأهله من يتكلم بعلامات الاسلام فاعتنموا
 تلك المجالس فان الرحمة تنزل على أهلها أو كما قال .. واذا كان من قول السلف ان الانسان يكون فيه
 ايمان ونفاق فكذلك في قولهم انه يكون فيه ايمان وكفر ليس هو الكفر الذي ينفي عن الملة كما قال ابن
 عباس وأصحابه في قوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قالوا كفر لا ينفي عن
 الملة وقد اتبهم على ذلك احمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة .. قال الامام محمد بن نصر المروزي في
 كتاب الصلوات اختلف الناس في تفسير حديث جبرائيل هذا فقال طائفة من أصحابنا قول النبي صلى الله عليه
 وسلم الايمان ان تؤمن بالله وما ذكر معه كلام جامع مختصر له غور وقد أوهمت المرجئة في تفسيره فتأولوه
 على غير تأويله قلة معرفة منهم بالسان العرب وغور كلام النبي صلى الله عليه وسلم الذي قد أعطي جوامع الكلم
 وفوائحه واختصر له الحديث اختصارا أما قوله الايمان ان تؤمن بالله فان توحيده وتصدق به بالقلب واللسان
 وتخضع له ولا مره بإعطائه العزم للأداء لما أمر مجانباً للاستكفاف والاستكبار والمعاندة فاذا فعلت
 ذلك لزمته محابه واجتنبت مساخطه وأما قوله وملائكته فان تؤمن بمن سمي الله لك منهم في كتابه
 وتؤمن بان الله ملائكة سواهم لا يعرف أسمائهم وعددهم الا الذي خلقهم وأما قوله وكتبه فان تؤمن
 بما سمي الله من كتبه في كتابه من التوراة والانجيل والزبور خاصة وتؤمن بان لله سوي ذلك كتباً
 أنزلها على أنبيائه لا يعرف أسمائها وعددها الا الذي أنزلها وتؤمن بالفرقان وإيمانك به غير إيمانك بسائر
 الكتب إيمانك بغيره من الكتب اقرارك به بالقلب واللسان وإيمانك بالفرقان اقرارك به واتباعك ما فيه
 وأما قوله ورسله فان تؤمن بما سمي الله في كتابه من رسله وتؤمن بان لله سواهم رسلاً وأنبياء لا يعلم
 أسمائهم الا الذي أرسلهم وتؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وإيمانك به غير إيمانك بسائر الرسل إيمانك
 بسائر الرسل اقرارك بهم وإيمانك بمحمد اقرارك به وتصديقك إياه دائماً على ما جاء به فاذا اتبعت ما جاء
 به أدبت الفرائض وأحلت الحلال وحرمت الحرام ووقفت عند الشبهات وسارعت في الخيرات وأما
 قوله واليوم الآخر فان تؤمن ببعث الموت والحساب والميزان والثواب والعقاب والجنة والنار
 وبكل ما وصف الله به يوم القيامة وأما قوله وتؤمن بلقدر خيره وشره فان تؤمن بان ما أصابك لم يكن
 ليخطئك وان ما أخصاك لم يكن ليصيبك ولا تقل لو كان كذا لم يكن كذا ولولا كذا لم يكن كذا

وكذا قال فهذا هو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر

(فصل) ومما يسأل عنه انه اذا كان ما أوجبه الله من الأعمال الظاهرة أكثر من هذه الخمس فلماذا قال الاسلام هذه الخمس وقد أجاب بعض الناس بان هذه أظهر شعائر الاسلام وأعظمها وقيام العبد بها يتم استسلامه وتركها لها يشعر بالخلل قيد انقياده والتعقيب ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الدين الذي هو استسلام العبد لربه مطلقاً الذي يجب لله عبادة محضة على الأعيان فيجب على كل من كان قادراً عليه ليعبد الله بها مخلصاً له الدين وهذه هي الخمس وما سوى ذلك فانما يجب بأسباب لمصالح فلا يعم وجوبها جميع الناس بل إما أن يكون فرضاً على الكفاية كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يتبع ذلك من اماره وحكم وقتيا واقراء وتحديث وغير ذلك وإما أن يجب بسبب حقاً للأدمين يختص به من وجب له وعليه وقد يسقط باسقاطه واذا حصلت المصلحة أو الإبراء إما بآرائه وإما بمحصل المصلحة حقوق العباد مثل قضاء الديون ورد الغصب والعواري والودائع والانصاف من المظالم من الدماء والأموال والأعراض انما هي حقوق الأدمين واذا أبرؤا منها سقطت وتجب على شخص دون شخص في حال دون حال لم تجب عبادة محضة لله على كل عبد قادر ولهذا يشترك فيها المسلمون واليهود والنصارى بخلاف الخمسة فانها من خصائص المسلمين وكذلك ما يجب من صلة الأرحام وحقوق الزوجة والأولاد والجيران والشركاء والفقراء وما يجب من أداء الشهادة والفتيا والقضاء والامارة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد كل ذلك يجب بأسباب عارضة على بعض الناس دون بعض لاجل منافع ودفع مضار لو حصلت بدون فعل الانسان لم تجب فما كان مشتركاً فهو واجب على الكفاية وما كان مختصاً فانما يجب على زيد دون عمرو ولا يشترك الناس في وجوب عمل بعينه على كل أحد قادر سوى الخمس فان زوجة زيد وأقاربه ليس زوجة عمرو وأقاربه فليس الواجب على هذا مثل الواجب على هذا بخلاف صوم شهر رمضان وحج البيت والصلوات الخمس والزكاة فان الزكاة وان كانت حقاً مالياً فانها واجبة لله والأصناف الثمانية مصارفها ولهذا وجب فيها النية ولم يجز أن يفعلها الغير عنه بلا اذنه ولم تطلب من الكفار وحقوق العباد لا يشترط لها النية ولو أداها غيره عنه بغير اذنه برئت ذمته ويطلب بها الكفار وما يجب حقاً لله تعالى كالكفارات هو بسبب من العبد وفيها شوب العقوبات فان الواجب لله ثلاثة أنواع عبادة محضة كالصلوات وعقوبات محضة كالحدود وما يشبهها كالكفارات وكذلك كفارات الحج وما يجب بالنذر فان ذلك يجب بسبب فعل من العبد وهو واجب في ذمته وأما الزكاة فانها تجب حقاً لله في ماله ولهذا يقال ليس في المال حق سوى الزكاة أي ليس فيه حق يجب بسبب المال سوى الزكاة وإلا ففيه واجبات بغير سبب المال كالتجيب للنفقات للأقارب والزوجة والرقيق والبهائم ويجب حمل العاقلة ويجب قضاء الديون ويجب الاعطاء في النائية ويجب اطعام الجائع وكسوة العاري فرضاً على الكفاية الى غير ذلك من الواجبات المالية لكن بسبب عارض والمال شرط في وجوبها كالاستطاعة في الحج فان البدن سبب الوجوب والاستطاعة شرط والمال في الزكاة هو السبب والوجوب معه حتى لو لم يكن في

بلده من يستحقها حملها الى بلد اخرى وهي حق وحب لله تعالى ولهذا قال من قال من الفقهاء ان التكليف شرط فيها فلا تجب على الصغير والمجنون وأما عامة الصحابة والجمهور كمالك والشافعي وأحمد فأوجبوها في مال الصغير والمجنون لان مالهما من جنس مال غيرهما ووليهما يقوم مقامهما بخلاف بدنهما فانه انما يتصرف بعقلهما وعقلهما ناقص وصار هذا كما يجب العشر في أرضهما مع انه انما يستحقه الثمانية وكذلك ايجاب الكفارة في مالهما والصلاة والصيام انما تسقط لعجز العقل عن الايجاب لا سيما اذا انضم الى عجز البدن كالصغير وهذا المعنى منتف في المال فان الولي قام مقامهما في الفهم كما يقوم مقامهما في جميع ما يجب في المال وأما بدنهما فلا يجب عليهما فيه شيء

فصل قال محمد بن نصر واستدلوا على ان الايمان هو ما ذكره بالآيات التي تلونها عند ذكر تسمية الله الصلاة وسائر الطاعات ايمانا واستدلوا أيضاً بما قص الله من نبي ابلis حين عصى ربه في سجدة واحدة أمر أن يسجد لها لآدم فأبأها فكيف جحد ابلis ربه وهو يقول رب بما أغويتني ويقول رب أنظرني الى يوم يبعثون ايمانا منه بالبعث وايمانا بنفاذ قدرته في انظاره اياه الى يوم يبعثون وهل جحد أحداً من أنبيائه أو أنكر شيئاً من سلطانه وهو يخاف بعزته وهل كان كفره الا بترك سجدة واحدة أمر بها فأبأها . . قال واستدلوا أيضاً بما قص الله علينا من نبي آدم اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر الى قوله فأصبح من الخاسرين . . قال وهل جحد ربه وكيف يجحده وهو يقرب القربان قالوا قال الله تعالى (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون) ولم يقل اذا ذكروا بها أفروا بها فقط وقال الذين (آتيناكم الكتاب بتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به) يعني يذهبونه حق اتباعه . فان قيل فهل مع ما ذكرت من سنة ثابتة نبين أن العمل داخل في الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله . قيل نعم عامة السنن والآثار تنطق بذلك منها حديث وفد عبد القيس وذكر حديث شعبة وقرة بن خالد عن أبي جرة عن ابن عباس كما تقدم ولفظه أمركم بالايمان بالله وحده ثم قال هل تدرون ما لايمان بالله وحده قالوا الله ورسوله أعلم قال شهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وان تعطوا خمس ما غنمتم وذكر أحاديث كثيرة توجب دخول الاعمال في الايمان مثل قوله في حديث

لما سئل صلى الله عليه وسلم . . ثم قال أبو عبد الله محمد بن نصر اختلف أصحابنا في تفسير قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن فقالت طائفة منهم انما أراد النبي صلى الله عليه وسلم ازالة اسم الايمان عنه من غير أن يخرج من الاسلام ولا يزيل عنه اسمه وفرقوا بين الاسلام والايمان بقوله قالت الاشراب آمنة الآية فقالوا الايمان خاص يثبت الاسم به بالعمل مع التوحيد والاسلام عام يثبت الاسم بالتوحيد والخروج من ملل الكفر واحتجوا بحديث سعد بن أبي وقاص وذكره عن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطي رجلاً ولم يعط رجلاً منهم شيئاً فقلت

يا رسول الله أعطيت فلانا وفلانا ولم تعط فلانا وهو مؤمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مسلم
أعدها ثلاثا والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أو مسلم ثم قال اني لاعطى رجلا وأمنع آخرين وهم أحب
الي منهم مخافة أن يكبوا على وجوههم في النار . قال الزهري فترى أن الاسلام الكلمة والايمان العمل
• • قال محمد بن نصر واحتجوا بانكار عبد الله بن مسعود على من شهد لنفسه بالايمان فقال أنا مؤمن
من غير استثناء وكذلك أصحابه من بعده وجله علماء الكوفة واحتجوا بحديث أبي هريرة يخرج منه
الايمان فان رجع اليه وبما أشبه ذلك من الأخبار وبما روى عن الحسن ومحمد بن سيرين انهما
كانا يقولان مسلم ويهاكبان مؤمن واحتجوا بقول أبي جعفر الذي حدثناه اسحق بن ابراهيم أنبأنا وهب
ابن جرير بن حازم حدثني أبي عن فضيل بن يسار عن أبي جعفر محمد بن علي أنه سئل عن قول النبي
صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن فقال أبو جعفر هذا الاسلام ودوردارة واسعة
وهذا الايمان ودوردارة صغيرة في وسط الكبيرة فإذا زني أو سرق خرج من الايمان الى الاسلام ولا
يخرجه من الاسلام الا الكفر بالله واحتجوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أسلم الناس وآمن
عمرو بن العاص حدثنا بذلك يحيى بن يحيى حدثنا ابن طيبة عن شريح بن هانئ عن عقبة بن عامر الجهني
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص وذكر عن حماد بن زيد أنه كان
يفرق بين الايمان والاسلام فجعل الايمان خاصا والاسلام عاما قل فلنا في هؤلاء إساءة وبهم قدوة مع
ما يثبت ذلك من النظر وذلك أن الله جعل اسم المؤمن اسم نساء وتزكية ومدحسة أوجب عليه الجنة
فقال (وكان بالمؤمنين رحمة تحييتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما) وقال (وبشر المؤمنين
بأن لهم من الله فضلا كبيرا) وقال (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم) وقال (يوم
تري المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم) وقال (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من
الظلمات الى النور) وقال (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار)
• • قال ثم أوجب الله النار على الكفار فدل بذلك على أن اسم الايمان زائل عن أتى كبيرة • قالوا ولم
نجد أنه أوجب الجنة باسم الاسلام فثبت أن اسم الاسلام له ثابت على حاله واسم الايمان زائل عنه • فان
قيد لهم في قولهم هذا ليس الايمان ضد الكفر قالوا الكفر ضد الايمان لان للايمان أصلا وفروما
فلا يثبت الكفر حتى يزول أصل الايمان الذي هو ضد الكفر • • فان قيل لهم فالذي زعمتم أن النبي صلى
الله عليه وسلم أزال عنهم اسم الايمان هل فيه من الايمان شيء قالوا نعم أصله ثابت ولو لا ذلك لكفروا ألم
تسمع الى ابن مسعود أنكر على الذي شهد أنه مؤمن ثم قال لكننا نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
ينخبرك أنه قد آمن من جهة أنه صدق وأنه لا يستحق اسم المؤمن اذا كان يعلم أنه مقصر لانه لا يستحق
هذا الاسم عنده الا من أدى ما وجب عليه وأنهى عما حرم عليه من الموجبات للنار التي هي الكفار •
قالوا فلما أبان الله أن هذا الاسم يستحقه من قد استحق الجنة وأن الله قد أوجب الجنة عليه وعلمنا أن
قد آمننا وصدقنا لأنه لا يخرج من التصديق الا بالتكذيب واسنا بشاكين ولا مكذبين وعلمنا أنا طاصون

له مستوجبون للعذاب وهو ضد الثواب الذي حكم الله به للمؤمنين على اسم الايمان علمنا أنا قد آمننا
وأمسكنا عن الاسم الذي أثبت الله عليه الحكم بالجنة وهو من الله اسم ثناء وتركية وقد نهانا الله أن
نزكي أنفسنا وأمرنا بالخوف على أنفسنا وأوجب لنا العذاب بعصياننا فعلمنا أنا لسنا بمستحقين بأن نسمي
مؤمنين اذ أوجب الله على اسم الايمان الثناء والبركة والرافة والرحمة والمغفرة والجنة وأوجب على
الكبائر النار وهذان حكان متضادان . فان قيد فكيف أمسكتم عن اسم الايمان أن تسموا به وأنتم
تزعمون ان أصل الايمان في قلوبكم وهو التصديق بأن الله حق وما قاله صدق . قالوا ان الله ورسوله
وجاعة المسلمين سموا الاشياء بما غاب عليها من الاسماء فسموا الزاني فاسقاً والقاذف فاسقاً وشارب الخمر
فاسقاً ولم يسموا واحداً من هؤلاء متقياً ولا ورعاً وقد أجمع المسلمون ان فيه أصل التقوى والورع
وذلك أنه يتقوا ان يكفروا أو يشركوا بالله شيئاً وكذلك يتقوا الله أن يترك الغسل من الجنابة أو الصلاة ويتقوا
أن يأتي أمه فهو في جميع ذلك متقٍ وقد أجمع المسلمون من الموافقين والمخالفين أنهم لا يسمونه متقياً ولا
ورعاً اذا كان يأتي بلفجور فلما أجمعوا أن أصل التقى والورع ثابت فيه وأنه قد يزيد فيه فروعاً بعد
الأصل كتورعه عن آتيان المحارم ثم لا يسمونه متقياً ولا ورعاً مع آتيانه بعض الكبائر بل سموه فاسقاً
وقاجراً مع علمهم أنه قد أتى بعض التقى والورع فمنعهم من ذلك أن اسم التقى اسم ثناء وتركية وأن الله
قد أوجب عليه المغفرة والجنة قالوا فذلك لا نسميه مؤمناً ونسميه فاسقاً زانياً وان كان في قلبه أصل
اسم الايمان لأن الايمان اسم أثبت الله به على المؤمنين وزكاهم به وأوجب عليه الجنة فمن ثم قلنا مسلم ولم
نقل مؤمن قالوا ولو كان أحد من المسلمين الموحدين يستحق أن لا يكون في قلبه ايمان ولا اسلام لكان
أحق الناس بذلك أهل النار الذين دخولهم فلما وجدنا النبي صلى الله عليه وسلم يخبر أن الله يقول اخرجوا
من النار من كان في قلبه مثقل ذرة من ايمان ثبت أن شر المسلمين في قلبه ايمان ولما وجدنا الامة تحكم
عليه بالأحكام التي ألزمها الله للمسلمين ولا يكفرونهم ولا يشهدون لهم بالجنة ثبت أنهم مسلمون اذ أجمعوا
أن يعضوا عليهم أحكام المسلمين وأنهم لا يستحقون أن يسموا مؤمنين اذ كان الاسلام نبأ لامة التي يخرج
بها الانسان من جميع المذمات فتزول عنه أسماء المذمات لا اسم الاسلام وتثبت أحكام الاسلام عليه وتزول عنه
أحكام جميع المذمات . فان قال لهم قائل لم تقولوا كافر ان شاء الله تريدون به كمال الكفر كما قلتم مؤمن
ان شاء الله تريدون به كمال الايمان . قالوا لأن الكافر منكراً للحق والمؤمن أصل لإيمانه الاقرار والانكار
لا أول له ولا آخر فنتنظر به الحق والايان أصله التصديق والاقرار ينتظر به حقائق الاداء لما أقر
والتحقيق لما صدق ومثل ذلك كمثل رجلين عليهما حق لرجل فسأل أحدهما حقه فقال ليس لك عندي
حق فأنكر وجحد فام بيق له منزلة بحق بها ما قل اذا جحد وأنكر وسأل الآخر حقه فقال نعم لك
على كذا وكذا فليس اقراره بالذي يصل اليه بذلك حقه دون أن يوفيه فهو منتظر له أن يحق ما قال
بالإزاء وتصديق اقراره بالوفاء ولو أقر ثم لم يؤدي اليه حقه كان كمن جحد في المعنى اذا استوبأ في الترك
للاداء فتحقيق ما قال أن يؤدي اليه حقه فان أدى جزءاً منه حقق بعض ما قل ووفى ببعض ما أقر به

وكما أدى جزءا ازداد تحقيقاً لما أقر به وعلى المؤمن الاداء أبداً بما أقر به حتى يموت فن ثم قلنا مؤمن
ان شاء الله ولم نقل كافر ان شاء الله . . قال محمد بن نصر وقال طائفة أخرى من أصحاب الحديث
يمثل مقالة هؤلاء الا أنهم سموه مسلماً لخروجه من مال الكفر ولاقراره بالله وبما قال ولم يسموه
مؤمناً وزعموا أنهم مع تسميتهم اياه بالاسلام كافر لا كافر بالله ولكن كافر من طريق العمل وقالوا كافر
لا ينتقل عن الملة وقالوا محال أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن
والكفر ضد الايمان فلا يزول عنه اسم الايمان الاوامم الكفر لازم له لأن الكفر ضد الايمان الا ان الكفر
كفران كافر هو جحد بالله وبما قال فذلك ضده الاقرار بالله والتصديق به وبما قال وكفر هو عمل فهو ضد
الايمان الذي هو عمل ألا ترى الى ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يؤمن من لا يأمن
جاره بوائقه قالوا فإذا لم يؤمن فقد كفر ولا يجوز غير ذلك الا أنه كفر من جهة العمل اذ لم يؤمن من
جهة العمل لأنه لا يضيع ما فرض عليه ويركب الكبائر الا من قلة خوفاً وقلة تعظيمه لله ووعيده فقد
ترك من الايمان التعظيم الذي عنه الخوف والورع عن الخوف فأقسم النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يؤمن
اذا لم يأمن جاره بوائقه . ثم قد روى جماعة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سباب المسلم فسوق
وقتاله كفر وأنه قال اذا قال المسلم لاخته يا كافر فلم يكن كذلك بآء بالكفر فقد ساء النبي صلى الله عليه
وسلم بقتاله أخاه كافراً وبقوله له يا كافر كافراً وهذه الكلمة دون الزنى والسرقة قالوا فأما قول من احتج
علينا فزعم انا اذا سمينا كافراً لزمنا أن نحكم عليه بحكم الكافرين بالله فنستتبه ونبتل الحدود عنه
لانه اذا كفر فقد زالت عنه أحكام المؤمنين وحدودهم وفي ذلك اسقاط الحدود واحكام المؤمنين على
كل من أتى كبيرة فانا لم نذهب في ذلك الى حيث ذهبوا ولكننا نقول للايمان أصل وفرع وضد الايمان
الكفر في كل معنى فاصل الايمان الاقرار والتصديق وفرعه اكمال العمل بالقلب والبدن فصد الاقرار
والتصديق الذي هو أصل الايمان الكفر بالله وبما قال وترك التصديق به وله وضد الايمان الذي هو عمل
وليس هو اقرار كفر ليس بكفر بالله ينتقل عن الملة ولكن كفر تضييع العمل كما كان العمل ايمانا وليس
هو الايمان الذي هو اقرار بالله فلما كان من ترك الايمان الذي هو اقرار بالله كافراً يستتاب ومن ترك
الايمان الذي هو عمل مثل الزكاة والحج والصوم أو ترك الورع عن شرب الخمر والزنا قد زال عنه بعض
الايمان ولا يجب أن يستتاب عندنا ولا عند من خلفنا من أهل السنة وأهل البدع ممن قال ان الايمان
تصديق وعمل الا الخوارج وحدها فكذلك لا يجب بقولنا كافر من جهة تضييع العمل أن يستتاب ولا
يزول عنه الحدود كما لم يكن يزوال الايمان الذي هو عمل استتابته ولا ازالة الحدود عنه اذ لم يزل أصل
الايمان عنه فكذلك لا يجب علينا استتابته وازالة الحدود والاحكام عنه بانباتنا له اسم الكفر من قبل
العمل اذ لم يأت بأصل الكفر الذي هو جحد بالله أو بما قال قالوا ولما كان العلم بالله ايمانا والجهل به كافراً
وكان العمل بالفرائض ايمانا والجهل بها قبل نزولها ليس بكفر لان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد أقرؤا بالله أول ما بعث الله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم ولم يعملوا الفرائض التي افترضت

عليهم بعد ذلك فلم يكن جهلهم بذلك كفراً ثم أنزل عليهم الفرائض فكان اقرارهم بها والقيام بها ايماناً
وانما يكفر من جهدها لتكذيبه خبر الله ولو لم يأت خبر من الله ما كان بجهلها كافراً وبعد يحيى الخبير
من لم يسمع بالخبر من المسلمين لم يكن بجهلها كافراً والجهل بالله في كل حال كفر قبل الخبر وبعد الخبر
قالوا ومن ثم قلنا ان ترك التصديق بالله كفر وان ترك الفرائض مع تصديق الله انه قد أوجها كفر ليس
بكفر بالله انما هو كفر من جهة ترك الحق كما يقول القائل كفرتني حق ونعمتي يريد ضيعت حق وضيعت
شكر نعمتي قالوا ولنا في هذا فتوة بمن روى عنهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين
اذ جعلوا للكفر فروعا دون أصله لا ينقل صاحبه عن ملة الاسلام كما أثبتوا الايمان من جهة العمل فروعا
للأصل لا ينقل تركه عن ملة الاسلام من ذلك قول ابن عباس في قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك
هم الكافرون) فل محمد بن نصر حدثنا يحيى حدثنا سفيان بن عيينة عن هشام يعني ابن حجير عن طاوس
عن ابن عباس (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ليس بالكفر الذي يذهبون اليه حدثنا
محمد بن يحيى ومحمد بن رافع حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال سئل ابن عباس
عن قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قال هي به كفر قل ابن طاوس وليس كمن
كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله حدثنا اسحاق أنبأنا وكيع عن سفيان عن معمر عن ابن طاوس عن
أبيه عن ابن عباس قال هو به كفر وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله وبه أنبأنا وكيع عن
سفيان عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال قلت لابن عباس ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر قال
هو به كفر وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر وملائكته وكتبه ورسله حدثنا محمد بن يحيى حدثنا عبد
الرزاق عن سفيان عن رجل عن طاوس عن ابن عباس قال كفر لا ينقل عن الملة حدثنا اسحاق أنبأنا
وكيع عن سفيان عن سعيد المديني عن طاوس قال ليس بكفر ينقل عن الملة حدثنا اسحاق أنبأنا وكيع
عن ابن جريج عن عطاء قال كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق قال محمد بن نصر قالوا
وقد صدق عطاء قد يسمى الكافر ظالماً ويسمى العاصي من المسلمين ظالماً فظلم ينقل عن ملة الاسلام وظلم
لا ينقل قال الله تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) وقال (ان الشرك لظلم عظيم) وذكر حديث
ابن مسعود المتفق عليه قال لما نزلت (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم وقالوا أينما لم يظلم نفسه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بذلك ألم تسمعون الي قول العبد
الصالح ان الشرك لظلم عظيم انما هو الشرك حدثنا محمد بن يحيى حدثنا الحجاج بن المنهول عن حماد بن سلمة
عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس ان عمر بن الخطاب كان اذا دخل بيته نشر
المصحف فقرأ فدخله ذات يوم فقراً فأتى على هذه الآية (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) الى آخر
الآية فاتعجل وأخذ رداءه ثم أتى أبي بن كعب فقال يا أبا المنذر آيت قبل على هذه الآية (الذين آمنوا ولم
يلبسوا ايمانهم بظلم) وقد تري انا نظم ونفعل فقال يا أمير المؤمنين ان هذا ليس بذلك يقول الله (ان الشرك
لظلم عظيم) انما ذلك الشرك قل محمد بن نصر وكذلك الفسق فسقان فسق ينقل عن الملة فيسمى الكافر

فاسقاً والفاسق من المسلمين فاسقاً ذكر الله ابليس فقال (فسق عن أمره) وكان ذلك الفسق منه كفراً
وقال الله تعالى (وأما الذين فسقوا فإوأهم النار) يريد الكفار دل على ذلك قوله (كلما أرادوا أن يخرجوا
منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) وسعي الناسق من المسلمين فاسقاً ولم
يخرجه من الاسلام قال الله تعالى (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة
ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون) وقال تعالى (فن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا
جدال في الحج) فقالت العلماء في تفسير الفسوق هاهنا هي المعاصي قالوا فلما كان الظلم ظالمين والفسق
فسقين كذلك الكفر كفران أحدهما ينقل عن الملة والآخر لا ينقل عن الملة وكذلك الشرك شركان
شرك في التوحيد ينقل عن الملة وشرك في العمل لا ينقل عن الملة وهو الريا قال الله تعالى (فن كان يرجو
إقراء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) يريد بذلك المراءاة بالاعمال الصالحة وقال النبي
صلى الله عليه وسلم الطيرة شرك قال محمد بن نصر فهذان مذهبان هما في الجملة محكيان عن أحمد بن حنبل
في موافقيه من أصحاب الحديث حكى الشاذلي إمام عيل بن سعيد انه سأل أحمد بن حنبل عن المصر
على الكبائر يطلبه بجهد الا انه لم يترك الصلاة والزكاة والصيام هل يكون مصرأ من كانت هذه حاله قال
هو مصر مثل قوله لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن يخرج من الايمان ويقع في الاسلام ومن نحو
قوله لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ومن نحو قول ابن عباس
في قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) فقل له ما هذا الكفر فقال كفر لا ينقل عن
الملة مثل الايمان بعضه دون بعض وكذلك الكفر حتى يجيء من ذلك أمر لا يختلف فيه وقال ابن أبي
شيبه لا يزني حين يزني وهو مؤمن لا يكون مستكمل الايمان يكون ناقصاً من ايمانه قل وسألت أحمد بن
حنبل عن الاسلام والايمان فقال الايمان قول وعمل والاسلام اقرار قلوبيه قال أبو خيثمة لا يكون الاسلام
الا بايمان ولا ايمان الا باسلام قال وقد تقدم تمام الكلام بتلازمهما وان كان مسمى أحدهما ليس هو مسمى
الآخر وقد حكى غير واحد اجماع أهل السنة والحديث على ان الايمان قول وعمل قال أبو عمر بن عبد البر
في التمهيد أجمع أهل النعم والحديث على ان الايمان قول وعمل ولا عمل الابنية والايمان عندهم يزيد بالطاعة
وينقص بالمعصية والطاعات كلها عندهم ايمان الا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه فانهم ذهبوا الى ان الطاعات
لا تسمى ايماناً قالوا انما الايمان التصديق والاقرار ومنهم من زار المعرفة وذكر ما احتجوا به الى ان قل
وأما سائر المقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام ومصر منهم مالك بن أنس والليث بن
سعد وسفيان الثوري والاوزاعي والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد القاسم بن
سلام وداود بن علي والطبري ومن سلك سبيلهم فقلوا الايمان قول وعمل قول باللسان وهو الاقرار
والاعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح مع الاخلاص بالنية الصادقة قالوا وكل ما يطع الله عز وجل به من
فريضة ونافلة فهو من الايمان والايمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير
مستكملي الايمان من أجل ذنوبهم وانما صاروا ناقصي الايمان بارتكابهم الكبائر ألا ترى الى قول النبي

صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن الحديث يريد مستكمل الايمان ولم يرد به نفي
 جميع الايمان عن فاعله ذلك بدليل الاجماع على توريث الزاني والسارق وشارب الخمر اذا صلوا الى القبلة
 واتحلوا دعوة الاسلام من قرباتهم المؤمنين الذين ليسوا بتلك الاحوال واحتج على ذلك ثم قلوا كثير
 اصحاب مالك على ان الايمان والاسلام شيء واحد .. قل وأما المعتزلة فالايان عندهم جماع الطاعات
 ومن قصر منها عن شيء فهو فاسق لا مؤمن ولا كافر وهؤلاء المنتهقون بالاعتزال اصحاب المنزلة بين
 المنزلين الى ان قال على ان الايمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية جماعة أهل الآثام والفقهاء
 أهل الفتيا في الامصار وروي ابن القاسم عن مالك ان الايمان يزيد وتوقف في نقصانه وروي عنه
 عبد الرزاق ومعن بن عيسى وابن نافع انه يزيد وينقص وعلى هذا مذهب الجماعة من أهل الحديث
 والحمد لله ثم ذكر حجج المرجئة ثم حجج أهل السنة ورد على الخوارج التكفير بالحدود المذكورة
 للمعصاة في الزنا والسرقة ونحو ذلك وبالموارثة وبحديث عبادة من أصاب شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو
 كفارة وقال الايمان مراتب بعضها فوق بعض فليس ناقص الايمان ككامل الايمان قل الله تعالى (انما
 المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجات فمروهم) أى حقاً ولذلك قالهم المؤمنون حقاً وكذلك قوله صلى الله
 عليه وسلم المؤمن من أمنه الناس والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده معنى حقاً ومن هذا قوله أكمل
 المؤمنين .. ومعلوم ان هذا لا يكون أكمل حتى يكون غيره أنقص وقوله أوثق عري الايمان الحب
 في الله والبغض في الله وقوله لا ايمان لمن لا أمانة له يدل على ان بعض الايمان أوثق وأكمل من بعض
 وذكر الحديث الذي رواه الترمذي وغيره من أحب لله وأبغض لله الحديث وكذلك ذكر أبو عمر
 الطاهنكي اجماع أهل السنة على ان الايمان قول وعمل ونية واصابة السنة .. وقال أبو طاب المسكي
 مبانى الخمسة يعنى الشهادتين والصوات الخمس والزكاة وصيام شهر رمضان والحج قال وأركان الايمان
 سبعة يعنى الخمسة المذكورة في حديث جبرائيل ولايمان بالقدر والايمان بالجنة والنار وكلاهما قد رويت
 في حديث جبرائيل كما سندكره ان شاء الله تعالى . قال والايمان بأسماء الله تعالى وصفاته والايمان بكتب
 الله وأبيته والايمان بالملائكة والشیاطين يعنى والله أعلم الايمان بالفرق بينهما فان من الناس من يجعلهما
 جنساً واحداً لكن تختلف باختلاف الاعمال كما يختلف الانسان البر والفاجر والايمان بالجنة والنار وانهما
 قد خالقت قبل آدم والايمان بالبعث بعد الموت والايمان بجميع أقدار الله خيرها وشرها وحلوها ومرها
 انها من الله قضاء وقدرأ ومشیئة وحكما وان ذلك عدل منه وحكمة بالغة استأثر به علم غيبها ومعنى حقائقها
 .. قال وقد قال قائلون ان الايمان هو الاسلام وهذا قد أذهب النفاوت والمقامات وهذا يقرب من
 مذهب المرجئة . وقال آخرون ان الاسلام غير الايمان وهؤلاء قد أدخلوا التضاد والتغاير وهذا قريب
 من قول الاباضية فهذه مسألة مشككة نحتاج الى شرح وتفصيل فمثل الاسلام من الايمان كمثل الشهادتين
 إحداها من الأخرى في المعنى والحكم فشهادة الرسول غير شهادة الوحدانية فهما شيان في الاعيان
 وإحداها مرتبطة بالأخرى في المعنى والحكم كشيء واحد كذلك الايمان والاسلام أحدهما مرتبط

بالآخر فهما كشيء واحد لا ايمان لمن لا اسلام له ولا اسلام لمن لا ايمان له اذ لا يخلو المسلم من ايمان به يصح اسلامه ولا يخلو المؤمن من اسلام به يحقق ايمانه من حيث اشترط الله للاعمال الصالحة الايمان واشترط للايمان الاعمال الصالحة فقال في تحقيق ذلك (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه) وقال في تحقيق الايمان بالعمل (ومن يأنه مؤمناً فقد عمل الصالحات فأولئك هم الدرجات العلى) فمن كان ظاهره اعمال الاسلام ولا يرجع الى عقود الايمان بالغيب فهو منافق فقاينقل عن الملة ومن كان عقده الايمان بالغيب ولا يعمل بأحكام الايمان وشرائع الاسلام فهو كافر كفوراً لا يثبت معه توحيد ومن كان مؤمناً بالغيب مما أخبر به الرسل عن الله عاملاً بما أمر الله فهو مؤمن مسلم ولولا أنه كذلك لكان المؤمن يجوز أن لا يسمى مسلماً ولجاز أن المسلم لا يسمى مؤمناً بالله . . . وقد أجمع أهل القبلة على أن كل مؤمن مسلم وكل مسلم مؤمن بالله وملائكته وكتبه قال ومثل الايمان في الاعمال كمثل القلب في الجسم لا ينفك أحدهما عن الآخر لا يكون ذو جسم حي لا قلب له ولا ذو قلب بغير جسم فهما شيان منفردان وهما في الحكم والمعنى منفصلان ومثلها أيضاً مثل حبة لها ظاهر وباطن وهي واحدة لا يقل حبتان لثفاوت صفتيهما فكذلك أعمال الاسلام من الاسلام هو ظاهر الايمان وهو من أعمال الجوارح والايمان باطن الاسلام وهو من أعمال القلوب . . . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الاسلام علانية والايمان في القلب وفي لفظ الايمان سر فالاسلام أعمال الايمان والايمان عقود الاسلام فلا ايمان الا بعمل ولا عمل الا بعقد . . . ومثل ذلك مثل العلم الظاهر والباطن أحدهما مرتبط بصاحبه من أعمال القلوب وعمل الجوارح . . . ومثله قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات أي لا عمل الا بعقد وقصد لان انما تحقيق للشيء ونفى لما سواه فثبت بذلك عمل الجوارح من المعاملات وعمل القلوب من النيات فمثل العمل من الايمان كمثل الشفتين من اللسان لا يصح الكلام الا بهما لأن الشفتين تجمع الحروف واللسان يظهر الكلام وفي سقوط أحدهما بطلان الكلام وكذلك في سقوط العمل ذهاب الايمان ولذلك حين عدد الله نعمه على الانسان بالكلام ذكر الشفتين مع اللسان في قوله (ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين) بمعنى ألم نجعله ناظراً متكلماً فعبر عن الكلام باللسان والشفتين لأن الكلام الذي جرت به النعمة لا يتم الا بهما ومثل الايمان والاسلام أيضاً كفسطاط قائم في الارض له ظاهر وأطناب وله عمود في باطنه فالفسطاط مثل الاسلام له أركان من أعمال العلانية والجوارح وهي الاطناب التي تمسك أرجاء الفسطاط والعمود الذي في وسط الفسطاط مثله كالايان لا قوام للفسطاط الا به فقد احتاج الفسطاط اليها اذ لا قوام له ولا قوة الا بهما كذلك الاسلام في أعمال الجوارح لا قوام له الا بالايمان والايمان من أعمال القلوب لا نفع له الا بالاسلام وهو صالح الاعمال وأيضاً فان الله قد جعل ضد الاسلام والايمان واحداً فلولاً انهما كشيء واحد في الحكم والمعنى ما كان ضدهما واحداً فقال (كيف يهدى الله قوماً كفروا بعد ايمانهم) وقال (أيا مكرم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) فجعل ضدهما الكفر . . . قال وعلى مثل هذا أخبر الرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام من

صنف واحد فقل في حديث ابن عمر بنى الاسلام على خمس وقال في حديث ابن عباس عن وفد عبد القيس أنهم سألوه عن الايمان فذكر هذه الاوصاف فدل بذلك على انه لا ايمان باطن الا باسلام ظاهر ولا اسلام ظاهر علانية الا بايمان سر وان الايمان والعمل قرينان لا ينفع أحدهما بدون صاحبه . . قال فأما تفرقة النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبرائيل بين الايمان والاسلام فان ذلك تفصيل أعمال القلوب وعقودها على ما توجب هذه المعاني التي وصفناها أن تكون عقوداً من تفصيل أعمال الجوارح مما يوجب الافعال الظاهرة التي وصفها أن تكون علانية لا ان ذلك يفرق بين الاسلام والايمان في المعنى باختلاف واتضاد ليس فيه دليل انهما مختلفان في الحكم قال ويحتمل ان في عبد واحد مسلم مؤمن فيكون ما ذكره من عقود القلب وصف قلبه وما ذكره من العلانية وصف جسمه قال وأيضاً فان الأمة مجتمعة ان العبد لو آمن بجميع ما ذكره من عقود القلب في حديث جبرائيل من وصف الايمان ولم يعمل بما ذكره من وصف الاسلام انه لا يسمى مؤمناً وانه ان عمل بجميع ما وصف به الاسلام ثم لم يعتقد ما وصفه من الايمان انه لا يكون مسلماً وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الأمة لا تجتمع على ضلالة . . قلت كأنه أراد بذلك اجماع الصحابة ومن اتبعهم أو انه لا يسمى مؤمناً في الأحكام وانه لا يكون مسلماً اذا أنكر بعض هذه الأركان أو علم ان الرسول أخبر بها ولم يصدقه أو انه لم ير خلاف أهل الأهواء خلافاً وإلا فأبو طالب كان عارفاً بأقوالهم وهذا والله أعلم مراده فانه عقد الفصل الثالث والثلاثين في بيان تفصيل الاسلام والايمان وشرح عقود معاملة القلب من مذهب أهل الجماعة وهذا الذي قاله أجرد مما قاله كثير من الناس لكن ينازع في شيئين أحدهما ان المسلم المستحق للثواب لا بد أن يكون معه الايمان الواجب المفصل المذكور في حديث جبرائيل والثاني ان النبي صلى الله عليه وسلم انما يطلق المؤمن دون مسلم في مثل قوله النبي صلى الله عليه وسلم أو مسلم لكونه ليس من خواص المؤمنين وأفاضلهم كأنه يقول لكونه ليس من السابقين المقربين بل من المقتصدین الأبرار فهذان مما تنازع فيهما جمهور العلماء ويقولون لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الرجل أو مسلم لكونه لم يكن من خواص المؤمنين وأفاضلهم كالسابقين المقربين فان هذا لو كان كذلك لكان ينفي الايمان المطلق عن الأبرار المقتصدین المنقین الموعودين بالجنة بلا عذاب اذا كانوا من أصحاب اليمين ولم يكونوا من السابقين والمقربين وليس الأمر كذلك بل كل من أصحاح اليمين مع السابقين المقربين كلهم مؤمنون موعودون بالجنة بلا عذاب وكل من كان كذلك فهو باتفاق المسلمين من أهل السنة وأهل البدع ولو جاز أن ينفي الايمان عن شخص لكون غيره أفضل منه إيماناً نفي الايمان عن أكثر أولياء الله المتقين بل وعن كثير من الأنبياء وهذا في غاية الفساد وهذا من جنس قول من يقول نفي الاسم لنفي كماله المستحب وقد ذكرنا ان مثل هذا لا يوجد في كلام الله ورسوله بل هذا الحديث خمس من قبل فيه مسلم وليس بمؤمن فلا بد أن يكون ناقصاً عن درجة الأبرار المقتصدین أهل الجنة ويكون إيمانه ناقصاً عن ايمان هؤلاء فلا يكون قد أتى بالايمان الذي أمر به هؤلاء كله ثم ان كان قادراً على ذلك الايمان وترك الواجب

كان مستحقاً للذم وان قدر انه لا يقدر على ذلك الايمان الذي انصف به هؤلاء كان عاجزاً عن مثل
ايمانهم ولا يكون هذا وجب عليه فهو وان دخل الجنة لا يكون كن قدر انه آمن ايماناً مجملًا ومات قبل
أن يعلم تفصيل الايمان وقبل أن يتحقق به ويعمل بشئ منه فهو يدخل الجنة لكن لا يكون مثل أولئك
لكن قد يقال الأبرار أهل التبيين هم أيضاً على درجات كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير وقد قال الله تعالى
(لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر الآية) فدرجة المؤمن القوى في الجنة أعلى وان
كان كل منهما كمال ما وجب عليه وقد يريد أبو طالب وغيره بقولهم ليس هذا من خواص المؤمنين
هذا المعنى أى ليس ايمانه كإيمان من حقق خاصة الايمان سواء كان من الأبرار أو من المقربين وان لم
يكن ترك واجباً لمعجزه عنه أو لكونه لم يؤمر به فلا يكون مذموماً ولا يمدح مدح أولئك ولا يلزم أن
يكون من أولئك المقربين فيقال وهذا أيضاً لا يبنى عنه الايمان فيقال هو مسلم لا مؤمن كما يقال ليس
بإمام ولا مفت ولا من أهل الاجتهاد وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً
ما بلغ مداهم ولا نصيفه وهذا كثير فليس كلما فضل به الفاضل يكون مقدوراً لمن دونه فكذلك
من حقائق الايمان ما لا يقدر عليه كثير من الناس بل ولا أكثرهم فهو لاه يدخلون الجنة وان لم يكونوا
من تحققوا بحقائق الايمان التي فضل الله بها غيرهم ولا تركوا واجباً عليهم وان كان واجباً على غيرهم
ولهذا كان من الايمان ما هو من المواهب والفضل من الله فانه من جنس العلم والاسلام الظاهر من جنس
العمل وقد قال تعالى (والذين اهتموا بايمانهم زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقال (ويزيد الله الذين اهتموا
هدى) وقال (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم) ومثل هذه السكينة
قد لا تكون مقدورة ولكن الله يجعل ذلك في قلبه فضلاً منه وجزاء على عمل سابق كما قال (ولو أنهم
فعلوا ما يوعدون به لكان خيراً لهم وأشد ثباتاً وإذاً لا يتناهم من لدنا أجراً عظيماً ولهديتناهم صراطاً
مستقيماً) كما قال (اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به)
وكما قال (أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه) ولهذا قيل من عمل بما علم ورثه الله علم
مالم يعلم وهذا الجنس غير مقدور للعباد وان كان ما يقدرون عليه من الأعمال الظاهرة والباطنة هو أيضاً
بفضل الله وإعانتة وإقداره لهم لكن الأمور قسمان منه ما جنسه مقدور لهم بإعانة الله لهم كالقيام والقعود
ومنه ما جنسه غير مقدور لهم اذا قيل ان الله يعطي من أطاعه قوة في قلبه وبدنه يكون بها قادراً على
ما لا يقدر عليه غيره فهذا أيضاً حق وهو من جنس هذا المعنى قال تعالى (إذ يوحى ربك الى الملائكة في
معكم فثبتوا الذين آمنوا) وقد قال (اذا لقيتم فئة فاثبتوا) فأمرهم بالثبات وهذا الثبات يوحى الى الملائكة
انهم يفعلونه بالمؤمنين . . والمقصود انه قد يكون من الايمان ما يؤمر به بعض الناس ويذم على تركه ولا
يذم عليه بعض الناس ممن لا يقدر عليه ويفضل الله ذاك بهذا الايمان وان لم يكن المفصول ترك واجباً
فيقال وكذلك في الأعمال الظاهرة يؤمر القادر على الفعل بما لا يؤمر به العاجز عنه ويؤمر بعض الناس

بما لا يؤمر به غيره لكن الاعمال الظاهرة قد يعطى الانسان مثل اجر العامل اذا كان يؤمن بها ويريد بها جهده ولكن بدنه عاجز كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ان بالمدينة لرجالا ماسرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم قالوا وهم بالمدينة قل وهم بالمدينة حبسهم العذر وكما قال تعالى (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وانفسهم على القاعدین درجة) فاستثنى اولى الضرر وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من دعا الى هدي كان له من الاجر مثل اجور من اتبعه من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الوزر مثل اوزار من اتبعه من غير ان ينقص من اوزارهم شيئا ٥٥ وفي حديث أبي كبشة الانباري ما في الاجر سواء وهما في اوزر سواء رواه الترمذي وصححه ولفظه انما الدنيا لاربعة رجل آتاه الله علما ومالا فهو يتقى في ذلك المال ربه ويصل فيه رحمه ويعلم الله فيه حقاً فهذا بأفضل المنازل وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علماً يخبط في ماله بغير علم لا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم الله فيه حقاً فهذا بأخبث المنازل وعبد لم يرزقه الله مالا وعلماً فهو يقول لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء ولهظ ابن ماجه مثله هذه الامة كمثل اربعة نفر رجل آتاه الله مالا وعلماً فهو يعمل بعلمه في ماله ينفقه في حقه ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالا فهو يقول لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهما في الاجر سواء ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علماً وهو يقول لو كان لي مثل هذا عملت مثل الذي يعمل فهما في الوزر سواء كالشخصين اذا تماثلا في ايمان انقلوب معرفته وتصديقاً وحباً وقوة وحالا ومقاما فتدبته ثلاث وان كان لاحدهما من اعمال البدن ما يعجز عنه بدن الآخر كما جاء في الاثر ان المؤمن قوته في قلبه وضعفه في جسمه والمنافق قوته في جسمه وضعفه في قلبه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ليس الشديد ذو الصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقد قال رأيت كافي أنزع على قلب فأخذها ابن أبي قحافة فززع ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يفر له فأخذها ابن الخطاب فاستحلت في يده غرباً فلم أر عبقرى يفرى فربه حتى صدر الناس يعطون فذكر ان أبا بكر أضعف وسواء أراد قصر مدته أو أراد ضعفه عن مثل قوة عمر فلا ريب ان أبا بكر أقوى ايمانا من عمر وعمر أقوى عملا منه كما قال ابن مسعود ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر وقوة الايمان أقوى وأكمل من قوة العمل وصاحب الايمان يكتب له أجر عمل غيره وما فعله عمر في سيرته مكتوب مثله لابي بكر فانه هو الذي استخلفه وفي المسند من وجهين عن النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم وزن بالامة فرجح ثم وزن أبو بكر بالامة فرجح ثم وزن عمر بالامة فرجح وكان في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد موته يحصل امر بسبب أبي بكر من الايمان والعلم ما لم يكن عنده فهو قد

دعاه إلى مافعله من خير وإعانه عليه بجهده والممين على الفعل إذا كان يريد إرادة جازمة كان كفاعله كما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من جهز غازيا فقد غزا ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا وقال من دل على خير فله مثل أجر فاعله وقال من فطر صائما فله مثل أجره وقد روى في الترمذي من عزي مصابا فله مثل أجره وهذا وغيره مما يبين أن الشخصين قد يتماثلان في الأعمال الظاهرة بل يتفاضلان ويكون المفضل فيها أفضل عند الله من الآخر لانه أفضل في الإيمان الذي في القلب وأما إذا تفاضلا في إيمان القلوب فلا يكون المفضل فيها أفضل عند الله البتة وإن كان المفضل لم يهبه الله من الإيمان ما يهبه للفاضل ولا أعطى قلبه من الأسباب التي بها يشل ذلك الإيمان الفاضل ما أعطى المفضل ولهذا فضل الله بعض النبيين على بعض وإن كان الفاضل أقل عملا بالبدن كما فضل الله نبينا صلى الله عليه وسلم ومدة نبوته بضع وعشرون سنة على نوح وقد لبث في قومه ألف سنة الا خمسين عاما وفضل أمة محمد وقد عملوا من صلاة العصر إلى المغرب على من عمل من أول النهار إلى صلاة الظهر وعلى من عمل من صلاة الظهر إلى صلاة العصر فأعطى الله أمة محمد أجرين وأعطي كلاما أولئك أجرأ أجر لأن الإيمان الذي في قلوبهم كان أكمل وأفضل وكان أولئك أكثر عملا وهؤلاء أعظم أجرا وهو فضله يؤتيه من يشاء بالأسباب التي تفضل بها عليهم وخصم بها وهكذا سائر من يفضله الله تعالى فانه يفضله بالأسباب التي يستحق بها التفضيل بالجزاء كما يخص أحد الشخصين بقوة ينال بها العلم وبقوة ينال بها اليقين والصبر والتوكل والاخلاص وغير ذلك مما يفضله الله به وإنما فضله في الجزاء بما فضل به من الإيمان كما قال تعالى (وقلت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل ان الهدي هدي الله أن يؤتي أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله) وقال في الآية لاخرى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وقال (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) وقال (يعفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) وقد بين في مواضع أسباب المغفرة وأسباب العذاب وكذلك برزق من يشاء بغير حساب وقد عرف انه قد يخص من يشاء بأسباب الرزق وإذا كان من الإيمان ما يعجز عنه كثير من الناس ويختص الله به من يشاء فذلك ما يفضله الله به وذلك الإيمان ينفي عن غيرهم لكن لا على وجه الذم بل على وجه التفضيل فان الذم إنما يكون على ترك مأمور أو فعل محظور لكن على ما ذكره أبو طالب بقوله فذل هؤلاء مسلمون لا مؤمنون باعتبار ويقال أنهم مؤمنون باعتبار آخر وعلى هذا ينفي الإيمان عن فاته الكمال المستحب بل الكمال الذي يفضله به على من فاته وإن كان غير مقدور للعباد بل ينفي عنه الكمال الذي وجب على غيره وإن لم يكن في حقه لا واجبا ولا مستحبا لكن هذا لا يعرف في كلام الشارع ولم يعرف في كلامه إلا ان نفي الإيمان يقتضي الذم حيث كان فلا ينفي الا عن له ذنب فتبين ان قوله أو مسلم توفف في أداء الواجبات الباطنة والظاهرة كما قل جاهر الناس ثم طائفة يقولون قد يكون منافقا ليس معه شيء من الإيمان وهم الذين يقولون الاصراب المسذكورون منافقون ليس معهم من الإيمان شيء وهذا هو القول الذي نصره طائفة

كحمد بن نصر والا كثرون يقولون بل هؤلاء لم يكونوا من المنافقين الذين لا يقبل منهم شيء من
 أعمالهم وان كان فيهم شعبة نفاق بل كان معهم تصديق يقبل معه منهم ما عملوه لله ولهذا جعلهم مسلمين
 ولهذا قال (ان هذا كمال الايمان ان كنتم صادقين) كما قلوا مثل ذلك في لزاني والسارق وغيرهما من انفي عنه
 الايمان مع ان معه التصديق وهذا أصح الاقوال الثلاثة فيهم وأبو طالب جعل من كان مذموماً ولترك واجب
 من المؤلفة قلوبهم الذين لم يعطوا شيئاً وجعل ذلك الشخص مؤمناً غيره أفضل منه وأما الا كثرون
 فيقولون اثبات الاسلام لهم دون الايمان كاثباته لذلك الشخص كان مسلماً لا مؤمناً كلاهما مذموم لا مجرد
 ان غيره أفضل منه وقد قل النبي صلى الله عليه وسلم أكد المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً ولم يسلب من
 دونه الايمان وقال تعالى (لا يستوى منكم من اتقى من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين
 أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) فثبت الايمان للفاضل والمفضول وهذا متفق عليه بين المسلمين
 وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله اجران وان اجتهد فأخطأ فله اجر وقال
 لسعد بن معاذ لما حكم في بني قريظة لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة وكان يقول لمن
 يرسله في جيش أو سرية اذا حاصرت أهل حصن فأسألك ان تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله
 فانك لا تدري ما حكم الله فيهم ولكن أنزلهم على حكمك وحكم أصحابك وهذه الاحاديث الثلاثة في الصحيح
 وفي حديث سليمان عليه السلام أسألك حكماً يوافق حكمك فهذه النصوص وغيرها تدل على ما تفق عليه
 المجتهدون والتابعون لهم باحسان ان أحد الشخصين قد بخصه الله بالجهاد يحصل له به من العلم ما يعجز
 عنه غيره فيكون له اجران وذلك الآخر عاجز له اجر ولائهم عليه وذلك العلم الذي خص به هذا والعمل
 به باطناً وظاهراً زيادة في ايمانه وهو ايمان يجب عليه لانه قادر عليه وغيره عاجز عنه فلا يجب فهذا قد
 قيل بايمان واجب عليه وليس بواجب على من عجز عنه وهذا حال جميع الامة فيما تنازع فيه من المسائل
 الخيرية والعملية اذا خص أحدهما بمعرفة الحق في نفس الامر مع اجتهد الآخر وعجزه كلاهما محمود
 مثاب مؤمن وذلك خصه الله من الايمان الذي وجب عليه بما فضله به على هذا رذالك المخطيء لا يستحق
 ذم ولا عقاب وان كان ذلك لو فعل ما فعل ذم وعوقب كما خص الله أمة نبينا بشريعة فضلاها به ولو تركنا
 بما أمرنا به فيها شيئاً لكان ذلك سبباً للذم والعقاب والانبياء قبلة لا يذمون بترك ذلك لكن محمد صلى
 الله عليه وسلم فضله الله على الانبياء وفضل أمته على الامم من غير ذم لاحد من الانبياء ولا لمن اتبعهم
 من الامة وأيضاً فاذا كان الانسان لا يجب عليه من الايمان الا ما يقدر عليه وهو اذا فعل ذلك كان مستحقاً
 لما وعد الله به من الجنة فلو كان مثل هذا يسمى مسلماً ولا يسمى مؤمناً لوجب ان يكون من أهل الوعد
 بالجنة من يسمي مسلماً لا مؤمناً كالأعراب وكل شخص الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم أو مسلم
 وكسائر من انفي عنه الايمان مع انه مسلم كالزاني والشارب والسارق ومن لا يأمن جاره بوائقه ومن لا يجب
 لآخيه من الخير ما يحب نفسه وغير هؤلاء وليس الامر كذلك فان الله لم يعاقب وعد الجنة الا باسم الايمان
 لم يعاقبه باسم الاسلام مع ايجاب الاسلام واخباره انه دينه الذي ارتضاه وانه لا يقبل ديناً غيره ومع هذا فما

قال ان الجنة أعدت للمسلمين ولا قال وعد الله المسلمين بالجنة بل انما ذكر ذلك باسم الايمان كقوله (وعد الله المؤمنين والمؤمنات والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار) فهو يعلقها باسم الايمان المطلق أو المقيد بالعمل الصالح كقوله (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار) وقوله (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) وقوله (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وقوله (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله) وقوله (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطاً مستقيماً) وقوله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سيدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلاً ظليلاً) وفي الآية الاخرى (ومن أصدق من الله قيلاً) وقال (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين) وقال (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم) وقال (فمن آمن وأصاح فلا خرف عليهم ولا هم يحزنون) وقال (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفساً الا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) فالوعد بالجنة والرحمة في الآخرة وبالسلمة من العذاب علق باسم الايمان المطلق والمقيد بالعمل الصالح ونحو ذلك وهذا كما تقدم ان المطلق يدخل فيه فعل ما أمر الله به ورسوله ولم يعلق باسم الاسلام فلو كان من أتى من الايمان بما يقدر عليه وعجز عن معرفة تفاصيله قد يسمى مسلماً لا مؤمناً لكان من أهل الجنة وكانت الجنة يستحقها من يسمى مسلماً وان لم يسمى مؤمناً وليس الامر كذلك بل الجنة لم تعلق الا باسم الايمان .. وهذا أيضاً مما استدل به من قال انه ليس كل مسلم من المؤمنين الموعودين بالجنة اذ لو كان كذلك لكان وعد الجنة معلقاً باسم الاسلام كما علق باسم الايمان وكما علق باسم التقوى واسم البر في مثل قوله (ان المتقين في جنات ونهر) وقوله (ان الابرار افي نعيم) وباسم أولياء الله كقوله (ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشري في الحياة لدنيا وفي الآخرة لا تبدل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) فلما لم يجر اسم الاسلام هذا الجري علم ان مسماه ليس ملازماً لمسمى الايمان كما يلزمه اسم البر والتقوى وأولياء الله وان اسم الاسلام يتناول من هو من أهل الوعيد وان كان الله يبييه على طاعته مثل ان يكون في قلبه ايمان ونفاق يستحق به العذاب فهذا يعاقبه الله ولا يخلده في النار لان في قلبه مثقال ذرة او أكثر من مثقال ذرة من ايمان .. وهكذا سائر أهل الكبرائر ايمانهم ناقص واذا كان في قلب أحدهم شعبة نفاق عوقب بها اذا لم يدف الله عنه ولم يخلد في النار فهو لاه مسلمون وليسوا مؤمنين ومهم ايمان لكن معهم أيضاً ما يخالف الايمان من النفاق فلم تكن تسميتهم مؤمنين بأولي من تسميتهم منافقين لا سيما ان كانوا للكفر أقرب منهم للايمان وهؤلاء يدخلون في اسم الايمان في أحكام الدنيا كما يدخل المنافق المحض وأولي لان هؤلاء معهم ايمان ويدخلون في خطاب الله بيا أيها الذين آمنوا لان

ذلك أمر لهم بما ينفعهم ونهي لهم عما يضرهم وهم محتاجون الى ذلك ثم الايمان الذي معهم ان اقتضى شمول لفظ الخطاب لهم فلا كلام والا فليس بأسوا حلالا من المنافق المحض وذلك المنافق يخاطب بهذه الاعمال وتنفعه في الدنيا ويحشر بها مع المؤمنين يوم القيامة ويتميز بها عن سائر الملل يوم القيامة كما يتميز عنهم بها في الدنيا لكن وقت الحقيقة يضرب بينهم بسورله باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور قال يوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأويكم النار هي مولاكم وبئس المصير وقد قال تعالى (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يوثني الله المؤمنين أجرا عظيما) فاذا عمل العبد صالحا لله فهذا هو الاسلام الذي هو دين الله ويكون معه من الايمان ما يحشر به مع المؤمنين يوم القيامة ثم ان كان معه من الذنوب ما يعذب به عذب واخرج من النار اذا كان في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان وان كان معه نفاق ولهذا قال تعالى في هؤلاء (فأولئك مع المؤمنين وسوف يوثني الله المؤمنين أجرا عظيما) فلم يقل انهم مؤمنون بمجرد هذا اذ لم يذكر الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله بلى هم معهم وانما ذكر العمل الصالح واخلاصه لله وقال ف أولئك مع المؤمنين فيكون لهم حكمهم . . . وقد بين تفاضل المؤمنين في مواضع آخره وانني بالايان الواجب استحق الثواب ومن كان فيه شعبة نفاق وانني بالكبائر فذاك من أهل الوعيد وايمانه ينفعه الله به ويخرجه به من النار ولو انه مثقل حبة خردل لكن لا يستحق به الاسم المطلق المعلق به وعد الجنة بلا عذاب وتتام هذا ان الناس قد يكون فيهم من معه شعبة من شعب الايمان وشعبة من شعب الكفر أو النفاق ويسمى مسلماً كما نص عليه أحمد . . . وتتام هذا ان الانسان قد يكون فيه شعبة من شعب الايمان وشعبة من شعب النفاق وقد يكون مسلماً وفيه كفر دون الكفر الذي ينقل عن الاسلام بالكلية كما قال الصحابة ابن عباس وغيره كفروا دون كفر وهذا قول عامة السلف وهو الذي نص عليه أحمد وغيره ممن قال في السارق والشارب ونحوهم ممن قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم انه ليس بمؤمن انه يقال لهم مسلمون لا مؤمنون واستدلوا بالقرآن والسنة على نفي اسم الايمان مع اثبات اسم الاسلام وبأن الرجل قد يكون مسلماً ومعه كفر لا ينقل عن الملة بل كفر دون كفر كما قال ابن عباس وأصحابه في قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قالوا كفر لا ينقل عن الملة وكفر دون كفر وفسق دون فسق وظلم دون ظلم . وهذا أيضاً مما استشهد به البخاري في صحيحه فان كتاب الايمان الذي افتتح به الصحيح قرر مذهب أهل السنة والجماعة وضمنه الرد على المرجئة فانه كان من القائمين بنصر السنة والجماعة مذهب الصحابة والتابعين لهم باحسان . وقد اتفق العلماء على ان اسم المسلمين في الظاهر يجري على المنافقين لأنهم استسلموا ظاهراً وأتوا بما أتوا به من الاعمال الظاهرة بالصلاة الظاهرة ولزكاة الظاهرة والحج الظاهر والجهاد الظاهر كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يجري عليهم أحكام الاسلام الظاهر واتفقوا على أنه من لم يكن معه شيء من الايمان فهو كما قال الله تعالى (ان

المنافقين في الدرك الاسفل من النار) وفيها قراءتان درك ودرك قال أبو الحسين بن فارس الجنة درجات والنار دركات قال الضحك الدرج اذا كان بعضها فوق بعض والدرك اذا كان بعضها أسفل من بعض فصار المظهرون للإسلام بعضهم في أعلى درجة في الجنة وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قل في الحديث الصحيح اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم سلوا الله الوسيلة فانها درجة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد فمن سأل الله لى الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة وقوله صلى الله عليه وسلم وأرجو أن أكون مثل قوله انى لارجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بمحدوده ولا ريب انه أخشي الأمة لله وأعلمهم بمحدوده وكذلك قوله اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة ان شاء الله من مات لا يترك بالله شيئاً وقوله انى لارجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وأمثال هذه النصوص وكان يستدل به أحمد وغيره على الاستثناء في الايمان كما يذكره في موضعه . . . والمقصود انه خير المؤمنين في أعلى درجات الجنة والمنافقون في الدرك الاسفل من النار وان كانوا في الدنيا مسلمين ظاهراً تجرى عليهم أحكام الاسلام الظاهرة فمن كان فيه ايمان ونفاق يسمى مسلماً اذ ليس هو دون المنافق المحض واذا كان نفاقه أغلب لم يستحق اسم الايمان بل اسم المنافق أحق به فان ما فيه بياض وسواد وسواده أكثر هو باسم الاسود أحق منه باسم الابيض كما قال تعالى (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان) وأما اذا كان ايمانه أغلب ومعه نفاق يستحق به الوعيد لم يكن أيضاً من المؤمنين المواعدين بالجنة وهذا حجة لما ذكره محمد بن نصر عن أحمد ولم أره أنا فيما بلغنى من كلام أحمد ولا ذكره الخلال ونحوه . . . قل محمد بن نصر وحكى غير هذا عن أحمد أنه قال من أتى هذه الاربعة الزنا والسرقة وشرب الخمر والنهبة التي يرفع الناس فيها أبصارهم اليه أو مثلهن أو فوقهن فهو مسلم ولا أسميه مؤمناً ومن أتى دون ذلك دون الكبائر نسميه مؤمناً نافص الايمان فان صاحب هذا القول يقول لما نفى عنه النبي صلى الله عليه وسلم الايمان فنيته عنه كما نفاه عنه الرسول صلى الله عليه وسلم والرسول لم ينه الا عن صاحب كبيرة والا فالؤمن الذي يغفل الصغيرة هي مكفرة عنه بفعله للحسنات واجتنابه للكبائر لكنه نافص الايمان عن اجتناب الصغار فأتى بالايمان الواجب ولكن خلطه بسيئات كفرت عنه بغيرها ونقص بذلك درجته عن لم يأت بذلك وأما الذين نفى عنهم الرسول الايمان فنفيه كما نفاه الرسول وأولئك وان كان معهم التصديق وأصل الايمان فقد تركوا منه ما استحقوا لأجله سلب الايمان وقد يجتمع في العبد نفاق وايمان وكفر وايمان فالإيمان المطلق عند هؤلاء ما كان صاحبه مستحقاً للوعد بالجنة . وطوائف أهل الاهواء من الخوارج والمعتزلة والجهمية والمرجئة كرامهم وغير كرامهم يقولون انه لا يجتمع في العبد ايمان ونفاق ومنهم من يدعي الاجماع على ذلك وقد ذكر أبو الحسن في بعض كتبه الاجماع على ذلك . ومن هنا غلطوا فيه وخالفوا فيه الكتاب والسنة وآثار الصحابة والتابعين لهم باحسان مع مخالفة صريح المأثور بل الخوارج والمعتزلة طردوا هذا الأصل الفاسد وقالوا لا يجتمع في الشخص الواحد طاعة يستحق بها الثواب ومعصية يستحق بها العقاب ولا يكون الشخص الواحد محموداً

من وجه مذموماً من وجه ولا محبوباً مدعوأ له من وجه مسخوطاً ملعوناً من وجه ولا يتصور أن
الشخص الواحد يدخل الجنة والنار جميعاً عندهم بل من دخل أحدهما لم يدخل الأخرى عندهم ولهذا
أنكروا خروج أحد من النار أو الشفاعة في أحد من أهل النار وحكى عن غالبية المرجئة أنهم وافقوهم
على هذا الأصل لكن هؤلاء قالوا إن أهل الكبائر يدخلون الجنة ولا يدخلون النار مقابلة لأولئك •
وأما أهل السنة والجماعة والصحاب والتابعون لهم بإحسان وسائر طوائف المسلمين من أهل الحديث
والفقهاء وأهل الكلام من مرجئة الفقهاء والكرامية والكلابية والاشعرية والشيعة مرجئهم وغير
مرجئهم فيقولون إن الشخص الواحد قد يعذب الله بالنار ثم يدخله الجنة كما نطق بذلك الأحاديث
الصحيحة وهذا الشخص الذي له سيئات عذاب بها وله حسنات دخل بها الجنة وله معصية وطاعة
باتفاق هؤلاء الطوائف لم يتنازعوا في حكمه لكن تنازعوا في اسمه فقلت المرجئة جهميته وغير
جهميته هو مؤمن كامل الإيمان وأهل السنة والجماعة على أنه ناقص الإيمان ولولا ذلك لما عذب كما
أنه ناقص البر والتقوى باتفاق المسلمين وهل يطلق عليه اسم مؤمن هذا فيه القولان والصحيح
التفصيل فإذا سئل عن أحكام الدنيا كعتقه في الكفارة قيل هو مؤمن وكذلك إذا سئل عن دخوله
في خطاب المؤمنين وأما إذا سئل عن حكمه في الآخرة قيل ليس هذا النوع من المؤمنين الموعودين بالجنة
بل معه إيمان يمنعه الخلود في النار ويدخله الجنة بعد أن يعذب في النار إن لم يغفر الله له ذنوبه ولهذا
قال من قال هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته أو مؤمن ناقص الإيمان والذين لا يسمونه مؤمناً من أهل
السنة ومن المعتزلة يقولون اسم الفسوق ينافي اسم الإيمان كقوله (بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان) وقوله
(أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً) وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم سباب المسلم فسوق وقتاله كفر
وعلى هذا الأصل فبعض الناس يكون معه شعبة من شعب الكفر ومعه إيمان أيضاً وعلى هذا ورد عن
النبي صلى الله عليه وسلم في تسمية كثير من الذنوب كفراً مع أن صاحبها قد يكون معه أكثر من مثقال
ذرة من إيمان فلا يخلد في النار كقوله سباب المسلم فسوق وقتاله كفر وقوله لا ترجعوا بعدي كفاراً
يضرب بعضهم رقاب بعض وهذا مستفيض عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح من غير وجه فانه
أمر في حجة الوداع أن ينادي به في الناس فقد سمى من يضرب بعضهم رقاب بعض بلاحق كفاراً ويسمى
هذا الفعل كفراً ومع هذا فقد قال تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما إلى قوله إنما
المؤمنون اخوة) فبين أن هؤلاء لم يخرجوا من الإيمان بالكيفية ولكن فيهم ما هو كفر وهي هذه الخصلة كما
قال الصحابة كفر دون كفر وكذلك قوله من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما فقد سماه أخاه حين
القول وقد أخبر أن أحدهما باء بها فلو خرج أحدهما عن الإسلام بالكيفية لم يكن أخاه بل فيسه كفر
وكذلك قوله في الحديث الصحيح ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر وفي حديث آخر
كفر بالله من تبره من نسب واندق وكان من القرآن الذي نسخ لفظه لا ترغبوا عن آبائكم فإن كفرا بكم
أن ترغبوا عن آبائكم فإن حق الوالدين مقرون بحق الله في مثل قوله (أن أشكر لي ولوالديك إلى المصير)

وقوله (وقضى ربك أن لا تعبدوا الاياه وبالوالدين احساناً) فالوالد أصله الذي منه خالق والولد من كسبه
كما أغنى عنه ماله وما كسب فالجحد لها شعبة من شعب الكفر فانه جحد لما منه خلقه ربه فقد جحد
خلق الرب اياه وقد كان في لغة من قبلنا يسمى الرب أباً فكان فيه كفر بالله من هذا الوجه ولكن ليس
هذا كمن جحد الخالق بالكلية وسنتكلم ان شاء الله على سائر الأحاديث والمقصود هنا ذكر أصل جامع
تنبني عليه معرفة النصوص ورد ما تنازع فيه الناس الى الكتاب والسنة فان الناس كثير نزاعهم في مواضع
في مسمى الايمان والاسلام لكثرة ذكرهما وكثرة كلام الناس فيهما والاسم كلما كثر التكلم فيه فتكلم به
مطلقاً ومقيداً بغيره ومقيداً بغيره في موضع آخر في موضع كان هذا سبباً لاشتباه بعض معناه ثم كلما كثر سماعه كثر من
يشبهه عليه ذلك ومن أسباب ذلك أن يسمع بعض الناس بعض موارد ولا يسمع بعضه ويكون ماسمعه مقيداً
بغيره أو جبه اختصاصه بمعنى فيظن معناه في سائر موارد كذلك فمن اتبع علمه حتى عرف مواقع
الاستعمال عامة وعلم مأخذ الشبهة أعطى كل ذي حق حقه وعلم ان خير الكلام كلام الله وانه لا بيان أتم
من بيانه وان ما أجمع عليه المسلمون من دينهم الذي يحتاجون اليه اضعاف اضعاف متنازعوا فيه فالمسلمون
سليمهم ويدعيهم متفقون على وجوب الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ومتفقون على
وجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج ومتفقون على ان من أطاع الله ورسوله فانه يدخل الجنة ولا
يعذب وعلى ان من لم يؤمن بأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه فهو كافر وأمثال هذه الامور
التي هي أصول الدين وقواعد الايمان التي اتفق عليها المنتسبون الى الاسلام والايمان فتنازعهم بعد هذا في
بعض أحكام الوعيد أو بعض معاني بعض الاسماء أمر خفيف بالنسبة الى ما تفقوا عليه مع ان المخالفين لا يحق
البيان من الكتاب والسنة هم عند جمهور الامة معروفون بالبدعة مشهود عليهم بالضلالة ليس لهم في الامة
لسان صدق ولا قبول عام كالأجورج والروافض والقدرية ونحوهم وانما يتنازع أهل العلم والسنة في أمور
دقيقة تخفى على أكثر الناس ولكن يجب رد ما تنازعوا فيه الى الله ورسوله والرد الى الله ورسوله في
مسألة الاسلام والايمان يوجب ان كلامنا من الاسمين وان كان مساهواً واجباً ولا يستحق أحد الجنة الا بان يكون
مؤمناً مسلماً فالحق في ذلك ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل فجعل الدين وأهله ثلاث
طبقات أولها الاسلام وأوسطها الايمان وأعلىها الاحسان ومن وصل الى العليا فقد وصل الى التي تليها
فالحسن مؤمن والمؤمن مسلم وأما المسلم فلا يجب أن يكون مؤمناً وهكذا جاء القرآن فجعل الامة على هذه
الاصناف الثلاثة قال تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد
ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير) فالمسلم الذي لم يقم بواجب الايمان هو الظالم لنفسه
والمقتصد هو المؤمن المطلق الذي أدى الواجب وترك المحرم والسابق بالخيرات هو المحسن الذي عبد الله
كأنه يراه وقد ذكر الله سبحانه تقسيم الناس في المعاد الى هذه الثلاثة في سورة الواقعة والمطففين وهل أتى
وذكر الكفار أيضاً وأما هنا فجعل التقسيم للمصطفين من عباده وقال أبو سليمان الخطابي ما أكثر ما يغلط
الناس في هذه المسئلة فأما الزهري فقال الاسلام الكلمة والايمان العمل واحتج بالآية وذهب غيره الى ان

الاسلام والايمان شيء واحد فاحتج بقوله (فأخرجنا من كان فيهما من المؤمنين فوجدنا فيها غيريت من المسلمين)
قال الخطابي وقد تكلم رجلان من أهل العلم وصار كل واحد منهما الى قول من هذين ورد الآخر منهما
على المتقدم وصنف عليه كتابا يبلغ عدداً وراقه المائتين قل الخطابي والصحيح من ذلك ان يقيد الكافر
في هذا ولا يطلق وذلك ان المسلم قد يكون مؤمناً في بعض الاحوال ولا يكون مؤمناً في بعضها والمؤمن
مسلم في جميع الاحوال فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً واذا حمل الامر على هذا استقام لك
تأويل الآيات واعتدل القول فيها ولم يختلف شيء منها قلت الرجلان اللذان أشار اليهما الخطابي أظن
أحدهما وهو السابق محمد بن نصر فانه الذي علمته بسط الكلام في أن الاسلام والايمان شيء واحد من
أهل السنة والحديث وما علمت لغيره قبله بسطاً في هذا والآخر الذي رد عليه أظنه^(١)
لكن لم أقف على رده والذي اختاره الخطابي هو قول من فرق بينهما كأبي جعفر وحامد بن زيد وعبد
الرحمن بن مهدي وهو قول احمد بن حنبل وغيره ولا علمت أحداً من المتقدمين خالف هؤلاء فجعل
نفس الاسلام نفس الايمان ولهذا كانت عامة أهل السنة على هذا الذي قاله هؤلاء كما ذكره الخطابي
وكذلك ذكر أبو القاسم النخعي الاصهاني وابنه محمد شارح مسلم وغيرهما أن المختار عند أهل السنة أنه
لا يطلق على السارق والزاني اسم مؤمن كما دل عليه النص وقد ذكر الخطابي في شرح البخاري كلاماً
يقضي تلازمهما مع افتراق اسميهما وذكره البغوي في شرح السنة فقال قد جعل النبي صلى الله عليه
وسلم الاسلام اسماً لما ظهر من الاعمال وجعل الايمان اسماً لما بطن من الاعتقاد وليس ذلك لان الأعمال
ليست من الايمان أو التصديق بالقلب ليس من الاسلام بل ذلك تفصيل للجهة هي كلها شيء واحد وجامعها
الدين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم هذا جبرائيل جاءكم يعلمكم دينكم والتصديق والعمل يتناولهما اسم
الاسلام والايمان جميعاً يدل عليه قوله تعالى (ان الدين عند الله الاسلام) وقوله تعالى (ورضيت لكم
الاسلام ديناً) وقوله (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلم يقبل منه) فبين أن الدين الذي رضيه وقبله من
من عباده هو الاسلام ولا يكون الدين في محل الرضا والقبول الا بانضمام التصديق الى العمل . قلت تفريق
النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبرائيل وان اقتضى أن الأعلى وهو الاحسان يتضمن الايمان
والايمان يتضمن الاسلام فلا يدل على العكس ولو قدر أنه دل على التلازم فهو صريح بأن مسمى هذا
ليس مسمى هذا لكن التحقيق أن الدلالة تختلف بالتجريد والافتراق كما قد بيناه ومن فهم هذا انحلت
عنه اشكالات كثيرة في كثير من المواضع حاد عنها طوائف مسألة الايمان وغيرها وما ذكره من أن
الدين لا يكون في محل الرضا والقبول الا بانضمام التصديق الى العمل يدل على أنه لا بد مع العمل من
الايمان فهذا يدل على وجوب الايمان مطلقاً لكن لا يدل على أن العمل الذي هو الدين ليس اسمه اسلاماً
واذا كان الايمان شرطاً في قبوله لم يلزم أن يكون ملازماً له ولو كان ملازماً لم يلزم أن يكون جزء
منه . . وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح قوله صلى الله عليه وسلم الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله

(١) هكذا بياض بالاصل

الى آخره والايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الى آخره قال هذا بيان لأصل الايمان وهو التصديق الباطن وبيان لأصل الاسلام وهو الاستسلام والانقياد الظاهر وحكم الاسلام في الظاهر يثبت بالشهادتين وانما أضاف اليهما الأربع لكونها أظهر شعائر الاسلام ومعظمها وبقيامه بها يتم استسلامه وتركه لها يشعر بحل قيد انقياده أو انحلاله ثم ان اسم الاسلام يتناول ما فسر به الاسلام في هذا الحديث وسائر الطاعات لكونها ثمرات التصديق الباطن الذي هو أصل الايمان ومقومات ومتممات وحافظات له ولهذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم الايمان في حديث وفد عبد القيس بالشهادتين والصلاة والزكاة والصوم واعطاء الخمس من المغنم ولهذا لا يقع اسم المؤمن المطلق على من ارتكب كبيرة أو ترك فريضة لان اسم الشيء الكامل يقع على الكامل منه ولا يستعمل في الناقص ظاهراً لا بائناً ولذلك جاز إطلاق نفيه عنه في قوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن واسم الاسلام يتناول أيضاً ما هو أصل الايمان وهو التصديق ويتناول أصل الطاعات فان ذلك كله استسلام قل نخرج بما ذكرناه وحققناه أن الاسلام والايمان مجتمعان ويفترقان وان كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً قال فهذا تحقيق واف بالتوفيق بين متفرقات النصوص الواردة في الايمان والاسلام التي طرأ ما غلط فيها الخاضعون وما حققناه من ذلك موافق لمذاهب جماهير العلماء من أهل الحديث وغيرهم فيقال هذا الذي ذكره رحمه الله فيه من الموافقة ما قد بين من أقوال الأئمة وما دل عليه الكتاب والسنة ما يظهر به أن الجمهور يقولون كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً وقوله ان الحديث ذكر فيه أصل الايمان وأصل الاسلام قد يورد عليه ان النبي صلى الله عليه وسلم أجاب عن الايمان والاسلام بما هو من جنس الجواب بالحد عن الحدود فيكون ما ذكره مطابقاً لما لا يصلحهما فقط فالإيمان هو الايمان بما ذكره باطناً وظاهراً لكن ما ذكره من الايمان تضمن الاسلام كما ان الاحسان تضمن الايمان وقول القائل أصل الاستسلام هو الاسلام الظاهر فالاسلام هو الاستسلام لله والانقياد له ظاهراً وباطناً فهذا هو دين الاسلام الذي ارتضاه الله كما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة ومن أسلم بظاهره دون باطنه فهو منافق يقبل ظاهره فانه لم يؤمر أن يشق عن قلوب الناس وأيضاً فإذا كان الاسلام يتناول التصديق الباطن الذي هو أصل الايمان فيلزم أن يكون كل مسلم مؤمناً وهو خلاف ما نقل عن الجمهور لكن لابد في الاسلام من تصديق يحصل به أصل الايمان والالم يثبت عليه فيكون حينئذ مسلماً مؤمناً فلا بد ان يتبين المسلم الذي ليس بمؤمن ودخوله في الاسلام والنبي صلى الله عليه وسلم قال هذا جبرائيل أتاكم يعلمكم دينكم وقوله الاسلام هو الاركان الخمسة لا يعني به من أداها بلا اخلاص لله بل مع النفاق بل المراد من فعلها كما أمر بها باطناً وظاهراً وذكر الخمس انها هي الاسلام لانها هي العبادات المحضة التي تجب لله تعالى على كل عبد مطبق لها وما سواها إما واجب على الكفاية لمصاحبة اذا حصلت سقط الوجوب وإما من حقوق الناس بعضهم على بعض وان كان فيها قرينة ونحو ذلك وتلك تأدية هذه كما قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وأفضل الاسلام ان تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن

لم تعرف ونحو ذلك فمذه الخمس هي الاركان والمباني كما في الايمان .. وقول القائل الطاعات ثمرات
التصديق الباطن يراد به شيئين يراد به انها لوازم له ففي وجد الايمان الباطن وجدت وهذا مذهب
السلف وأهل السنة ويراد به ان الايمان الباطن قد يكون سبباً وقد يكون الايمان الباطن تاماً
كاملاً وهي لم توجد وهذا قول المرجئة من الجهمية وغيرهم وقد ذكرنا فيما تقدم انهم غلطوا في ثلاثة
أوجه .. أحدها ظنهم ان الايمان الذي في القلب تصديق بلا عمل للقلب كحجة الله وخشيته .. والثاني
ظنهم ان الايمان الذي في القلب يكون تاماً بدون العمل الظاهر وهذا يقول به جميع المرجئة .. والثالث
قولهم كل من كفره الشارع قائماً كان لانتفاء تصديق القلب بالرب تبارك وتعالى وكثير من المتأخرين
لا يميزون بين مذاهب السلف وأقوال المرجئة والجهمية لاختلاط هذا بهذا في كلام كثير منهم ممن هو
في باطنه يري رأى الجهمية والمرجئة في الايمان وهو معظم للسلف والحديث فيظن انه يجمع بينهما أو
يجمع بين كلام أمثاله وكلام السلف .. قال أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي وقالت طائفة ثالثة وهم
الجمهور الاعظم من أهل السنة والجماعة وأصحاب الحديث الايمان الذي دعا الله العباد اليه وافترضه عليهم
هو الاسلام الذي جعله ديناً وارضاء لعباده ودعاهم اليه وهو ضد الكفر الذي سيخطه فقال (ولا يرضى
لعباده الكفر) وقال (ورضيت لكم الاسلام ديناً) وقال (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للإسلام)
وقال (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه) فمدح الله الاسلام بمثل ما مدح به الايمان
وجعله اسم نداء وتزكية فاخبر ان من أسلم فهو على نور من ربه وهدى واخبر انه دينه الذي ارتضاء
وما ارتضاء فقد أوجبه وامتحه ألا تري ان أنبياء الله ورسله رغبوا فيه اليه وسألوه اياه فقال ابراهيم
واسماعيل (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) وقال يوسف (نوفني مسلماً والحقني
بالصالحين) وقال (ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون)
وقال (وقل للذين أتوا الكتاب والأمة من أسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا) وقال في موضع آخر
(قولوا آمنا بالله وما أنزل اليه وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق) الى قوله (فان آمنوا بمثل
ما آمنتم به فقد اهتدوا) فحكم الله بان من أسلم فقد اهتدى ومن آمن فقد اهتدى فسوي بينهما قال
وقد ذكرنا تمام الحجة في ان الاسلام هو الايمان وانهما لا يفترقان ولا يتباينان في موضع غير هذا
فكرهنا اعادته في هذا الموضع كراهة التطويل والتكرير غير اننا سنذكر من الحجة ما لم نذكره في
غير هذا الموضع ونبين خطأ تأويلهم والحجج التي احتجوا بها من الكتاب والاخبار على التفرقة بين
الاسلام والايمان .. قالت مقصود محمد بن نصر المروزي رحمه الله ان المسلم الممدوح هو المؤمن الممدوح
وان المذموم ناقص الاسلام والايمان وان كل مؤمن فهو مسلم وكل مسلم فلا بد ان يكون معه ايمان وهذا
صحيح وهو متفق عليه ومقصوده أيضاً ان من أطلق عليه الاسلام أطلق عليه الايمان وهذا فيه نزاع
لفظي ومقصوده ان مسمى أحدهما هو مسمى الآخر وهذا لا يعرف عن أحد من السلف وان قيل
ما متلازمان فالمتلازمان لا يجب ان يكون مسمى هذا هو مسمى هذا وهو لم ينقل عن أحد من المجابة

والتابعين لهم باحسان ولا أئمة الاسلام المشهورين انه قال مسمى الاسلام هو مسمى الايمان كما نصره بل ولا عرفت أنا أحداً قال ذلك من السلف ولكن المشهور عن الجماعة من السلف والخلف ان المؤمن المستحق لوعد الله هو المسلم المستحق لوعد الله فكل مسلم مؤمن وكل مؤمن مسلم وهذا متفق على معناه بين السلف والخلف بل وبين فرق الامة كلهم يقولون ان المؤمن الذي وعد بالجنة لا بد ان يكون مسلماً والمسلم الذي وعد بالجنة لا بد ان يكون مؤمناً وكل من يدخل الجنة بلاعذاب من الاولين والآخرين فهو مؤمن مسلم . . . ثم ان أهل السنة يقولون الذين يخرجون من النار ويدخلون الجنة معهم بعض ذلك وانما النزاع في اطلاق الاسم فالتقول متواترة عن السلف بان الايمان قول وعمل ولم ينقل عنهم شيء من ذلك في الاسلام ولكن لما كان الجمهور الاعظم يقولون ان الاسلام هو الدين كله ليس هو الكلمة فقط خلاف ظاهر ما نقل عن الزهري فكانوا يقولون ان الصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك من الافعال المأمور بها هي من الاسلام كما هي من الايمان ظن انهم يحملونها شيئاً واحداً وليس كذلك فان الايمان مستلزم للاسلام باتفاقهم وليس اذا كان الاسلام داخل فيه يلزم ان يكون هو اياه وأما الاسلام فليس معه دليل على انه يستلزم الايمان ولكن هل يستلزم الايمان الواجب أو كمال الايمان فيه نزاع وليس معه دليل على انه يستلزم الايمان ولكن الانبياء الذين وصفهم الله بالاسلام كلهم كانوا مؤمنين وقد وصفهم الله بالايمان ولو لم يذكر ذلك عنهم فنعلم قطعاً ان الانبياء كلهم مؤمنون وكذلك السابقون الاولون كانوا مسلمين مؤمنين ولو قدر ان الاسلام يستلزم الايمان الواجب فغاية ما يقال انهما متلازمان فكل مسلم مؤمن وكل مؤمن مسلم وهذا صحيح ان أريد ان كل مسلم يدخل الجنة معه الايمان الواجب وهو متفق عليه اذا أريد ان كل مسلم يثاب على عبادته فلا بد أن يكون معه أصل الايمان فما من مسلم الا وهو مؤمن وان لم يكن هو الايمان الذي نفاه النبي صلى الله عليه وسلم عن لا يجب لاختيه ما يجب لنفسه وعن يفعل الكبار وعن الاعراب وغيرهم اذا قيل ان الاسلام والايمان التام متلازمان لم يلزم أن يكون أحدهما هو الآخر كالروح والبدن فلا يوجد عندنا روح الا مع البدن ولا يوجد بدن حي الا مع الروح وليس أحدهما الآخر فلايمان كالروح فانه قائم بالروح ومتصل بالبدن والاسلام كالبدين ولا يكون البدن حياً الا مع الروح بمعنى انهما متلازمان لان مسمى أحدهما هو مسمى الآخر واسلام المنافقين كبدن الميت جسد بلا روح فامان بدن حي الا وفيه روح ولكن الارواح متنوعة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وليس كل من صلى ببدينه يكون قلبه منورا بذكر الله والخشوع وفهم القرآن وان كانت صلاته يثاب عليها ويسقط عنه الفرض في أحكام الدنيا فهكذا الاسلام الظاهر بمنزلة الصلاة الظاهرة والايمان بمنزلة ما يكون في القلب حين الصلاة من المعرفة بالله والخشوع وتدبر القرآن فكل من خشع قلبه خشعت جوارحه ولا ينعكس ولهذا قيل اياك وخشوع النفاق وهو أن يكون الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع فاذا صاح القلب صاح الجسد كله وليس اذا كان الجسد في عبادة يكون القلب قائماً بحماتها والناس في الايمان والاسلام على ثلاث مراتب ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات فالاسلم

ظاهراً وباطناً اذا كان ظاهراً لنفسه فلا بد أن يكون معه ايمان ولكن لم يأت بالواجب ولا ينكس وكذلك
 في الآخر وسأني ان شاء الله والآيات التي اخرج بها محمد بن نصر تدل على وجوب الاسلام وانه دين الله
 وان الله يحبه ويرضاه وانه ليس له دين غيره وهذا كله حق لكن ليس في هذا ما يدل على انه هو الايمان
 بل ولا يدل على ان بمجرد الاسلام يكون الرجل من أهل الجنة كما ذكره في حجة القول الاول وان
 الله وعد المؤمنين بالجنة في غير آية ولم يذكر هذا الوعد باسم الاسلام حينئذ فدحه وإجابه ومحبة الله له
 تدل على دخوله في الايمان وانه بعض منه وهذا متفق عليه بين أهل السنة كلهم يقولون كل مؤمن مسلم
 وكل من أتى بالايمان الواجب فقد أتى بالاسلام الواجب لكن النزاع في العكس وهذا كما ان الصلاة يحجبها
 الله ويأمر بها وبوجوبها ويبنى عليها وعلى أهلها في غير موضع ثم لم يدل ذلك على ان مسمى الصلاة مسمى
 الايمان بل الصلاة تدخل في الايمان فكل مؤمن مصل ولا يلزم أن يكون كل من صلى وأتى الكبار مؤمناً
 وجميع ما ذكره من الحجة عن النبي صلى الله عليه وسلم فان فيها التفريق بين مسمى الايمان والاسلام
 اذا ذكر اجمعاً كما في حديث جبرائيل وغيره وفيها أيضاً ان اسم الايمان اذا أطلق دخل فيه الاسلام قل أبو
 عبد الله بن حامد في كتابه المصنف في أصول الدين قد ذكرنا ان الايمان قول وعمل فأما الاسلام فكلام
 أحد يحتمل روايتين أحدهما انه كالايان والثانية انه قول بلا عمل وهو نصه في رواية اسماعيل بن سعيد
 قال والصحيح ان المذهب رواية واحدة انه قول وعمل ويحتمل قوله ان الاسلام قول يريد به انه لا يجب
 فيه ما يجب في الايمان من العمل المشروط وفيه لان الصلاة ليست من شرطه اذ النص عنه انه لا يكفر
 بتركه الصلاة قال وقد قضينا ان الاسلام والايان اسمان لمعنيين وذكرنا اختلاف الفقهاء وقد ذكر قبل
 ذلك ان الاسلام والايان اسمان لمعنيين مختلفين وبه قال مالك وشريك وحماد بن زيد بالفرقة بين الاسلام
 والايان قل وقال أصحاب الشافعي وأصحاب أبي حنيفة انهما اسمان معناه واحد قال وينبغي هذا ان
 الايمان قد تنفي عنه تسميته مع بقاء الاسلام عليه وهو باتيان الكبار التي ذكرت في الخبر فيخرج عن
 تسمية الايمان الا انه مسلم فاذا تاب من ذلك عاد الى ما كان عليه من الايمان ولا تنفي عنه تسمية الايمان
 بارتكاب الصغائر من الذنوب بل الاسم باق عليه ثم ذكر أدلة ذلك ولكن ما ذكره فيه أدلة كثيرة على
 من يقول الاسلام مجرد الكلمة فان الأدلة الكثيرة تدل على ان الاعمال من الاسلام بل النصوص كلها
 تدل على ذلك فمن قال ان الاعمال الظاهرة لا أمور بها ليست من الاسلام فقوله باطل بخلاف التصديق
 الذي في القلب فان هذا ليس في النصوص ما يدل على انه من الاسلام بل هو الايمان وانما الاسلام الدين كما
 فسر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يسلم وجهه وقلبه لله فاخلاص الدين لله اسلام وهذا غير التصديق
 ذلك من جنس عمل القلب وهذا من جنس علم القلب وأحمد بن حنبل وان كان قد قال في هذا الموضع ان
 الاسلام هو الكلمة فقد قال في موضع آخر ان الاعمال من الاسلام وهو اتبع هذا الزهري رحمه الله فان
 كان مراد من قال ذلك انه بالكلمة يدخل في الاسلام ولم يأت بتمام الاسلام فهذا قريب وان كان مراده
 انه أتى بجميع الاسلام فهذا غلط قطعاً بل قد أنكر أحمد هذا الجواب وهو قول من قل يطلق عليه الاسلام

وان لم يعمل متابعة لحديث جبرائيل فكان ينبغي أن يذكر قول أحمد جيمه . . قال اسماعيل بن سعيد
 سألت أحمد عن الاسلام والايمان فقال الايمان قول وعمل والاسلام الاقرار وقال وسألت أحمد عن قال
 في الذي قال جبرائيل للنبي صلى الله عليه وسلم اذ سأله عن الاسلام فاذا فعلت ذلك فأنا مسلم فقال نعم فقال
 قائل وان لم يفعل الذي قال جبرائيل للنبي صلى الله عليه وسلم فهو مسلم أيضاً فقال هذا معاند للحديث فقد
 جعل أحمد من جعله مسلماً اذا لم يأت بالحس معانداً للحديث مع قوله ان الاسلام الاقرار فدل ذلك على ان
 ذلك أول الدخول في الاسلام وانه لا يكون قائماً بالاسلام الواجب حتى يأتي بالحس والاطلاق الاسم مشروط بها
 فانه ذم من لم يتبع حديث جبرائيل . . وأيضاً فهو في أكثر أجوبته يكفر من لم يأت بالصلاة بل وبغيرها
 من المباني والكافر لا يكون مسلماً باتفاق المسلمين فعلم أنه لم يرد أن الاسلام هو مجرد القول بلا عمل وان
 قدر أنه أراد ذلك فهذا يكون أنه لا يكفر بترك شيء من المباني الاربعة . . وأكثر الروايات عنه بخلاف ذلك
 والذين لا يكفرون من ترك هذه المباني يحملونها من الاسلام كالشافعي ومالك وأبي حنيفة وغيرهم فكيف
 لا يجعلها أحمد من الاسلام وقوله في دخولها في الاسلام أقوى من قول غيره وقد روى عنه أنه جعل
 حديث سعد معارضاً لحديث عمر ورجح حديث سعد . . قال الحسن بن علي سألت أحمد بن حنبل عن
 الايمان أو كذا والاسلام قال جاء حديث عمر هذا وحديث سعد أحب إلي كأنه فهم ان حديث عمر يدل
 على أن الاعمال هي مسمى الاسلام فيكون مسماه أفضل وحديث سعد يدل على ان مسمى الايمان أفضل
 ولكن حديث عمر لم يذكر الاسلام الا الاعمال الظاهرة فقط وهذه لا تكون ايمانا الا مع الايمان الذي
 في القلب بالله وملائكته وكتبه ورسله فيكون حينئذ بعض الايمان فيكون مسمى الايمان أفضل كما دل
 عليه حديث سعد فلا منافاة بين الحديثين . . وأما تفريق أحمد بين الاسلام والايمان فكان يقول تارة
 وتارة يحكي الخلاف ولا يجزم به وكان اذا فرق بينهما تارة يقول الاسلام الكلمة وتارة لا يقول ذلك
 وكذلك التكفير بترك المباني كان تارة يكفر بها حتى يغضب وتارة لا يكفر بها . . قال الميموني قلت يا أبا
 عبد الله تفرق بين الاسلام والايمان قال نعم قلت بأي شيء تخرج قال عامة الاحاديث تدل على هذا ثم قال
 لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن وقال الله تعالى
 (قالت الاغراب آمننا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) قال وحامد بن زيد يفرق بين الاسلام والايمان
 قال وحدثنا أبو سلمة الخزاعي قل قال مالك وشريك وذكر قولهم وقول حماد بن زيد فرق بين الاسلام
 والايمان قال أحمد قال لي رجل لو لم يجئنا في الايمان الا هذا لكان حسناً . . قلت لابي عبد الله فتذهب
 الي ظاهر الكتاب مع السنن قال نعم قلت فاذا كانت المرجئة يقولون ان الاسلام هو القول قل هم
 يصيرون هذا كله واحداً ويحملونه مسلماً ومؤمناً شيئاً واحداً على ايمان جبرائيل ومستكمل الايمان قلت
 فمن ههنا حججتنا عليهم قال نعم فقد ذكر عنه الفرق مطلقاً واحتجاجه بالنصوص وقال صالح بن أحمد
 سئل أبي عن الاسلام والايمان قال قال ابن أبي ذئب الاسلام القول والايمان العمل قيل له ما تقول أنت
 قال الاسلام غير الايمان وذكر حديث سعد وقول النبي صلى الله عليه وسلم فهو في هذا الحديث لم يخر

قول من قال الاسلام القول بل أجاب بأن الاسلام غير الايمان كما دل عليه الحديث الصحيح مع القرآن
وقال حنبل حدثنا أبو عبد الله بحديث بريدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم اذا خرجوا الى
المقابر أن قائلهم يقول السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون
الحديث قال وسمعت أبا عبد الله يقول في هذا الحديث حجة على من قال الايمان قول فمن قال أنا مؤمن
قوله من المؤمنين والمسلمين فيبين المؤمن من المسلم ورد على من قال أنا مؤمن مستكمل الايمان وقوله
وإنا إن شاء الله بكم لاحقون وهو يعلم أنه ميت يشهد قول من قال أنا مؤمن إن شاء الله الاستثناء في هذا
الموضع . . وقال أبو الحارث سألت أبا عبد الله قلت قوله لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا
يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن قال قد تأولوه فأما عطاء فقال يتنجس عنه الايمان وقال طاوس اذا
فعل ذلك زال عنه الايمان . . وروى عن الحسن قال ان رجعا راجعا الايمان وقد قبله يخرج من
الايمان الى الاسلام ولا يخرج من الاسلام . . وروي هذه المسألة صالح فان مسائل أبي الحارث يرويه
صالح أيضاً وصالح سأل أباه عن هذه القصة قال فيها هكذا يروي عن أبي جعفر قال لا يزني الزاني
حين يزني وهو مؤمن قال يخرج من الايمان الى الاسلام فالإيمان مقصور في الاسلام فاذا زنا خرج
من الايمان الى الاسلام قال الزهري يعني لما روى حديث سعد أو مسلم فتري ان الاسلام الكلمة
والايمان العمل قال أحمد وهو حديث متأول والله أعلم فقد ذكر أقوال التابعين ولم يرجع شيئاً وذلك
والله أعلم لأن جميع ما قلوه حق وهو يوافق على ذلك كله كما قد ذكر في مواضع أخر أنه يخرج
من الايمان الى الاسلام ونحو ذلك وأحمد وأمثله من السلف لا يريدون بلفظ التأويل صرف
اللفظ عن ظاهره بل التأويل عندهم مثل التفسير وبيان ما يؤل اليه اللفظ كقول عائشة رضي الله عنها
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثّر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك يتأول
القرآن والا فذكره التابعون لا يخالف ظاهر الحديث بل يوافقه وقول أحمد يتأوله أي يفسره معناه
وان كان ذلك يوافق ظاهره لئلا يظن مبتدع ان معناه أنه صار كافراً لا إيمان معه بحال كما تقوله الخوارج
فان الحديث لا يدل على هذا والذي انفى عن هؤلاء الايمان كان يجعلهم مسلمين لا يجعلهم مؤمنين . . قال
المروزي قيل لأبي عبد الله تقول نحن المؤمنون فقد تقول نحن المسلمون قالت لأبي عبد الله تقول إن
مؤمنون قال ولكن تقول إنا مسلمون وهذا لان من أصله الاستثناء في الايمان لانه لا يعلم أنه مؤدّ لجميع
مأموره الله به فهو مثل قوله أنا برأنا بقي أنا ولي الله كما يذكر في موضعه وهذا لا يمنع ترك الاستثناء اذا
أراد اني مصدق فانه يجزم بما في قلبه من التصديق ولا يجزم بأنه ممتثل لكل ما أمر به وكما يجزم بأنه يحب
الله ورسوله فانه يبغض الكفر ونحو ذلك مما يعلم أنه في قلبه وكذلك اذا أراد بأنه مؤمن في الظاهر فلا
يمنع أن يجزم بما هو معلوم له وإنما يكره ما كرهه سائر الغالبية من قول المرجئة أو يقولون الايمان شيء
متماثل في جميع أهله مثل كون كل انسان له رأس فيقول أحدهم أنا مؤمن حقاً وأنا مؤمن عند الله
ونحو ذلك كما يقول الانسان لي رأس حقاً وأنا لي رأس في علم الله حقاً فمن جزم به على هذا الوجه فقد

أخرج الاعمال الباطنة والظاهرة عنه وهذا منكر من القول وزور عند الصحابة والتابعين ومن اتبعهم من سائر المسلمين وللناس في مسألة الاستثناء كلام يذكر في موضعه والمقصود هنا ان هنا قولين متطرفين قول من يقول الاسلام مجرد الكلمة والاعمال الظاهرة ليست داخلية في معنى الاسم وقول من يقول مسمي الاسلام والايمان واحد وكلاهما قول ضعيف يخالف لحديث جبرائيل وسائر احاديث النبي صلى الله عليه وسلم وهذا لما نصر محمد بن نصر المروزي القول الثاني لم يكن معه حجة على صحته ولكن احتج بما يبطل به القول الاول فاحتج بقوله في قصة الاعراب (بل الله يئن عليكم ان هذا كم للايمان ان كنتم صادقين) قال فدل ذلك على ان الاسلام هو الايمان فيقال بل يدل على تقيض ذلك لان القوم لم يقولوا اسلمنا بل قالوا آمنا والله أمرهم ان يقولوا اسلمنا ثم ذكر تسميتهم بالاسلام فقال (بل الله يئن عليكم ان هذا كم للايمان ان كنتم صادقين) في قولكم آمناً ولو كان الاسلام هو الايمان لم يجز ان يقول ان كنتم صادقين فانهم صادقون في قولهم اسلمنا مع انهم لم يقولوا ولكن الله قال (يئنون عليكم ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يئن عليكم) أي يئنون عليكم ما فعلوه من الاسلام فانه تعالى سمي فعلمهم اسلاماً وليس في ذلك ما يدل على انهم سموه اسلاماً وانما قالوا آمناً ثم أخبر ان المنة تقع بالهداية الى الايمان فأما الاسلام الذي لا إيمان معه فكان الناس يفعلونه خوفاً من السيف فلا منة لهم بفعله واذا لم يئن الله عليهم بالايمان كان ذلك كالاسلام المنافقين فلا يقبله الله منهم فأما اذا كانوا صادقين في قولهم آمنا فانه هو المان عليهم بهذا الايمان وما يدخل فيه من الاسلام وهو سبحانه نفي عنهم الايمان أولاً وهنا عاقبة منة الله به على صدقهم فدل على جواز صدقهم وقد قيل انهم صاروا صادقين بعد ذلك ويقال المعاق بشرط لا يستلزم وجود ذلك الشرط ويقال لانه كان معهم ايمان ما لكن ما هو الايمان الذي وصفه ثانياً بل معهم شعبة من الايمان قال محمد بن نصر وقال الله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين الآية) وقال (ان الدين عند الله الاسلام) فسمى اقام الصلاة وإيتاء الزكاة ديناً قيمياً وسمى الدين اسلاماً فمن لم يؤد الزكاة فقد ترك من الدين القيم الذي أخبر الله انه عنده الدين وهو الاسلام بعضاً قال وقد جاء معيناً هذه الطائفة التي فرقت بين الاسلام والايمان على أن الايمان قول وعمل وان الصلاة والزكاة من الايمان وقد سماها الله ديناً وأخبر ان الدين عنده الاسلام فقد سمي الله الاسلام بما سمي به الايمان وسمى الايمان بما سمي به الاسلام وبمثل ذلك جاءت الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن زعم ان الاسلام هو الاقرار وان العمل ليس منه فقد خالف الكتاب والسنة ولا فرق بينه وبين المرجئة إذ زعمت ان الايمان اقرار بل عمل فيقال أما قوله ان الله جعل الصلاة والزكاة من الدين والدين عنده هو الاسلام فهذا كلام حسن موافق لحديث جبرائيل ورده على من جعل العمل خارجاً عن الاسلام كلام حسن وأما قوله ان الله سمي الايمان بما سمي به الاسلام وسمى الاسلام بما سمي به الايمان فليس كذلك فان الله انما قال (ان الدين عند الله الاسلام) ولم يقل قط ان الدين عند الله الايمان ولكن هذا الدين من الايمان وليس اذا كان منه يكون هو إياه فان الايمان أصله معرفة القلب وتصديقه وقوله

والعمل تابع لهذا العلم والتصديق ملازم له ولا يكون العبد مؤمناً إلا بهما وأما الاسلام فهو عمل محض مع قول والعلم والتصديق ليس جزءه مسماه لكن يلزمه جنس التصديق فلا يكون عمل إلا بعلم لكن لا يستلزم الايمان المفصل الذي بينه الله ورسوله كما قال تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) وقوله (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تأتت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) . وسائر النصوص التي تنفي الايمان عمن لم يتصف بما ذكره فان كثيراً من المسلمين مسلم باطنياً وظاهراً ومعه تصديق محمل ولم يتصف بهذا الايمان والله تعالى قل (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه) وقل (ورضيت لكم الاسلام ديناً) ولم يقل ومن يتبع غير الاسلام علماً ومعرفة وتصديقاً وايمانا ولا قال رضيت لكم الايمان تصديقاً وعلماً فان الاسلام من جنس الدين والعمل والطاعة والانقياد والخضوع فمن ابتغى غير الاسلام ديناً فان يقبل منه والايمان طمأنينة ويقين أصله علم وتصديق ومعرفة والدين تابع له يقال آمنت بالله وأسلمت لله قل موسى (يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) فلو كان مسماها واحداً كان هذا تكريراً وكذلك قوله (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) كما قال (والصادقين والصابرين والخاصين) فالمؤمن منصف بهذا كله لكن هذه الاسماء لا تطابق الايمان في العموم والخصوص وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت كما ثبت في الصحيحين انه كان يقول ذلك اذا قام من الليل وثبت في صحيح مسلم وغيره انه كان يقول في سجوده اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت وفي الركوع يقول لك ركعت ولك أسلمت وبك آمنت ولما بين النبي صلى الله عليه وسلم خاصة كل منهما قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من آمنه الناس على دماءهم وأموالهم ومعلوم ان السلامة من ظلم الانسان غير كونه مأموناً على الدم والمال فان هذا أعلى والمؤمن يسلم الناس من ظلمه وليس من سلموا من ظلمه يكون مأموناً عندهم . . قال محمد بن نصر فمن زعم ان الاسلام هو الاقرار وان العمل ليس منه فقد خالف الكتاب والسنة وهذا صحيح فان النصوص كلها تدل على ان الاعمال من الاسلام قل ولا فرق بينه وبين المرجئة اذ زعمت ان الايمان اقرار بلا عمل فيقال بل بينهما فرق وذلك ان هؤلاء الذين قالوا من أمل السنة كالزهرى ومن وافقه يقولون الاعمال داخلة في الايمان والاسلام عندهم جزء من الايمان والايمان عندهم أكمل وهذا موافق للكتاب والسنة ويقولون الناس يتفاضلون في الايمان وهذا موافق للكتاب والسنة والمرجئة يقولون الايمان بهض الاسلام والاسلام أفضل ويقولون ايمان الناس متساو فإيمان الصحابة وأجر الناس سواء ويقولون لا يكون مع أحد بهض الايمان دون بعض وهذا مخالف للكتاب والسنة . . وقد أجاب أحمد عن هذا السؤال كما قاله في إحدى روايته أن الاسلام عموماً الكلمة قل الزهرى فانه نارة بوافق من قل ذلك ونارة لا يوافق بل يذكر ما دل عليه الكتاب والسنة من أن الاسلام غير الايمان فلما أجاب بقول الزهرى قال له الميموني قلت يا أبا عبد الله تفرق

بين الاسلام والايمان قال نعم قلت بأي شيء نخرج قال عامة الأحاديث تدل على هذا ثم قال لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن وقال الله تعالى (قالت الأهراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) قلت له فتذهب الى ظاهر الكتاب مع السنن قال نعم قلت فاذا كانت المرجئة تقول ان الاسلام هو القول قال هم يصيرون هذا كله واحداً ويجعلونه مسلماً ومؤمناً شيئاً واحداً على ايمان جبرائيل ومستكمل الايمان قلت فمن هنا حججتنا عليهم قال نعم فقد أجاب احمد بأنهم يجعلون الفاسق مؤمناً مستكمل الايمان على ايمان جبرائيل . . . وأما قوله يجعلونه مسلماً ومؤمناً شيئاً واحداً فهذا قول من يقول الدين والايمان شيء واحد فالاسلام هو الدين فيجعلون الاسلام والايمان شيئاً واحداً وهذا القول قول المرجئة فيما يذكره كثير من الأئمة كالشافعي وأبي عبيد وغيرهما ومع هؤلاء يناظرون فالمعروف من كلام المرجئة الفرق بين لفظ الدين والايمان والفرق بين الاسلام والايمان ويقولون الاسلام بعضه ايمان وبعضه أعمال والأعمال منها فرض ونفل ولكن كلام السلف كان فيما يظهر لهم ويصل اليهم من كلام أهل البدع كما تجدهم في الجهمية اما يحكون عنهم أن الله في كل مكان وهذا قول طائفة منهم كالنجارية وهو قول عوامهم وعبادهم أما جمهور نظارهم من الجهمية والمعتزلة والضرارية وغيرهم قائما يقولون هو لا داخل العالم ولا خارجه ولا هو فوق العالم وكذلك كلامهم في القدرية يحكون عنهم انكار العلم والكتاب وهؤلاء هم القدرية الذين قال ابن عمر فيهم اذا لقيت أولئك فأخبرهم اني بريء منهم وانهم براء مني وهم الذين كانوا يقولون ان الله أمر العباد ونهاهم وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه ولا من يدخل الجنة ممن يدخل النار حتى فعلوا ذلك فعله بعد ما فعلوه ولهذا قالوا الأمر أنف أي مستأنف يقل روض أنف اذا كانت وافرة لم ترع قبل ذلك يعني أنه مستأنف العمل السعيد والشقي ويبتدأ ذلك من غير أن يكون قد تقدم بذلك علم ولا كتاب فلا يكون العدل على ما قد قدر فيحتذى به حذو القدر بل هو أمر مستأنف مبتدأ والواحد من الناس اذا أراد أن يعمل عملاً قدر في نفسه ما يريد عمله ثم عمله كما قدر في نفسه وربما (١) أظهر ما قدره في الخارج بصورته ويسمي هذا التقدير الذي في النفس خلقاً ومنه قول الشاعر

ولانت تفري ما خلقت وبهـ من الناس يخلق ثم لا يفـ

يقول اذا قدرت أمراً أمضيته وأنفذه بخلاف غيرك فانه عاجز عن امضاء ما يقدره وقال تعالى (انا كل شيء خلقناه بقدر) وهو سبحانه يعلم قبل أن يخلق الاشياء كلما سيكون وهو يخلق بمشيئته فهو يعلمه ويريده وعلمه وارادته قائم بنفسه وقد يتكلم به ويخبر به كما في قوله (لا ملأ من جهنم منك وعن نبيك منهم أجمعين) وقال (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى) وقال تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون) وهو سبحانه كتب

ما يقدره فيما يكتبه فيه كما قال (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب أن ذلك على الله يسير) قال ابن عباس إن الله خالق الخلق وعلم ما هم عاملون ثم قال لعلمه كن كتاباً فكان كتاباً ثم أنزل تصديق ذلك في قوله (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب أن ذلك على الله يسير) وقال تعالى (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير) وقال (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) وقال (يدعو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) وقال للملائكة (اني جاعل في الأرض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قل اني أعلم ما لا تعلمون) قال للملائكة قد علمت ما يفعل بنو آدم من الفساد وسفك الدماء فكيف لا يعلم الله سواء علموه باعلام الله فيكون هو أعلم بما علمهم إياه كما قاله أكثر المفسرين أو قالوه بالقياس على من كان قبلهم كما قاله طائفة منهم أو بغير ذلك والله أعلم بما سيكون من مخلوقاته الذي لا علم الا ما علمهم وما أوحاه الى أنبيائه وغيرهم مما سيكون مما هو أعلم به منهم فانهم لا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء .. وأيضاً فإنه قال للملائكة اني جاعل قبل أن يأمرهم بالسجود لآدم وقبل أن يمتنع ابليس وقبل أن ينهى آدم عن أكله من الشجرة وقبل أن يأكل منها ويكون أكله سبب اهباطه الى الأرض فقد علم الله سبحانه أنه سيستخلفه مع أمره له ولا بليس بما يعلم أنهما بخلفانه فيه ويكون الخلاف سبب أمره لما بالاهباط والاستخلاف في الأرض .. وهذا يبين أنه علم ما سيكون منهما من مخالفة الامر فان ابليس امتنع من السجود لآدم وأبفضسه فصار عدوه فوسوس له حتى يأكل من الشجرة فيذنب آدم أيضاً فإنه قد تألى أنه ليغوينهم أجمعين وقد سأل الانظار الى يوم يبعثون فهو حريص على اغواء آدم وذريته بكل ما أمكنه لكن آدم تلقى من ربه كلمات فتاب عليه واجتنباه ربه وهداه بنبوته فصار لبي آدم سبيل الى نجاتهم وسعادتهم مما يوقعهم الشيطان فيه بالاغواء وهو التوبة قال تعالى [ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات] وقدر الله قد أحط بهذا كله قبل أن يكون وابليس أصر على الذنب واحتج بالقدر وسأل الانظار ليهلك غيره وآدم تاب وأب وقال هو وزوجته (ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) فتاب الله عليه فاجتنباه وهداه وأنزله الى الأرض ليعمل فيها بطاعته فيرفع الله بذلك درجته ويكون دخوله الجنة بعد هذا أكمل مما كان فمن أذنب من أولاد آدم فأقضى بأبيه آدم في التوبة كان سعيداً واذا تاب وآمن وعمل صالحاً بدل الله سيئاته حسنات وكان بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة كما أثر أولياء الله المتقين ومن اتبع منهم ابليس فأصر على الذنب واحتج بالقدر وأراد أن يغوى غيره كان من الذين قال فيهم (لا ملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين) .. والمقصود هنا ذكر القدر وقد ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء وفي صحيح البخاري عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن

شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والارض وفي الصحيحين عن
 النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه انه أخبر ان الله قد علم أهل الجنة من أهل النار وما يعملهم العباد
 قبل أن يعملوه وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود ان الله يبعث ملكا بعد خلق الجسد وقبل فسخ
 الروح فيه فيكتب أجله ورزقه وعمله وشقى أو سعيد وهذه الأحاديث تأتي ان شاء الله في مواضعها فهذا
 القدر هو الذي أنكره القدرية الذين كانوا في أواخر زمن الصحابة وقد روى ان أول من ابتدعه
 بالعراق رجل من أهل البصرة يقال له يسويه من أبناء الجوس وتلقاه عنه معبد الجهنى ويقال أول
 ما حدث في الحجاز لما احترقت الكعبة فقل رجل احترقت بقدر الله تعالى فقل آخر لم يقدر الله هذا
 ولم يكن على عهد الخلفاء الراشدين أحد ينكر القدر فلما ابتدع هؤلاء التكذيب بالقدر رده عليهم من
 بقى من الصحابة كعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس ووائل بن الاسقع وكان أكثره بالبصرة والشام
 وقيل منه بالحجاز فأكثر كلام الساف في ذم هؤلاء القدرية ولهذا قال وكيع بن الجراح القدرية يقولون
 الأمر مستقبل وان الله لم يقدر الكتابة والأعمال والمرجئة يقولون القول يجزى من العمل والجهمية
 يقولون المعرفة تجزى من القول والعمل قال وكيع وهو كاذب كفر رواه ابن (١) ولكن لما
 اشتهر الكلام في القدر ودخل فيه كثير من أهل النظر والعبادة صار جمهور القدرية يقررون بتقديم العلم وانما
 ينكرون عموم المشيئة والخلق وعن عمرو بن عبيد في انكار الكتاب المتقدم روايتان وقول أولئك كفرهم
 عليه مالك والشافعي وأحمد وغيرهم وأما هؤلاء فهم مبتدعون ضالون لكنهم ليسوا بمنزلة أولئك وفي هؤلاء
 خلق كثير من العلماء والعباد كتب عنهم العلم وأخرج البخاري ومسلم لجماعة منهم لكن من كان داعية
 اليه لم يخرجوا له وهذا مذهب فقهاء أهل الحديث كأحمد وغيره ان من كان داعية الى بدعة فانه يستحق
 العقوبة لدفع ضرره عن الناس وان كان في الباطن مجتهداً وأقل عقوبته ان بهجر فلا يكون له مرتبة في
 الدين لا يؤخذ عنه العلم ولا يستقضى ولا تقبل شهادته ونحو ذلك ومذهب مالك قريب من هذا ولهذا لم
 يخرج أهل الصحيح لمن كان داعية ولكن رويهم وسائر أهل العلم عن كثير ممن كان يرى في الباطن
 رأى القدرية والمرجئة والخوارج والشيعة وقال أحمد لو تركنا الرواية عن القدرية لتركنا أكثر أهل
 البصرة وهذا لان مسئلة خلق أفعال العباد وإرادة الكائنات مسئلة مشككة وكما ان القدرية من المعتزلة
 وغيرهم أخطوا فيها فقد أخطأ فيها كثير ممن رد عليهم أو أكثرهم فانهم سلكوا في الرد عليهم مسلك
 جهنم بن صفوان وتباعه فنفوا حكمة الله في خلقه وأمره ونفوا رحمته بعباده ونفوا ما جعله من الأسباب
 خلقاً وأمرأ وجمعدوا من الحقائق الموجودة في مخلوقاته وشرائعه ما صار ذلك سبباً لمفهوم أكثر العقلاء
 الذين فهموا قولهم عما يظنون السنة إذ كانوا يزعمون ان قول أهل السنة في القدر هو القول الذي ابتدعه
 جهنم وهذا لبسطه موضع آخر وانما المقصود هنا ان الساف في ردهم على المرجئة والجهمية والقدرية
 وغيرهم يردون من أقوالهم ما يبلغهم عنهم وما سمعوه من بعضهم وقد يكون ذلك قول طائفة منهم وقد

يكون نقلاً مغيراً فلمنا ردوا على المرجئة الذين يجعلون الدين والايمان واحداً ويقولون هو القول وأيضاً فلم يكن حدث في زمنهم من المرجئة من يقول الايمان هو مجرد القول بلا تصديق ولا معرفة في القلب فان هذا انما أحده ابن كرام وهذا هو الذي انفرد به ابن كرام وأما سائر ما قاله فأقوال قيلت قبله ولهذا لم يذكر الأشعري ولا غيره ممن يحكي مقالات الناس عنه قولاً انفرد به الا هذا وأما سائر أقواله في حكمونها عن ناس قبلهم ولا يذكرونه ولم يكن ابن كرام في زمن أحد بن حنبل وغيره من الأئمة فلمنا يحكون اجماع الناس على خلاف هذا القول كما ذكر ذلك أبو عبد الله أحمد بن حنبل وأبو نور وغيرهما وكان قول المرجئة قبله ان الايمان قول باللسان وتصديق بالقلب وقول جهم انه تصديق القلب فلما قال ابن كرام انه مجرد قول باللسان صارت أقوال المرجئة ثلاثة لكن أحمد كان أعلم بمقالات الناس من غيره فكان يعرف قول الجهمية في الايمان وأما أبو نور فلم يكن يعرفه ولا يعرف الا مرجئة الفقهاء فلمنا حكي الاجماع على خلاف قول الجهمية والكرامية قال أبو نور في رده على المرجئة كما روى ذلك أبو القاسم الطبري اللالكائي وغيره عن ادريس بن عبد الكريم قال سألت رجلاً من أهل خراسان أبا نور عن الايمان وما هو أيزيد وينقص وقول هو أو قول أو تصديق وعمل فأجابه أبو نور بهذا فقال سألت رجلك الله وعفا عنا وعنك عن الايمان ما هو أيزيد وينقص وقول هو أو قول وعمل أو تصديق وعمل فأخبرك بقول الطوائف واختلافهم اعلم برحمتنا الله وإليك ان الايمان تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وذلك انه ليس بين أهل العلم خلاف في رجل لو قال أشهد أن الله عز وجل واحد وان ما جاءت به الرسل حق وأقر بجميع الشرائع ثم قال ما عقد قلبي على شيء من هذا ولا أصدق به انه ليس بمسلم ولو قال المسيح هو الله وجحد أمر الاسلام ثم قال لم يعقد قلبي على شيء من ذلك انه كافر باظهار ذلك وليس بمؤمن فلما لم يكن بالاقرار اذا لم يكن معه التصديق مؤمناً ولا بالتصديق اذا لم يكن معه الاقرار مؤمناً حتى يكون مصداقاً بقلبه مقراً بلسانه فاذا كان تصديقاً بالقلب وإقراراً باللسان كان عندهم مؤمناً وعند بعضهم لا يكون مؤمناً حتى يكون مع التصديق عمل فيكون بهذه الأشياء اذا اجتمعت مؤمناً فلما نفوا أن يكون الايمان بشيء واحد وقالوا يكون بشيئين في قول بعضهم وثلاثة أشياء في قول غيرهم لم يكن مؤمناً الا بما أجمعوا عليه من هذه الثلاثة الأشياء وذلك انه اذا جاء بهذه الثلاثة الأشياء فكلمهم يشهد انه مؤمن فقلنا بما أجمعوا عليه من التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح فأما العائفة التي ذهبت الى ان العمل ليس من الايمان فيقال لهم ماذا أراد الله من العباد اذ قال لهم أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ألقار بذلك أو الاقرار والعمل فان قلت ان الله أراد الاقرار ولم يرد العمل فقد كفرت عند أهل العلم من قل ان الله لم يرد من العباد أن يصلوا ولا يؤتوا الزكاة وان قالت أراد منهم الاقرار والعمل قيل فاذا كان أراد منهم الأمرين جميعاً لم زعمتم انه يكون مؤمناً باحدهما دون الآخر وقد أرادهما جميعاً أرأيتم لو أن رجلاً قال اعمل جميع ما أمر به الله ولا أقر به أكون مؤمناً فان قالوا لا قبل لهم فان قال أقر بجميع ما أمر الله به ولا أعمل به أكون مؤمناً فان قالوا نعم قبله ما الفرق فقد

زعمتم ان الله أراد الأمرين جميعاً فان جاز أن يكون بأحدهما مؤمناً اذا ترك الآخر جاز أن يكون بالآخر اذا عمل به ولم يقر مؤمناً لا فرق بين ذلك فان احتج فقال لو أن رجلاً أسلم فأقر بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم أيكون مؤمناً بهذا الاقرار قبل أن يحيى وقت عمل قيل له انما يطلق له الاسم بتصديقه ان العمل عليه بقوله أن يعمل في وقته اذا جاء وليس عليه في هذا الوقت الاقرار بجميع ما يكون به مؤمناً ولو قال أقر ولا أعمل لم يطلق عليه اسم الايمان قلت يعنى الامام أبو نور رحمه الله انه لا يكون مؤمناً الا اذا التزم بالعمل مع الاقرار والا فلو أقر ولم يلتزم العمل لم يكن مؤمناً وهذا الاحتجاج الذى ذكره أبو نور هو دليل على وجوب الأمرين الاقرار والعمل وهو يدل على أن كلا منهما من الدين وانه لا يكون مطيعاً لله ولا مستحقاً للثواب ولا ممدوحاً عند الله ورسوله الا بالأمرين جميعاً وهو حجة على من يجعل الأعمال خارجة عن الدين والايمان جميعاً وأما من يقول انها من الدين ويقول ان الفاسق مؤمن حيث أخذ ببعض الدين وهو الايمان عندهم وترك بعضه فهذا يحتج عليه بشئ آخر لكن أبو نور وغيره من علماء السنة عامة احتجاجهم مع هذا المصنف وأحمد كان أوسع علماً بالأقوال والاحتجاج من أبي نور ولهذا انما حكى الاجماع على خلاف قول الكرامية ثم انه نوزع في النطق على عادته ولم يجزم بنفي الخلاف لكن قال لا أحسب أحداً يقول هذا وهذا في رسالته الى أبي عبد الرحيم الجوزجاني ذكرها الخلال في كتاب السنة وهو أجمع كتاب يذكر فيه أقوال أحمد في مسائل الأصول الدينية وان كان له أقوال زائدة على ما فيه كما ان كتابه في العلم أجمع كتاب يذكر فيه أقوال أحمد في الأصول الفقهية قال المروزي رأيت أبا عبد الرحيم الجوزجاني عند أبي عبد الله وقد كان ذكره أبو عبد الله فقال كان أبوه مرجئاً أو قال صاحب رأى وأما أبو عبد الرحيم فأنى عليه وقد كان كتب الى أبي عبد الله من خراسان يسأله عن الايمان وذكر الرسالة من طريقين عن أبي عبد الرحيم وجواب أحمد بسم الله الرحمن الرحيم أحسن الله البنا واليك في الأمور كلها وسألنا وأياك من كل شر برحمته أنانى كتابك تذكر فيه ما تذكر من احتجاج من احتج من المرجئة واعلم رحمك الله ان الخصومة في الدين ليس من طريق أهل السنة وان تأويل من تأول القرآن بلا سنة تدل على معنى ما أراد الله منه أو أثر عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعرف ذلك بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن أصحابه فهم شاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم وشهدوا تنزيله وما قصه الله له في القرآن وما عني به وما أراد به أخاص هو أم عام فأما من تأوله على ظاهره بلا دلالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الصحابة فهذا تأويل أهل البدع لان الآية قد تكون خاصة ويكون حكمها حكماً عاماً ويكون ظاهرها على العموم وانما قصدت لشيء بعينه ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو المعبر عن كتاب الله وما أراد وأصحابه أعلم بذلك من المشاهدين الأمر وما أريد بذلك فقد تكون الآية خاصة أي معناها مثل قوله تعالى (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) وظاهرها على العموم أي من وقع عليه اسم ولد فله ما فرض الله فجاءت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يرث مسلم كافراً وروى عن النبي

صلى الله عليه وسلم وليس بالثابت الا انه عن أصحابه انهم لم يورثوا قاتلاً فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المعبر عن الكتاب ان الآية انما قصدت للمسلم لا للكافر ومن حملها على ظاهرها لزمه أن يورث من وقع عليه اسم الولد كافراً كان أو قاتلاً وكذلك أحكام الوارث من الأبوين وغير ذلك مع أي كثير يطول بها الكتاب وانما استعملت الأمة السنة مع النبي صلى الله عليه وسلم ومن أصحابه الا من دفع ذلك من أهل البدع والخوارج وما يشبههم فقد رأيت الى ما خرجوا قلت لفظ المجمل والمطلق والعام كان في اصطلاح الأئمة كالشافعي وأحمد وأبي عبيد واسحاق وغيرهم سواء لا يريدون بالمجمل ما لا يفهم منه معنى كما فسره به بعض المتأخرين وأخذاً في ذلك بل المجمل ما لا يكفي وحده في العمل به وان كان ظاهره حقاً كما في قوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها) فهذه الآية ظاهرها ومعناها مفهوم ليست مما لا يفهم المراد به بل نفس ماددت عليه لا يكفي وحده في العمل فان المأمور به صدقة تكون مطهرة مزكية لهم وهذا انما يعرف ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا قال أحمد يحذر المتكلم في المقع هذين الأصلين المجمل والقياس وقال أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس يريد بذلك أن لا يحكم بما يدل عليه العام والمطلق قبل النظر فيما يخصه ويقيده ولا يعمل بالقياس قبل النظر في دلالة النصوص بل تدفعه فان أكثر خطأ الناس تمسكهم بما يظنون من دلالة اللفظ والقياس فالأمر الظنية لا يعمل بها حتى يبحث عن المعارض بحيث يطمئن القلب اليه وإلا أخطأ من لم يفعل ذلك وهذا هو الواقع في المتمسكين بالظواهر والأقيسة ولهذا جعل الاحتجاج بالظواهر مع الاعراض عن تفسير النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه طريق أهل البدع وله في ذلك مصنف كبير وكذلك التمسك بالأقيسة مع الاعراض عن النصوص والآثار طريق أهل البدع ولهذا كان كل قول ابتدعه هؤلاء وهؤلاء قولاً فاسداً وانما الصواب من أقوالهم ما وافقوا فيه السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وقوله تعالى (يوصيكم الله في أولادكم) سواء عاباً وهو مطلق في الأحوال يعنها على طريق البديل كما يع قوله (فتحرير رقبة) جميع الرقاب لا يعنها كما يع لفظ الولد الأولاد ومن أخذ بهذا لم يأخذ بما دل عليه ظاهر لفظ القرآن بل أخذ بما ظهر له مما سكنت عنه القرآن فكان الظهور لسكوت القرآن عنه لا لدلالة القرآن على انه ظاهر فكانوا متمسكين بظاهر من القول لبطاهر القول وعمدتهم عدم العلم بالنصوص التي فيها علم بما قيد والا تكمل ما بينه القرآن وأظهره فهو حق بخلاف ما يظهر للسان لمعني آخر غير نفس القرآن يسمى ظاهر القرآن كاستدلالات أهل البدع من المرجئة والجهمية والخوارج والشيعة . قال أحمد وأما من زعم ان الايمان الاقرار فما تقول في المعرفة هل يحتاج الى المعرفة مع الاقرار وهل يحتاج أن يكون مصداقاً بما عرف فان زعم انه يحتاج الى المعرفة مع الاقرار ففسد زعم انه من شيتين وان زعم انه يحتاج ان يكون مقراً ومصداقاً بما عرف فهو من ثلاثة أشياء وان جحد وقال لا يحتاج الى المعرفة والتصديق فقد قال قولاً عظيماً ولا أحب أحداً يدفع المعرفة والتصديق وكذلك العمل مع هذه الاشياء . قلت أحمد وأبو نور وغيرهما من الأئمة كانوا قد عرفوا أصل قول المرجئة وهو ان الايمان لا يذهب بعمه ويبقى

بعضه فلا يكون الاشياء واحداً فلا يكون ذا عدد اثنين أو ثلاثة فانه اذا كان له عدد أمكن ذهاب بعضه وبقاء بعضه بل لا يكون الاشياء واحداً ولهذا قالت الجهمية انه شيء واحد في القلب وقالت الكرامية انه شيء واحد على اللسان كل ذلك فراراً من تبعض الايمان وتعددده فلهمذا صاروا ينظرونهم بما يدل على انه ليس شيئاً واحداً كما قلتم فأبوتوا احتج بما اجتمع عليه فقهاء المرجئة من انه تصديق وعمل ولم يكن بلفظ قول متكلميهم وجهيتهم أو لم يعد خلافتهم خلافاً وأحمد ذكر انه لا بد من المعرفة والتصديق مع الاقرار وقال ان من جمعت المعرفة والتصديق فقد قال قولاً عظيماً فان فساد هذا القول معلوم من دين الاسلام ولهذا لم يذهب اليه أحد قبل الكرامية مع ان الكرامية لا تنكر وجوب المعرفة والتصديق ولكن تقول لا يدخل في اسم الايمان حقراً من تبعضه وتعددده لانهم رأوا انه لا يمكن أن يذهب بعضه ويبقى بعضه بل ذلك يقتضي أن يجتمع في القلب ايمان وكفر واعتقدوا الاجماع على نفي ذلك كما ذكر هذا الاجماع الاشعري وغيره وهذه الشبهة التي أوقعهم مع علم كثير منهم وعبادته وحسن اسلامه وايمانه ولهذا دخل في ارجاء الفقهاء جماعة هم عند الامة أهل علم ودين ولهذا لم يكفر أحد من السلف أحداً من مرجئة الفقهاء بل جملوا هذا من بدع الاقوال والافعال لا من بدع العقائد فان كثيراً من النزاع فيها لفظي لكن اللفظ المطابق للكتاب والسنة هو الصواب فليس لأحد أن يقول بخلاف قول الله ورسوله لا سيما وقد صار ذلك ذريعة الى بدع أهل الكلام من أهل الارزاء وغيرهم الى ظهور الفسق فصار ذلك الخطأ اليسير في اللفظ سبباً لخطأ عظيم في العقائد والاعمال فلهمذا عظم القول في ذم الارزاء حتى قال ابراهيم النخعي لفتنتهم يعني المرجئة أخوف على هذه الامة من فتنة الازارقة وقال الزمري ما ابتدعت في الاسلام بدعة أضرت على أهله من الارزاء وقال الاوزاعي كان يحيى بن أبي كثير وقتادة يقولان ليس شيء من الاهواء أخوف عندهم من الارزاء وقال شريك القاضي وذكر المرجئة فقال هم أخبت قوم حسبك بالرافضة خبئاً ولكن المرجئة يكذبون على الله وقال سفیان الثوري تركت المرجئة الاسلام أرق من ثوب سابري وقال قتادة انما حارث الارزاء بعد فتنة فرقة ابن الاشعث وسئل ميمون بن مهران عن كلام المرجئة فقال أنا أكبر من ذلك وقال سعيد بن جبیر لذر الهمداني ألا تستحي من رأي أنت أكبر منه وقال أيوب السختياني أنا أكبر من دين المرجئة ان أول من تكلم في الارزاء رجل من أهل المدينة من بني هاشم يقال له الحسن وقال زاذان أنبأ الحسن بن محمد فقلنا ما هذا الكتاب الذي وضعت وكان هو الذي أخرج كتاب المرجئة فقال لي يا أبا عمر لوددت اني كنت مت قبل أن أخرج هذا الكتاب أو أضع هذا الكتاب فان الخطأ في اسم الايمان ليس كالخطأ في اسم الحدث ولا كالخطأ في غيره من الاسماء اذ كانت أحكام الدنيا والآخرة متعلقة باسم الايمان والاسلام والكفر والنفاق وأحمد رضى الله عنه فرق بين المعرفة التي في القلب وبين التصديق الذي في القلب فان تصديق اللسان هو الاقرار وقد ذكر ثلاثة أشياء وهذا يحتمل شيئين يحتمل أن يفرق بين تصديق القلب ومعرفته وهذا قول ابن كلاب والقالنسي والاشعري وأصحابه يفرقون بين

معرفة القلب وبين تصديق القلب فان تصديق القلب قوله وقول القلب عندهم ليس هو العلم بل نوعا آخر ولهذا قال أحد هل يحتاج الى المعرفة مع الاقرار وهل يحتاج الى أن يكون مصدقا بما عرف فان زعم أنه يحتاج الى المعرفة مع الاقرار فقد زعم أنه من شئين وان زعم أنه يحتاج أن يكون مقراً ومصدقا بما عرف فهو من ثلاثة أشياء فان جحد وقال لا يحتاج الى المعرفة والتصديق فقد أتى عظيماً ولا أحسب أمراً يدفع المعرفة والتصديق والذين قالوا الايمان هو الاقرار فالأقرار باللسان يتضمن التصديق باللسان والمرجئة لم تختلف ان الاقرار باللسان فيه التصديق فعلم أنه أراد تصديق القلب ومعرفة مع الاقرار باللسان الا أن يقال أراد تصديق القلب واللسان جميعاً مع المعرفة والاقرار ومراده بالاقرار الالتزام لا التصديق كما قال تعالى (واذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) فالميثاق المأخوذ على أنهم يؤمنون به وينصرونه وقد أمروا بهذا وليس هذا الاقرار تصديقاً فان الله تعالى لم يخبرهم بخبر بل أوجب عليهم اذا جاءهم ذلك الرسول أن يؤمنوا به وينصروه فصدقوا بهذا الاقرار والتزموا فهذا هو اقرارهم والالزام قد يقر للرسول بمعنى أنه يلتزم ما يأمر به مع غير معرفة ومن غير تصديق له بأنه رسول الله لكن لم يقل أحد من المرجئة ان هذا الاقرار يكون ايماناً بل لا بد عندهم من الاقرار الخبري وهو انه يقر له بأنه رسول الله كما يقر المقر بما يقر به من الحقوق ولما لم يتناول الالتزام والتصديق ولا بد منها وقد يراد بالاقرار مجرد التصديق بدون التزام الطاعة والمرجئة تارة يجعلون هذا هو الايمان وتارة يجعلون الايمان التصديق والالتزام معا هذا هو الاقرار الذي يقوله فقهاء المرجئة انه ايمان والا لو قال أما أطيعه ولا أصدق أنه رسول الله أو أصدقه ولا ألزم طاعته لم يكن مسلماً ولا مؤمناً عندهم واحمد قال لا بد مع هذا الاقرار أن يكون مصدقا وأن يكون عارفاً وأن يكون مصدقا بما عرف وفي رواية أخرى مصدقا بما أقر وهذا يقتضي أنه لا بد من تصديق باطن ويحتمل أن يكون لفظ التصديق عنده يتضمن القول والعمل جميعاً كما قد ذكرنا شواهد أنه يقال صدق بالقول والعمل فيكون تصديق القلب عنده يتضمن أنه مع معرفة قلبه أنه رسول الله قد خضع له وانقاد فصدقه بقول قلبه وعمل قلبه محبة وتعظيماً ولا مجرد معرفة قلبه أنه رسول الله مع الاعراض عن الانقياد له ولما جاء به اما حسداً واما كبراً واما لمحبة دينه الذي يخالفه واما لغير ذلك فلا يكون ايماناً ولا بد في الايمان من علم القلب وعمله فأراد احمد بالتصديق أنه مع المعرفة به صار القلب مصدقاً له تابعاً له محباً له معظماً له فان هذا لا بد منه ومن دفع هذا عن أن يكون من الايمان فهو من جلس من دفع المعرفة من أن تكون من الايمان وهذا أشبه بأن يحمل عليه كلام احمد لان وجوب انقياد القلب مع معرفته ظاهر ثابت بدلائل الكتاب والسنة واجماع الأمة بل ذلك معلوم بالاضطرار من دين الاسلام ومن نازع من الجهمية في أن انقياد القلب من الايمان فهو كمن

نازع من الكرامية في أن معرفة القلب من الايمان فكان حمل كلام احمد على هذا هو المناسب لكلامه في هذا المقام . . . وأيضاً فان الفرق بين معرفة القلب وبين مجرد تصديق القلب الخالي عن الانقياد الذي يجعل قول القلب أمر دقيق وأكثر العقلاء ينكرونه وبتقدير صحته لا يجب على كل أحد أن يوجب شيئين لا يتصور الفرق بينهما وأما الناس لا يتصورون الفرق بين معرفة القلب وتصديقه ويقولون انما قاله ابن كلاب والاشعري من الفرق كلام باطل لاحقيقة له وكثير من أصحابه اعترف بعدم الفرق وعمدتهم من الحجة انما هو خبر الكاذب قالوا ففي قلبه خبر بخلاف علمه فدل على الفرق فقال لهم الناس ذاك بتقدير خبر وعلم ليس هو علماً حقيقياً ولا خبراً حقيقياً ولما أثبتوه من قول القلب المخالف للعلم والارادة انما يعود الى تقدير علوم وارادات لا الى جنس آخر بخلافها . . . ولهذا قالوا ان الانسان لا يمكنه أن يقوم بقلبه خبر بخلاف علمه وانما يمكنه أن يقول ذلك بلسانه وأما ان يقوم بقلبه خبر بخلاف ما يعلمه فهذا غير ممكن وهذا مما استدلوا به على أن الرب تعالى لا يتصور قيام الكذب بذاته لانه بكل شيء عليم ويمتنع قيام معني بضاد العلم بذات العالم والخبر النفساني الكاذب بضاد العلم فيقال لهم الخبر النفساني لو كان خلافاً للعلم لجاز وجود العلم مع ضده كما يقولون مثل ذلك في مواضع كثيرة وهي من أقوى الحجج التي يحتاج بها القاضي ابو بكر وموافقه في مسئلة العقل وغيرها كلقاضي أبي يعلى وأبي محمد بن اللبان وأبي علي بن شاذان وأبي الطيب وأبي الوليد الباجي وأبي الخطاط وابن عقيل وغيرهم فيقولون العقل نوع من العلم فانه ليس بضد له فان لم يكن نوعاً منه كان خلافاً له ولو كان خلافاً لجاز وجوده مع ضد العقل وهذه الحجة وان كانت ضعيفة كما ضعفه الجمهور وأبو المعالي الجويني ممن ضعفها فان ما كان مستلزماً لغيره لم يكن ضداً له اذ قد اجتمعا وليس هو من نوعه بل هو خلاف له على هذا الاصطلاح الذي يقسمون فيه كل اثنين الى أن يكونا مثليين أو خلافيين أو ضدين فاللزوم كالارادة مع العلم أو كالعلم مع الحياة ونحو ذلك ليس ضداً ولا مثلاً بل هو خلاف ومع هذا فلا يجوز وجوده مع ضد اللازم فان ضد اللازم ينافي به ووجود الملزوم بدون اللازم محل كوجود الارادة بدون العلم والعلم بدون الحياة فهذان خلافان عندهم ولا يجوز وجود أحدهما مع ضد الآخر كذلك العلم هو مستلزم للعقل فكل عالم عاقل والعقل شرط في العلم فليس مثلاً له ولا ضداً ولا نوعاً منه ومع هذا لا يجوز وجوده مع ضد العقل لكن هذه الحجة يقال لهم في العلم مع كلام النفس الذي هو الخبر فانه ليس ضداً ولا مثلاً بل خلافاً فيجوز وجود العلم مع ضد الخبر الصادق وهو الكاذب فبطل تلك الحجة على امتناع الكذب النفساني من العالم وبسط هذا له موضع آخر والمقصود هنا ان الانسان اذا رجع الى نفسه عسر عليه التفريق بين علمه بان الرسول صادق وبين تصديق قلبه تصديقاً مجرداً عن انقياد وغيره من أعمال القلب بانه صادق ثم احتج الامام احمد على ان الأعمال من الايمان بحجج كثيرة فقال وقد سأل وفد عبد القيس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال شهادة أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول

الله واقام الصلاة وايتاه الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا خمساً من المغنم فجعل ذلك كله من الايمان قال
وقال النبي صلى الله عليه وسلم الحياء شعبة من الايمان وقال أكل المؤمن ايماناً أحسنهم خلقاً وقال ان
البذاذة من الايمان وقال الايمان بضع وسبعون شعبة فأدناها امانة الاذى عن العاريق وأرفعها قول
لا اله الا الله مع أشياء كثيرة منها أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان وما روى عن
النبي صلى الله عليه وسلم في صفة المنافق ثلاث من كن فيه فهو منافق مع حجج كثيرة وما روى عن
النبي صلى الله عليه وسلم في تارك الصلاة وعن أصحابه من بعده ثم ما وصف الله تعالى في كتابه من زيادة
الايمان في غير موضع مثل قوله (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم)
وقال (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايماناً) وقال (واذا تأملت عليهم آياته زادتهم
ايماناً) وقال تعالى (فنكم من يقول أياكم زادته هذه ايماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم ايماناً وهم يستبشرون)
وقال (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله
أولئك هم الصادقون) وقال تعالى (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) وقال تعالى
(فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين) وقال (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) قال أحمد ويلزمه أن يقول هو مؤمن
بأقراره وان أقر بالزكاة في الجملة ولم يجد في كل مائتي درهم خمسة انه مؤمن فيلزمه أن يقول اذا أقر ثم
شد الزنار في وسطه وصلى للصليب وأتى الكنائس والبيع وعمل الكبائر كلها الا انه في ذلك مقرر بالله
فيلزمه أن يكون عنده مؤمناً وهذه الأشياء من أشنع ما يلزمهم قلت هذا الذي ذكره الامام أحمد من
أحسن ما احتج الناس به عليهم جمع في ذلك جملاً يقول غيره بعضها وهذا الالتزام لا يحيد لهم عنه ولهذا
لما عرف متكلمهم مثل جهنم ومن وافقه انه لازم التزموه وقالوا لو فعل من الأفعال الظاهرة لم يكن بذلك
كافراً في الباطن لكن يكون دليلاً على الكفر في أحكام الدنيا فاذا احتج عليهم بنصوص تقتضي انه
يكون كافراً في الآخرة قالوا فهذه النصوص تدل على انه في الباطن ليس معه من معرفة الله شيء فانها
عندهم شيء واحد فخلوا صريح العقول وصريح الشرع وهذا القول مع فساده عقلاً وشرعاً ومع كونه
عند التحقيق لا يثبت ايماناً فانهم جعلوا الايمان شيئاً واحداً لا حتمية له كما قالت الجهمية ومن وافقهم
مثل ذلك في وحدة الرب انه ذات بلا صفات وقالوا بان القرآن مخلوق وان الله لا يرى في الآخرة وما
يقوله من وحدة الكلام وغيره من الصفات فقولهم في الرب وصفاته وكلامه والايمان به يرجع الى تعطيل
محض وهذا قد وقع فيه طوائف كثيرة من المتأخرين المنتسبين الى السنة والفقهاء والحديث المتبعين
للأئمة الأربعة المتعصبين للجهمية والمعتزلة بل والمرجئة أيضاً لكن لعدم معرفتهم بالحقائق التي نشأت
منها البدع يجمعون بين الضدين ولكن من رحمة الله بعباده المسلمين ان الأئمة الذين لهم في الأمة لسان
صدق الأئمة الأربعة وغيرهم كمالك والثوري والأوزاعي والليث بن سعد وكالشافعي وأحمد واسحق
وآبي عبيد وآبي حنيفة وآبي يوسف ومحمد كانوا ينكرون على أهل الكلام من الجهمية قولهم في القرآن

والإيمان وصفات الرب وكانوا متفقين على ما كان عليه السلف من أن الله يرى في الآخرة وأن القرآن كلام الله غير مخلوق وإن الإيمان لا بد فيه من تصديق القلب واللسان فلو شتم الله ورسوله كان كافراً باطناً وظاهراً عندهم كلهم ومن كان موافقاً لقول جهم في الإيمان بسبب انتصار أبي الحسن لقوله في الإيمان يبقى تارة يقول بقول السلف والأئمة وتارة يقول بقول المتكلمين الموافقين لجهم حتى في مسألة سب الله ورسوله رأيت طائفة من الحنبلين والشافعيين والمالكيين إذا تكلموا بكلام الأئمة قالوا إن هذا كفر باطناً وظاهراً وإذا تكلموا بكلام أولئك قالوا هذا كفر في الظاهر وهو في الباطن يجوز أن يكون مؤمناً تام الإيمان فإن الإيمان عندهم لا يتبعض ولهذا لما عرف القاضي عياض هذا من قول بعض أصحابه أنكروه ونصر قول مالك وأهل السنة وأحسن في ذلك وقد ذكرت بعض ما يتعلق بهذا في كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول وكذلك تجدهم في مسائل الإيمان يذكرون أقوال الأئمة والسلف ويبحثون بحثاً يناسب قول الجهمية لأن البحث أخذوه من كتب أهل الكلام الذين نصروا قول جهم في مسائل الإيمان والرازي لما صنف مناقب الشافعي ذكر قوله في الإيمان وقول الشافعي قول الصحابة والتابعين وقد ذكر الشافعي أنه إجماع من الصحابة والتابعين ومن أقيه استشكل قول الشافعي جداً لأنه كان قد انعقد في نفسه شبهة أهل البدع في الإيمان من الخوارج والمعتزلة والجهمية والكرامية وسائر المرجئة وهو أن الشيء المركب إذا زال بعض أجزائه لزم زواله كله لكن هو لم يذكر إلا ظاهر شبهتهم والجواب عما ذكروه هو سهل فإنه يسلم له أن الهيئة الاجتماعية لم تبق مجتمعة كما كانت لكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الأجزاء والشافعي مع الصحابة والتابعين وسائر السلف يقولون إن الذنب يقدح في كمال الإيمان ولهذا نفى الشارع الإيمان عن هؤلاء فذلك المجموع الذي هو الإيمان لم يبق مجموعاً مع الذنوب لكن يقولون بقي بعضه أما أصله وأما أكثره وأما غير ذلك فيعود الكلام إلى أنه يذهب بعضه ويبقى بعضه ولم يذات كانت المرجئة تنفر من لفظ النقص أعظم من نفورها من لفظ الزيادة لأنه إذا نقص لزم ذهابه كله عندهم إن كان متبعضاً متعدياً عند من يقول بذلك وهم الخوارج والمعتزلة وأما الجهمية فرو واحد عندهم لا يقبل التعدد فيثبتون واحداً لا حقيقة له كما قالوا مثل ذلك في وحدانية الرب ووحدانية صفاته عند من أنبأها منهم ومن المعجب أن الأصل الذي أوقعهم في هذا اعتقادهم أنه لا يجتمع في الإنسان بعض الإيمان وبعض الكفر أو ما هو إيمان وما هو كفر واعتقدوا أن هذا متفق عليه بين المسلمين كما ذكر ذلك أبو الحسن وغيره فلاجل اعتقادهم هذا الإجماع وقعوا فيها هو مخالف للإجماع الحقيقي إجماع السلف الذي ذكره غير واحد من الأئمة بل وصرح غير واحد منهم بكفر من قال بقول جهم في الإيمان ولهذا نظائر متعددة يقول الإنسان قولاً مخالفاً للصدق والإجماع التقديم حقيقة ويكون معتقداً أنه متمسك بالصدق والإجماع وهذا إذا كان مبلغ علمه واجتهاده فله يثبته على ما أطاع الله فيه من اجتهاده ويفر له ما عجز عن معرفته من الصواب الباطن وهم لما توهموا أن الإيمان الواجب على جميع الناس نوع واحد صار بعضهم يظن أن ذلك النوع من حيث هو لا يقبل التفاضل فقال لي مرة بعضهم الإيمان من حيث

هو ايمان لا يقبل الزيادة والنقصان فقلت له قولك من حيث هو كمن يقول الانسان من حيث هو انسان والحيوان من حيث هو حيوان والوجود من حيث هو وجود والسواد من حيث هو سواد وأمثال ذلك لا يقبل الزيادة والنقصان فيثبت له هذه المسميات وجوداً مطلقاً مجرداً عن جميع القيود والصفات وهذا لاحقيقة له في الخارج وإنما هو شيء يقدره الانسان في ذهنه كما يقدر موجوداً لا قديماً ولا حادناً ولا قائماً بنفسه ولا بغيره ويقدر انساناً لا موجوداً ولا معدوماً ويقول الماهية من حيث هي هي لا توصف بوجود ولا عدم والماهية من حيث هي شيء يقدره الذهن وذلك موجود في الذهن لا في الخارج وأما تقدير شيء لا يكون في الذهن ولا في الخارج بمنع وهذا التقدير لا يكون الا في الذهن كسائر تقدير الأمور الممتعة مثل تقدير صدور العالم عن صالعين ونحو ذلك فان هذه المقدرات في الذهن فهكذا تقدير ايمان لا يتصف به مؤمن بل هو مجرد عن كل قيد وتقدير انسان لا يكون موجوداً ولا معدوماً بل ما ثم ايمان الا مع المؤمنين ولا ثم انسانية الا ما اتصف بها الانسان فكل انسان له انسانية تخصه وكل مؤمن له ايمان يخصه فالانسانية زيد تشبه انسانية عمرو ليست هي هي واذا اشتركوا في نوع الانسانية فعنى ذلك انهما يشبهان فيما يوجد في الخارج ويشتركان في أمر كلي مطلق يكون في الذهن . وكذلك اذا قيل ايمان زيد مثل ايمان عمرو فإيمان كل واحد يخصه فلو قدر ان الايمان يتماثل لكان لكل مؤمن ايمان يخصه وذلك الايمان مختص معين ليس هو الايمان من حيث هو هو بل هو ايمان معين وذلك الايمان يقبل الزيادة والذين ينفون التفاضل في هذه الأمور يتصورون في أنفسهم ايماناً مطلقاً أو انساناً مطلقاً أو وجوداً مطلقاً مجرداً عن جميع الصفات المعينة له ثم يظنون ان هذا هو الايمان الموجود في الناس وذلك لا يقبل التفاضل ولا يقبل في نفسه التعدد اذ هو تصور معين قائم في نفس متصوره . ولهذا يظن كثير من هؤلاء ان الأمور المشتركة في شيء واحد هي واحدة بالشخص والعين حتى انتهى الأمر بطائفة من علمائهم علماء وعبادة الى ان جعلوا الوجود كذلك فتصوروا أن الموجودات مشتركة في مسمى الوجود وتصوروا هذا في أنفسهم فظنوه في الخارج كما هو في أنفسهم ثم ظنوا أنه الله فجعلوا الرب هو هذا الوجود الذي لا يوجد قط الا في نفس متصوره ولا يكون في الخارج وهكذا كثير من الفلاسفة تصوروا أعداداً مجردة وحقائق مجردة ويسمونها المثل الافلاطونية وزماناً مجرداً عن الحركة والمتحرك وبعداً مجرداً عن الاجسام وصفاتها ثم ظنوا وجود ذلك في الخارج وهؤلاء كلهم اشتبه عليهم ما في الازدهان بما في الاعيان وهؤلاء قد يجعلون الواحد اثنين والاثنين واحداً فتارة يحيئون الى الأمور المتعددة المتفاضلة في الخارج فيجعلونها واحدة أو متماثلة وتارة يحيئون الى ما في الخارج من الحيوان والمكان والزمان فيجعلون الواحد اثنين والمتفاسفة والجهمية وقعوا في هذا وهذا فجاءوا الى صفات الرب التي هي انه عالم وقادر فجعلوا هذه الصفة هي عين الاخرى وجعلوا الصفة هي الموصوفة . وهكذا الفيلسوف بان الايمان شيء واحد وانه متماثل في بنى آدم غلطوا في كونه واحداً وفي كونه متماثلاً كما غلطوا في أمثال ذلك من مسائل التوحيد والصفات والقرآن ونحو ذلك فكان غلط جهم وأتباعه في لايمان كغلطهم في الرب الذي يؤمن به المؤمنون وفي كلامه

وصفاته سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً وكذلك السواد والبياض يقبل الاشتداد والضعف بل عامة الصفات التي يتصف بها الموصوف تقبل التفاضل ولهذا كان العقل يقبل التفاضل والايجاب والتحرير يقبل التفاضل فيكون ايجاب أقوى من ايجاب وتحريم أقوى من تحريم وكذلك المعرفة التي في القلوب تقبل التفاضل على الصحيح عند أهل السنة وفي هذا كله نزاع فطائفة من المنتسبين الى السنة تشكر التفاضل في هذا كله كما يختار ذلك القاضي أبو بكر وابن عقيل وغيرها . . . وقد حكى عن احمد في التفاضل في المعرفة روايتان وانكار التفاضل في هذه الصفات هي من جلس أصل قول المرجئة ولكن يقوله من يخالف المرجئة وهؤلاء يقولون التفاضل انما هو في الاعمال وأما الايمان الذي هو في القلوب فلا يتفاضل وليس الامر كما قالوه بل جميع ذلك يتفاضل وقد يقولون ان أعمال القلوب تتفاضل بخلاف معارف القلب وليس الامر كذلك بل ايمان القلوب يتفاضل من جهة ما وجب على هذا ومن جهة ما وجب على هذا فلا يستوون في الوجوب وأمة محمد وان وجب عليهم جميعهم الايمان بعد استقرار الشرع فوجوب الايمان بالشي المعين موقوف على أن يبلغ العبد ان كان خيراً وعلى أن يحتاج الى العمل به ان كان أسوأ وعلى العلم ان كان عالماً والا فلا يجب على كل مسلم أن يعرف كل خبر وكل أمر في الكتاب والسنة ويعرف معناه ويعلمه فان هذا لا يقدر عليه أحد فالوجوب مما يتنوع الناس فيه ثم قدرهم في اداء الواجب متفاوتة ثم نفس المعرفة تختلف بالاجال والتفصيل والقوة والضعف ودوام الحضور ومع الغفلة فليست المفصلة المستحضرة الثابتة التي يثبت الله صاحبها بالقول الثابت كالجملات التي غفل عنها واذا حصل له ما يريه فيها وذكرها في قلبه ثم رغب الى الله في كشف الريب ثم أحوال القلوب وأعمالها مثل محبة الله ورسوله وخشية الله والتوكل عليه والصبر على حكمه والشكر له والابانة اليه واخلاص العمل له مما يتفاضل الناس فيها تفاضلاً لا يعرف قدره الا الله عز وجل ومن أنكر تفاضلهم في هذا فهو اما جاهل لم يتصوره واما معاند . . . قال الامام احمد فان زعموا أنهم لا يقبلون زيادة الايمان من أجل أنهم لا يدرون ما زيادته وانها غير محدودة فما يقولون في أنبياء الله وكتبه ورسله هل يقرون بهم في الجملة ويزعمون انه من الايمان فاذا قالوا نعم قيل لهم هل تجدونهم وتعرفون عددهم ليس انما يصيرون في ذلك الى الاقرار بهم في الجملة ثم يكفون عن عددهم فكذلك زيادة الايمان وبين أحد أن كونهم لم يعرفوا منتهى زيادته لا يمنعهم من الاقرار بها في الجملة كما أنهم يؤمنون بالانبياء والكتب وهم لا يعرفون عدد الكتب والرسول وهذا الذي ذكره أحمد وذكره محمد بن نصر وغيرهما يبين أنهم لم يعلموا عدد الكتب والرسول وان حديث أبي ذر في ذلك لم يثبت عندهم وأما قول من سوى بين الاسلام والايمان وقال ان الله سمي الايمان بما سمي به الاسلام وسمي الاسلام بما سمي به الايمان فليس كذلك فان الله ورسوله قد فسر الايمان بانه الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبين أيضاً أن العمل بما أمر يدخل في الايمان ولم يسم الله الايمان بملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت اسلاماً بل انما سمي الاسلام الاستسلام له بقلبه وقصده واخلاص الدين والعمل بما أمر به كالصلاة والزكاة خالصاً لوجهه فهذا هو

الذي ساء الله اسلاما وجعله ديناً وقال (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه) ولم يدخل فيها شخص به الايمان وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله بل ولا عمل القلوب مثل حب الله ورسله ونحو ذلك فان هذه جعلها من الايمان والمسلم المؤمن يتصف بها وليس اذا اتصف بها المسلم المؤمن يلزم أن تكون من الاسلام بل هي من الايمان والاسلام فرض والايمان فرض والاسلام داخل فيه فن أتى بالايمان الذي أمر به فلا بد أن يكون قد أتى بالاسلام المتناول لجميع الاعمال الواجبة ومن أتى بما سمي اسلاما لم يلزم أن يكون قد أتى بالايمان الا بدليل منفصل كما علم ان من أتى الله عليه بالاسلام من الانبياء وأتباعهم الى الحواريين كلهم كانوا مؤمنين كما كانوا مسلمين كما قال الحواريون (آمنّا بالله واشهد بأننا مسلمون) وقال (واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنّا واشهد بأننا مسلمون) ولهذا أمرنا الله بهذا وبهذا في خطاب واحد كما قال (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكم الله وهو السميع العليم) وقال في الآية الأخرى (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) وهذا يقتضي أن كل من دان بغير دين الاسلام فعمله مردود وهو خاسر في الآخرة فيقتضي وجوب دين الاسلام وبطلان ما سواه لا يقتضي أن مسمى الدين هو مسمى الايمان بل أمرنا أن نقول آمنا بالله وأمرنا أن نقول ونحن له مسلمون فأمرنا بأثنين فكيف نجعلهما واحداً واذا جعلوا الاسلام والايمان شيئاً واحداً فاما أن يقولوا اللفظ مترادف فيكون هذا تكريراً محضاً ثم مدلول هذا اللفظ غير مدلول هذا اللفظ واما أن يقولوا بل أحد اللفظين يدل على صفة غير الصفة الأخرى كما في أسماء الله وأسماء كتابه لكن هذا لا يقتضي الأمر بهما جميعاً ولكن يقتضي أن يذكر تارة بهذا الوصف وتارة بهذا الوصف فلا يقول قائل قد فرض الله عليك الصلوات الخمس والصلاة المكتوبة وهذا هو هذا والعطف بالصفات يكون اذا قصد بيان الصفات لما فيها من المدح أو الذم كقوله (سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى) لا يقال صل لربك الأعلى وربك الذي خلق فسوى وقال محمد بن نصر المروزي رحمه الله فقد بين الله في كتابه وسنة رسوله ان الاسلام والايمان لا يفترقان فمن صدق بالله فقد آمن به ومن آمن بالله فقد خضع له وقد أسلم له ومن صام وصلى وقام بفرائض الله وانتهى عما نهى الله عنه فقد استكمل الايمان والاسلام المفترض عليه ومن ترك من ذلك شيئاً فلن يزول عنه اسم الايمان ولا الاسلام الا أنه أنقص من غيره في الاسلام والايمان من غير نقصان من الاقرار بأن الله حق وما قال حق لا باطل وصدق لا كذب ولكن ينقص الايمان الذي هو تعظيم الله وخضوع لله للهيبة والجلال والطاعة للمصدق به وهو الله في ذلك يكون النقصان لا من اقرارهم بأن الله حق وما قال صدق فيقال ماذا كره يدل على ان من أتى بالايمان الواجب فقد أتى بالاسلام ولكن حق هذا ليس فيه ما يدل على ان من أتى بالاسلام الواجب فقد أتى بالايمان فقوله من آمن بالله فقد خضع له وقد استسلم له حق لكن أي شيء

في هذا يدل على ان من أسلم لله وخضع له فقد آمن به وبملائكته وبكتبه ورسوله والبعث بعد الموت وقوله ان الله ورسوله قد بين ان الاسلام والايمان لا يفرقان ان أراد ان الله أوجبهما جميعاً ونهى عن التفريق بينهما فهذا حق وان أراد ان الله جعل مسمى هذا مسمى هذا فنصوص الكتاب والسنة تخالف ذلك وما ذكر قط نصاً واحداً يدل على اتفاق المسميين وكذلك قوله من فعل ما أمر به وانتهى عما نهى عنه فقد استكمل الايمان والاسلام فهذا صحيح اذا فعل ما أمر به باطناً وظاهراً ويكون قد استكمل الايمان والاسلام الواجب عليه ولا يلزم أن يكون إيمانه وإسلامه مساوياً للايمان والاسلام الذي فعله أولو العزم من الرسل كإبراهيم ومحمد خاتم النبيين عليهما الصلاة والسلام بل كان معه من الايمان والاسلام ما لا يقدر عليه غيره ولم يؤمر به وقوله من ترك من ذلك شيئاً قلن يزول عنه اسم الاسلام والايمان الا انه انقص من غيره في ذلك فيقال ان أريد بذلك انه بقي معه شيء من الاسلام والايمان فهذا حق كما دلت عليه النصوص خلافاً للخروج والمعتزلة وان أراد انه يطلق عليه بلا تقييد مؤمن ومسلم في سياق الثناء والوعد بالجنة فهذا خلاف الكتاب والسنة ولو كان كذلك لدخلوا في قوله (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار) وأمثال ذلك مما وعدوا فيه بالجنة بلا عذاب . . . وأيضاً فصاحب الشرع قد نفي عنهم الاسم في غير موضع بل قال قتل المؤمن كفر وقل لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض واذا احتج بقوله (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) ونحو ذلك قيل هؤلاء انما سموا به مع التقييد بأنهم فعلوا هذه الامور لئلا يترك ما يؤمرون به هم وما يؤمر به غيرهم وكذلك قوله لا يكون النقصان من اقرارهم بان الله حق وما قاله صدق فيقال بل النقصان يكون في الايمان الذي في القلوب من معرفتهم ومن عملهم فلا تكون معرفتهم وتصديقهم بالله وأسمائه وصفاته وما قاله من أمر ونهى ووعد ووعد كعرفة غيرهم وتصديقه لامن جهة الاجمال والتفصيل ولا من جهة القوة والضعف ولا من جهة الذكر والغفلة وهذه الامور كلها داخلية في الايمان بالله وما ارسل به رسوله وكيف يكون الايمان بالله وأسمائه وصفاته متمثلاً في القلوب أم كيف يكون الايمان بانه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وانه غفور رحيم عزيز حكيم شديد العقاب ليس هو من الايمان به فلا يكن مسلماً من يقول ان الايمان بذلك ليس من الايمان به ولا يدعي تماثل الناس فيه وأما ما ذكره من ان الاسلام ينقص كما ينقص الايمان فهذا أيضاً حق كما دلت عليه الاحاديث الصحيحة فان من نقص من الصلاة والزكاة أو الصوم أو الحج شيئاً فقد نقص من اسلامه بحسب ذلك ومن قال ان الاسلام هو الكلمة فقط وأراد بذلك انه لا يزيد ولا ينقص فقوله خطأ ورد الذين جعلوا الاسلام والايمان سواء انما يتوجه على هؤلاء فان قولهم في الاسلام يشبه قول المرجئة في الايمان . . . ولهذا صار الناس في الايمان والاسلام على ثلاثة أقوال فالمرجئة يقولون الاسلام أفضل فانه يدخل فيه الايمان وآخرون يقولون الايمان والاسلام سواء وهم المعتزلة والخوارج وطائفة من أهل الحديث والسنة وحكاه محمد بن نصر عن جمهورهم وليس كذلك والقول الثالث ان الايمان أكمل وأفضل وهذا هو الذي دل عليه الكتاب والسنة في غير موضع وهو

المأثور عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان ثم هؤلاء منهم من يقول الإسلام مجرد القول والأعمال ليست من الإسلام والصحيح أن الإسلام هو الأعمال الظاهرة كلها واحداً منع الاستثناء فيه على قول الزهري هو الكلمة هكذا نقل الأثر والميموني وغيرهما عنه وأما على جوابه الآخر الذي لم يختر فيه قول من قال الإسلام الكلمة فيستثنى في الإسلام كما يستثنى في الإيمان فإن الإنسان لا يجزم بأنه قد فعل كل ما أمر به من الإسلام وإذا قال النبي صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وبني الإسلام على خمس فجزمه بأنه فعل الخمس بلا نقص كما أمر كجزمه بإيمانه فقد قال تعالى (ادخلوا في السلم كافة) أي الإسلام كافة أي في جميع شرائع الإسلام وتعليل أحمد وغيره من السلف ما ذكره في اسم الإيمان يجيء في اسم الإسلام فإذا أريد بالإسلام الكلمة فلا استثناء فيه كما نص عليه أحمد وغيره وإذا أريد به فعل الواجبات الظاهرة كلها فلا استثناء فيه كالاستثناء في الإيمان ولما كان كل من أتى بالشهادتين صار مسلماً متميزاً عن اليهود والنصارى تجري عليه أحكام الإسلام التي تجري على المسلمين كان هذا مما يجزم به بلا استثناء فيه فلهذا قال الزهري الإسلام الكلمة وعلى ذلك وافقه أحمد وغيره وحين وافقه لم يرد أن الإسلام الواجب هو الكلمة وحدها فإن الزهري أجل من أن يخفى عليه ذلك ولهذا أحمد لم يجب بهذا في جوابه الثاني خوفاً من أن يظن أن الإسلام ليس هو إلا الكلمة وهذا ما قال الأثر لاحد فإذا قال أنا مسلم فلا يستثنى قال نعم لا يستثنى إذا قل أنا مسلم قال فقلت له أقول هذا مسلم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وأنا أعلم أنه لا يسلم الناس منه فذكر حديث معمر عن الزهري قال فترى أن الإسلام الكلمة والإيمان العمل فين أحمد أن الإسلام إذا كان الكلمة فلا استثناء فيها حيث كان هو المفهوم من لفظ الإسلام فلا استثناء فيه ولو أريد بالإيمان هذا كما براد ذلك في مثل قوله فتحرير رقبة مؤمنة فأنما أريد من أظهر الإسلام فإن الإيمان الذي علق به أحكام الدنيا هو الإيمان الظاهر وهو الإسلام فالمسمى واحد في الأحكام الظاهرة ولهذا لما ذكر الأثر لاحد احتجاج المرجئة بقول النبي صلى الله عليه وسلم اعتقها فإنها مؤمنة أجابه بأن المراد حكمها في الدنيا حكم المؤمن لم يرد أنها مؤمنة عند الله تستحق دخول الجنة بلا نار إذا لقيته بمجرد هذا الاقرار وهذا هو المؤمن المطلق في كتاب الله وهو الموعود بالجنة بلا نار إذا مات على إيمانه ولهذا كان ابن مسعود وغيره من السلف يلزمون من شهد لنفسه بالإيمان أن يشهد لها بالجنة يعنون إذا مات على ذلك فإنه قد عرف أن الجنة لا يدخلها إلا من مات مؤمناً فإذا قال الإنسان أنا مؤمن قطعاً وأنا مؤمن عند الله قبله فاقطع بأنك تدخل الجنة بلا عذاب إذا مات على هذا الحال فإن الله أخبر أن المؤمنين في الجنة وأنكر أحمد بن حنبل حديث ابن عمر أن عبد الله رجع عن الاستثناء فإن ابن مسعود لما قيل له إن قوماً يقولون أنا مؤمنون فقال أفلا سألتموهم أي الجنة هم وفي رواية أفلا قالوا نحن أهل الجنة وفي رواية قيل له إن هذا يزعم أنه مؤمن قال فاسألوه أي الجنة هو أو في النار فاسألوه فقال الله أعلم فقد له عبد الله فهلا وكلت الأولى كما وكلت الثانية من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل ومن قال هو في الجنة فهو في النار يروي عن عمر بن

الخطاب من وجوه مراسلا من حديث قتادة ونعيم بن أبي هند وغيرهما . . . والسؤال الذي تورده
المرجئة على ابن مسعود ويقولون ان يزيد بن عمية أورد عليه حتي رجع جعل هذا ان الانسان يعلم
حاله الآن وما يدري ماذا يموت عليه وهذا السؤال صار طائفة كثيرة يقولون المؤمن هو من سبق في
علم الله انه يحتم له بالايمان والكافر من سبق في علم الله انه كافر وانه لا اعتبار بما كان قبل ذلك وعلى هذا
يجعلون الاستثناء وهذا أحد قولي الناس من أصحاب أحمد وغيرهم وهو قول أبي الحسن وأصحابه لكن
أحمد وغيره من السلف لم يكن هذا مقصودهم وانما مقصودهم ان الايمان المطلق يتضمن فعل المأمورات
فقوله أنا مؤمن كقوله أنا ولي الله وأنا مؤمن تقي وأنا من الابرار ونحو ذلك وابن مسعود رضى الله عنه
لم يكن يخفى عليه أن الجنة لا تكون الا لمن مات مؤمناً وان الانسان لا يعلم على ماذا يموت فان ابن مسعود
أجل قدراً من هذا وانما أراد سلوه هل هو في الجنة ان مات على هذه الحال كأنه قال سلوه أيكون من
أهل الجنة على هذه الحال فلما قال الله ورسوله أعلم قال أفلا وكلت الأولي كما وكلت الثانية يقول هذا
التوقف يدل على أنك لا تشهد لنفسك بفعل الواجبات وترك المحرمات فانه من شهد لنفسه بذلك شهد
لنفسه انه من أهل الجنة ان مات على ذلك ولهذا صار الذين لا يرون الاستثناء لأجل الحال الحاضر بل
للموافاة لا يقطعون بان الله لا يقبل توبة تائب كما لا يقطعون بان الله تعالى يعاقب مذنباً فانهم لو قطعوا
بقبول توبته لزمهم أن يقطعوا له بالجنة وهم لا يقطعون لأحد من أهل القبلة لا بجنة ولا نار الا من
قطع له النص واذا قيل الجنة هي لمن أتى بالتوبة النصوح من جميع السيئات قالوا ولو مات على هذه
التوبة لم تقطع له بالجنة وهم لا يستثنون في الاحوال بل يجزمون بأن المؤمن تام الايمان ولكن عندهم
الايمان عند الله هو ما يوافي به فمن قطعوا له بأنه مات مؤمناً لاذنب له قطعوا له بالجنة فلهذا لا يقطعون
بقبول التوبة لئلا يلزمهم أن يقطعوا بالجنة وأما أئمة السلف فانما لم يقطعوا بالجنة لأنهم لا يقطعون بانه
فعل المأمور وترك المحذور ولا انه أتى بالتوبة النصوح والا فهم يقطعون بأن من تاب توبة نصوحا قبل
الله توبته . . . وجماع الامة ان الاسم الواحد يثني ويثبت بحسب الاحكام المتعلقة به فلا يجب اذا أثبت أو
نفي في حكم أن يكون كذلك في سائر الاحكام وهذا في كلام العرب وسائر الامم لأن المعنى مفهوم مثال
ذلك المنافقين قد يجعلون من المؤمنين في موضع وفي موضع آخر يقال ما هم منهم قال الله تعالى (قد
يعلم الله المعوقين منكم والقائين لاخوانهم لهم البناولا يأتون بالبأس الا قليلا أشعة عليكم فاذا جاء الخوف
رأيهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يفشي عليه من الموت فاذا ذهب الخوف ساقوكم بالسنة حداد
أشعة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً) فهناك جعل هؤلاء
المنافقين الخائفين من العدو الناكسين عن الجهاد الناهين لغيرهم الزامين للمؤمنين منهم وقال في آية أخرى
(ويخلفون بالله انهم لننكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا
لولوا اليه وهم يجمعون) وهؤلاء ذنبهم أخف فانهم لم يؤذوا المؤمنين لا بنبي ولا ساق بالسنة حداد
ولكن حلفوا بالله انهم من المؤمنين في الباطن بقلوبهم والا فقد علم المؤمنون انهم في الظاهر فكذبهم

الله وقال وما هم منكم وهناك قال قد يعلم الله المعوقين منكم فالخطاب لمن كان في الظاهر مسلماً مؤمناً بان منكم من هو بهذه الصفة وليس مؤمناً بل أحبط الله عمله فهو منكم في الظاهر لا الباطن . . . ولهذا لما استؤذن النبي صلى الله عليه وسلم في قتل بعض المنافقين قل لا يتحدث الناس ان محمداً يقتل أصحابه فانهم من أصحابه في الظاهر عند من لا يعرف حقائق الأمور وأصحابه الذين هم أصحابه ليس فيهم نفاق كالذين علموا سنته الناس وبلغوها اليهم وقتلوا المرتدين بعد موته والذين بايعوه تحت الشجرة وأهل بدر وغيرهم بل الذين كانوا منافقين غمار من الناس . . . وكذلك الانساب مثل كون الانسان أبا الآخر أو أخاه يثبت في بعض الاحكام دون بعض فانه قد ثبت في الصحيحين انه لما اختصم الي النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن أبي وقاص وعبد بن زمعة بن الاسود في ابن وليدة زمعة وكان عتبة بن أبي وقاص قد فجر بها في الجاهلية وولدت منه ولداً فقال عتبة لآخيه سعد اذ قدمت مكة فانظر ابن وليدة زمعة فانه ابني فاختصم فيه هو وعبد بن زمعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقل سعد يا رسول الله ابن أخي عتبة عهد الى أخي عتبة فيه اذا قدمت مكة انظر الى ابن وليدة زمعة فانه ابني ألا ترى يا رسول الله شبهه بعتبة فقال عبد يا رسول الله أخي وابن وليدة أبي ولد على فراش أبي فرأي النبي صلى الله عليه وسلم شهاً بيناً بعتبة فقال هولاء يا عبد بن زمعة الولد للفراش وللعاهر الحجر واحتجبي منه يا سودة لما رأى من شبهه البين بعتبة فقد جعله النبي صلى الله عليه وسلم ابن زمعة لانه ولد على فراشه وجعله أخاً لولده بقوله فهو لك يا عبد ابن زمعة وقد صارت سودة أخته يرثها وترثه لانه ابن أبيها زمعة ولد على فراشه ومع هذا فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن تحتجب منه لما رأى من شبهه البين بعتبة فانه قام فيه دليلان متعارضان الفراش والشبه والنسب في الظاهر لصاحب الفراش أقوى ولانها أمر ظاهر مباح والفجور أمر باطن لا يعلم ويجب ستره لا إظهاره كما قال للعاهر الحجر كما يقال بفيك الككثك وبفيك الأثاب أي عليك أن تسكت عن اظهار الفجور فان الله يفض ذلك ولما كان احتجابها منه ممكناً من غير ضرر أمرها بالاحتجاب لما ظهر من الدلالة على انه ليس أخاها في الباطن فتبين ان الاسم الواحد يثبت في حكم ويثبت في حكم فهو أخ في الميراث وليس بأخ في المحرمية وكذلك ولد الزنا عند بعض العلماء وابن الملاعة عند الجميع الا من شذ ليس بولد في الميراث ونحوه وهو ولد في تحريم النكاح والمحرمية . . . ولفظ النكاح وغيره في الأمر يتناول الكمال وهو العقد والوطء كما في قوله (وأنكحوا ما طاب لكم من النساء) وقوله (حتى تنكح زوجاً غيره) وفي النهي يعم الناقص والكمال فينبغي عن العقد مفرداً وان لم يكن وطء كقوله (ولا تنكحوا ما نكح آبؤكم من النساء) وهذا لان الأمر مقصوده تحصيل المصلحة وتحصيل المصلحة انما يكون بالدخول كما لو قال اشتر لي طعاماً فللمقصود ما يحصل الا بالشراء والقبض والناهي مقصوده دفع المفسدة فيدفع كل جزء منه لان وجوده مفسدة وكذلك النسب والميراث معلق بالكمال منه والتحريم معلق بأدنى سبب حتى الرضاع . . . وكذلك كل ما يكون له مبتدأ وكل ينفي تارة باعتبار انتفاء كماله ويثبت تارة باعتبار ثبوت مبدأه فلفظ الرجال يعم المذكور وان كانوا صغاراً في مثل قوله (وان

كانوا أخوة رجالاً ونساءً فلذلك مثل حظ الأتيين) ولا يم الصغار في مثل قوله (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) فإن باب الهجرة والجهاد عمل يعمله القادرون عليه فلو اقتصر على ذكر المستضعفين من الرجال لظن أن الولدان غير داخلين لأنهم ليسوا من أهله وهم ضعفاء فدكرهم بالاسم الخاص ليثبت عذرهم في ترك الهجرة ووجوب الجهاد وكذلك الإيمان له مبدأ وكان وظاهر وباطن فاذا علقته بالأحكام الدنيوية من الحقوق والحدود كحفظ الدم والمال والموارث والعقوبات الدنيوية علقته بظاهره لا يمكن غير ذلك إذ تعليق ذلك بالباطن متعذر وإن قدر أحياناً فهو متعسر علماً وقدرة فلا يعلم ذلك علماً يثبت به في الظاهر ولا يمكن عقوبة من يعلم ذلك منه في الباطن وبهذين المثليين كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمتع من عقوبة المنافقين فإن فيهم من لم يكن يعرفهم كما أخبر الله بذلك والذين كان يعرفهم لو عاقب بعضهم لغضب له قومه ولقال الناس إن محمداً يقتل أصحابه فكان يحصل بسبب ذلك نفور عن الإسلام إذ لم يكن الذنب ظاهراً يشترك الناس في معرفته ولما هم بعقوبة من يتخلف عن الصلاة منعه من في البيوت من النساء والذرية وأما مبدأه فيتعلق به خطاب الأمر والنهي فإذا قال الله (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة) ونحو ذلك فهو أمر في الظاهر لكل من أظهره وهو خطاب في الباطن لكل من عرف من نفسه أنه مصدق للرسول وإن كان عاصياً وإن كان لم يقم بالواجبات الباطنة والظاهرة وذلك أنه إن كان لفظ الذين آمنوا يتناولهم فلا كلام وإن كان لم يتناولهم فذلك لذنبهم فلا تكون ذنوبهم مانعة من أمرهم بالحسنات التي إن فعلوها كانت سبب رحمتهم وإن تركوها كان أمرهم بها وعقوبتهم عليها عقوبة على ترك الإيمان والكافر يجب عليه أيضاً لكن لا يصح منه حق يؤمن وكذلك المنافق المحض لا يصح منه في الباطن حتى يؤمن وأما من كان معه أول الإيمان فهذا يصح منه لأن معه إقرار في الباطن بوجوب ما أوجبه الرسول وتحريم ما حرمه وهذا سبب الصحة وأما كماله فيتعلق به خطاب الوعد بالجنة والنصرة والسلامة من النار فإن هذا الوعد إنما هو لمن فعل المأمور وترك المحذور ومن فعل بعضاً وترك بعضاً فينبأ على ما فعله ويعاقب على ما تركه فلا يدخل هذا في اسم المؤمن المستحق للحمد والثناء دون الذم والعقاب ومن أنفى عنه الرسول الإيمان فنفى الإيمان في هذا الحكم لأنه ذكر ذلك على سبيل الوعيد والوعيد إنما يكون بنفي ما يقتضي الثواب ويدفع العقاب ولهذا ما في الكتاب والسنة من نفى الإيمان عن أصحاب الذنوب فإنما هو في خطاب الوعيد والذم لا في خطاب الأمر والنهي ولا أحكام الدنيا واسم الإسلام والإيمان والاحسان هي أسماء ممدوحة مرغوب فيها لحسن العاقبة لأنها فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن العاقبة الحسنة لمن انصف بها على الوجه الذي بينه ولهذا كان من نفى عنهم الإيمان أو الإيمان والإسلام جميعاً ولم يجعلهم كفاراً إنما نفى ذلك في أحكام الآخرة وهو إثواب لم ينفع في أحكام الدنيا لكن المعترلة ظنت أنه إذا انتفى الاسم انتفت جميع أجزائه فلم يجعلوا معهم شيئاً من الإيمان والإسلام فجعلوهم مغلدين في النار وهذا خلاف الكتاب والسنة واجماع السلف ولو لم يكن معهم شيء من الإيمان والإسلام لم يثبت في حقهم

شيء من أحكام المؤمنين والمسلمين لكن كانوا كالمناققين وقد ثبت بالكتاب والسنة والاجماع التفريق
 بين المنافق الذي يكذب الرسول في الباطن وبين المؤمن المذنب فالتعزلة سواها بين أهل الذنوب وبين
 المنافقين في أحكام الدنيا والآخرة في ابي الاسلام والايمان عنهم بل قد يثبتونه للمنافق ظاهراً وينفونه عن المذنب
 باطناً وظاهراً فان قيل فاذا كان كل مؤمن مسلماً وليس كل مسلم مؤمناً الايمان الكامل كما دل عليه حديث
 جبريل وغيره من الاحاديث مع القرآن وكما ذكر ذلك عن ذكر عنه من السلف لان الاسلام الطاعات
 الظاهرة وهو الاستسلام والانقياد لان الاسلام في الاصل هو الاستسلام والانقياد وهذا هو الانقياد
 والطاعة والايمان فيه معنى التصديق والطمأنينة وهذا قدر زائد فما تقولون فيمن فعل ما أمر الله وترك
 ما نهى الله عنه مخلصاً لله تعالى باطناً وظاهراً أليس هذا مسلماً باطناً وظاهراً وهو من أهل الجنة واذا كان
 كذلك فالجنة لا بدخلها الا نفس مؤمنة فهذا يجب ان يكون مؤمناً قلنا قد ذكرنا غير مرة انه لا بد ان
 يكون معه الايمان الذي وجب عليه اذ لو لم يؤد الواجب لكان معرضاً للوعيد لكن قد يكون من الايمان
 ما لا يجب عليه اما لكونه لم يخاطب به أو لكونه كان عاجزاً عنه وهذا أولى لان الايمان الموصوف في
 حديث جبريل والاسلام لم يكونا واجبيين في أول الاسلام بل ولا واجبا على من تقدم قبلنا من الامم
 اتباع الانبياء أهل الجنة مع أنهم مؤمنون مسلمون ومع أن الاسلام دين الله الذي لا يقبل ديناً غيره
 وهو دين الله في الاولين والآخرين لأن الاسلام عبادة الله وحده لا شريك له بما أمر فقد تنوع
 أوامره في الشريعة الواحدة فضلاً عن الشرائع فيصير في الاسلام بعض الايمان بما يخرج عنه في وقت
 آخر كالصلاة الى الصخرة كان من الاسلام حين كان الله أمراً به ثم خرج من الاسلام لما نهى الله عنه
 ومعلوم ان الخمس المذكورة في حديث جبريل لم تجب في أول الامر بل الصيام والحج وفرائض الزكاة
 انما وجبت بالمدينة والصلاة الخمس انما وجبت ليلة المعراج وكثير من الاحاديث ليس فيها ذكر الحج
 لتأخر وجوبه الى سنة تسع أو عشر على أصح القولين ولما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم كان من
 اتبعه وآمن بما جاء به مؤمناً مسلماً واذا مات كان من أهل الجنة ثم انه بعد هذا زاد الايمان والاسلام
 حتى قال تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم) وكذلك الايمان فان هذا الايمان المفصل الذي ذكره في
 حديث جبريل لم يكن مأموراً به في أول الامر لما أنزل الله سورة العلق والمدثر بل انما جاء هذا في السور
 المدنية كالبقرة والنساء واذا كان كذلك لم يلزم أن يكون هذا الايمان المفصل واجباً على ما تقدم قبلنا
 واذا كان كذلك فقد يكون الرجل مسلماً يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً ومعه الايمان الذي فرض
 عليه وهو من أهل الجنة وليس معه هذا الايمان المذكور في حديث جبريل لكن هذا يقل معه ما أمر
 به من الايمان والاسلام وقد يكون مسلماً يعبد الله كما أمره ولا يعبد غيره ويخافه ويرجوه ولكن لم
 يخلص الى قلبه أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواه ولا أن يكون الله ورسوله والجهاد في سبيله
 أحب اليه من جميع أهله وماله وأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه وأن يخاف الله لا يخف غيره وأن لا يتوكل
 الا على الله وهذه كلها من الايمان الواجب وليست من لوازم الاسلام فان الاسلام هو الاستسلام وهو

يتضمن الخضوع لله وحده والالتياذ له والعبودية لله وحده وهذا قد يتضمن خوفه ورجاءه وأما طمأنينة القلب بمحبته وحده وأن يكون أحب اليه مما سواهما وبالتوكل عليه وحده وبأن يجب لأخيه المؤمن ما يجب لنفسه فهذه من حقائق الايمان التي تختص به فمن لم يتصف بها لم يكن من المؤمنين حقاً وإن كان مسلماً وكذلك وجل قلبه إذا ذكر الله وكذلك زيادة الايمان إذا تليت عليه آياته ٥٥ فان قيل فقوات هذا الايمان من الذنوب أم لا قيل إذا لم يبلغ الانسان الخطاب الموجب لذلك لا يكون تركه من الذنوب إذا كان قادراً على ذلك وكثير من الناس أو أكثرهم ليس عندهم هذه التفاصيل التي تدخل في الايمان مع أنهم قائمون بالطاعة الواجبة في الاسلام وإذا وقعت منهم ذنوب تابوا واستغفروا منها وحقائق الايمان التي في القلوب لا يعرفون وجوبها بل ولا أنها من الايمان بل كثير ممن يعرفها منهم يظن أنها من النوازل المستحبة ان صدق بوجودها فالاسلام يتناول من أظهر الاسلام وليس معه شيء من الايمان وهو المناق في المحض ويتناول من أظهر الاسلام مع التصديق المحض في الباطن ولكن لم يغفل الواجب كله لا من هذا ولا هذا وهم الفساق يكون في أحدهم شعبة نفاق ويتناول من أتى بالاسلام الواجب وما يلزمه من الايمان ولم يأت تمام الايمان الواجب وهؤلاء ليسوا فساقاً تاركون فريضة ظاهرة ولا مرتكبون محرماً ظاهراً لكن تركوا من حقائق الايمان الواجبة علماً وعملاً بالقلب يتبعه بعض الجوارح ما كانوا به مذمومين وهذا هو النفاق الذي كان يخافه السلف على نفوسهم فان صاحبه قد يكون فيه شعبة نفاق وبعد هذا ما ميز الله به المقربين على الأبرار أصحاب اليمين من ايمان وتوابعه وذلك قد يكون من باب المستحبات وقد يكون أيضاً مما فضل به المؤمن ايمان واسلام مما وجب عليه ولم يجب على غيره ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فليسهه فان لم يستطع فليقلبه وذلك أضعف الايمان وفي الحديث الآخر ليس وراء ذلك من الايمان مثقل حبة خردل فان مراده أنه لم يبق بعد هذا الانكار ما يدخل في الايمان حتى يفعل المؤمن بل الانكار بالقلب آخر حدود الايمان ليس مراده ان من لم ينكر ذلك لم يكن معه من الايمان حبة خردل ولهذا قال ليس وراء ذلك فجعل المؤمنين ثلاث طبقات وكل منهم فعل الايمان الذي يجب عليه لكن الاول لما كان أقدرهم كان الذي يجب عليه أكمل مما يجب على الثاني وكان ما يجب على الثاني أكثر مما يجب على الآخر وعلم بذلك ان الناس يتفاضلون في الايمان الواجب عليهم بحسب استطاعتهم مع بلوغ الخطاب اليهم كلهم

فصل ٥ وأما الاستثناء في الايمان بقول الرجل أنا مؤمن ان شاء الله فلناس فيه على ثلاثة أقوال منهم من يوجبهم ومن يحرمة ومنهم من يجوز الأمرين باعتبارين وهذا أصح الأقوال فالذين يحرمونهم المرجحة والجهمية ونحوهم ممن يجعل الايمان شيئاً واحداً يعلمه الانسان من نفسه كالتصديق بالرب ونحو ذلك مما في قلبه فيقول أحدهم أنا أعلم اني مؤمن كما أعلم اني تكلمت بالشهادتين وكما أعلم اني قرأت الفاتحة وكما أعلم اني أحب رسول الله وانى أبغض اليهود والنصارى فتقولي أنا مؤمن كقولي أنا مسلم وكقولي تكلمت بالشهادتين وقرأت الفاتحة وكقولي أنا أبغض اليهود والنصارى ونحو ذلك من

الامور الحاضرة التي أنا أعلمها وأقطع بها وكأنه لا يجوز أن يقال أنا قرأت الفاتحة ان شاء الله كذلك لا يقول أنا مؤمن ان شاء الله لكن اذا كان يشك في ذلك فيقول فعلته ان شاء الله قالوا فن استثنى في إيمانه فهو شاك فيه وسموهم الشكاكية . . . والذين أوجبوا الاستثناء لهم مأخذان أحدهما ان الإيمان هو مامات عليه الانسان والانسان انما يكون عند الله مؤمناً وكافراً باعتبار الموافاة وما سبق في علم الله انه يكون عليه وما قبل ذلك لا عبرة به قالوا والإيمان الذي يتعقبه الكفر فيموت صاحبه كافراً ليس بإيمان كالصلاة التي يفسدها صاحبها قبل الكمال وكالصيام الذي يفطر صاحبه قبل الغروب وصاحب هذا هو عند الله كافر لعلمه بما يموت عليه وكذلك قالوا في الكفر وهذا المأخذ مأخذ كثير من المتأخرين من الكلامية وغيرهم ممن يريد أن ينصر ما اشتهر عن أهل السنة والحديث من قولهم أنا مؤمن ان شاء الله ويريد مع ذلك ان الإيمان لا يتفاضل ولا يشك الانسان في الموجود منه وانما يشك في المستقبل وانضم الى ذلك انهم يقولون بحجة الله ورضاء وسخطه وبفضه قديم ثم هل ذلك هو الارادة أم صفات أخر لهم في ذلك قولان وأكثر قدمائهم يقولون ان الرضا والسخط والقبض ونحو ذلك صفات ليست هي الارادة كما ان السمع والبصر ليس هو العلم وكذلك الولاية والعداوة هذه كلها صفات قديمة أزلية عند أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب ومن اتبعه من المتكلمين ومن اتباع المذاهب من الحنبلية والشافعية والمالكية وغيرهم قالوا والله يجب في أزله من كان كافراً اذا علم انه يموت مؤمناً فالصحة ما زالوا محبوبين لله وان كانوا قد عبدوا الاصنام مدة من الدهر وابليس ما زال الله يفضله وان كان لم يكفر بعد وهذا على أحد القولين لهم فالرضا والسخط يرجع الى الارادة والارادة تطابق العلم فالمعنى ما زال الله يريد أن يثيب هؤلاء بعد إيمانهم ويعاقب ابليس بعد كفره وهذا معنى صحيح فالله يريد أن يخلق كلما علم أن سيخلقه وعلى قول من يثبتها صفات أخر يقول هو أيضا حجة تابع لمن يريد أن يثيبه فكل من أراد اثابته فهو يحبه وكل من أراد عقوبته فانه يفضله وهذا تابع للعلم وهؤلاء عندهم لا يرضى عن أحد بعد أن كان ساخطاً عليه ولا يفرح بتوبة عبد بعد أن تاب عليه بل ما زال يفرح بتوبته والفرح عندهم اما الارادة واما الرضا والمعنى ما زال يريد اثابته أو يرضى عما يريد اثابته وكذلك لا يفضض عندهم يوم القيامة دون ما قبله بل غضبه قديم اما بمعنى الارادة واما بمعنى آخر فهو هؤلاء يقولون اذا علم ان الانسان يموت كافراً لم يزل مردياً لعقوبته فذلك الإيمان الذي كان معه باطل لا فائدة فيه بل وجوده كعدمه فليس هذا بمؤمن أصلاً واذا علم انه يموت مؤمناً لم يزل مردياً لاثابته وذلك الكفر الذي فعله وجوده كعدمه فلم يكن هذا كافراً عندهم أصلاً فهو هؤلاء يستثنون في الإيمان بناء على هذا المأخذ وكذلك بعض محققين يستثنون في الكفر مثل أبي منصور الباتريدي فان ما ذكره مطرد فيهما ولكن جواهر الأئمة على انه لا يستثنى في الكفر والاستثناء فيه بدعة لم يعرف عن أحد من السلف ولكن هو لازم لهم . . . والذين فرقوا من هؤلاء قالوا نستثنى في الإيمان رغبة الى الله في أن يثبتنا عليه الى الموت والكفر لا يرغب فيه أحد لكن يقال اذا كان قولك مؤمناً كقولك في الجنة فانت تقول عن الكافر هو كافر ولا تقول هو في النار الا معلقاً بموته على الكفر فدل على انه كافر في الحال

قطعاً وإن جاز أن يصير مؤمناً كذلك المؤمن وسواء أخبر عن نفسه أو عن غيره فلو قيل عن يهودي أو نصراني هذا كافر قال إن شاء الله إذا لم يعلم أنه يموت كافراً وعند هؤلاء لا يعلم أحد أحد مؤمناً إلا إذا علم أنه يموت عليه وهذا القول قاله كثير من أهل الكلام أصحاب ابن كلاب ووافقهم على ذلك كثير من أتباع الأئمة لكن ليس هذا قول أحد من السلف لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم ولا كان أحد من السلف الذين يستثنون في الأيمان يعلمون بهذا لا أحد ولا من قبله وما أخذ هذا القول طرده طائفة ممن كانوا في الأصل يستثنون في الأيمان اتباعاً للسلف وكانوا قد أخذوا الاستثناء عن السلف وكان أهل الشام شديدين على المرجئة وكان محمد بن يوسف الفريابي صاحب الثوري مرابطاً بعسقلان لما كانت معمورة وكانت من خيار ثغور المسلمين ولهذا كان فيها فضائل لفصيلة الرباط في سبيل الله وكانوا يستثنون في الأيمان اتباعاً للسلف واستثنوا أيضاً في الأعمال الصالحة كقول الرجل صليت إن شاء الله ونحو ذلك بمعنى القبول لما في ذلك من الآثار عن السلف ثم صار كثير من هؤلاء بأخرة يستثنون في كل شيء فيقول هذا نوبى إن شاء الله وهذا جبل إن شاء الله فإذا قيل لأحدهم هذا لا شك فيه قال نعم لا شك فيه لكن إذا شاء الله أن يغيره غيره فيريدون بقولهم إن شاء الله جواز تغييره في المستقبل وإن كان في الحال لا شك فيه كأن الحقيقة عندهم التي لا يستثنى فيها ما لم يتبدل كما يقوله أولئك في الأيمان أن الأيمان ما علم الله أنه لا يتبدل حتى يموت صاحبه عليه لكن هذا القول قاله قوم من أهل العلم والدين باجتهاد ونظر وهؤلاء الذين يستثنون في كل شيء تلقوا ذلك عن بعض أتباع شيخهم وشيخهم الذي ينتسبون إليه يقال أبو عمرو عثمان بن مرزوق لم يكن ممن يرى هذا الاستثناء بل كان في الاستثناء على طريقة من كان قبله ولكن أحدث ذلك بعض أصحابه بعده وكان شيخهم منتسباً إلى الإمام أحمد وهو من أتباع عبد الوهاب بن الشيبخ أبي الفرج وأبو الفرج من تلامذة القاضي أبي يعلى وهؤلاء كلهم وإن كانوا منتسبين إلى الإمام أحمد فهم يوافقون ابن كلاب على أصله الذي كان أحمد ينكره على الكلابية وأمر بهجر الحارث المحاسبي من أجله كما وافقه على أصله طائفة من أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة كأبي المعالي الجويني وأبي الوليد الباجي وأبي منصور الماتريدي وغيرهم وقول هؤلاء في مسائل متعددة من مسائل الصفات وما يتعلق بها كسألة القرآن هل هو سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته أم القرآن لازم لذاته وقولهم في الاستثناء مبنى على ذلك الأصل وكذلك بناء الأشعرى وأتباعه عليه لأن هؤلاء كلهم كلابية يقولون إن الله لم يتكلم بمشيئته وقدرته ولا يرضى ولا يفض على أحد بعد إيمانه وكفره ولا يفرج بتوبة النائب بعد توبته ولهذا وافقوا السلف على أن القرآن كلام الله غير مخلوق ثم قالوا إنه قديم لم يتكلم به بمشيئته وقدرته ثم اختلفوا بعد هذا في القديم أهو معنى واحد أم حروف قديمة مع تعاقبها كما بسطت أقوالهم وأقوال غيرهم في مواضع أخره وهذه الطائفة المتأخرة تنكر أن يقال قطعاً في شيء من الأشياء مع غلوهم في الاستثناء حتى صار هذا اللفظ منكراً عندهم وإن قطعوا بالمعنى فيجزمون بأن محمداً رسول الله وإن الله بهم ولا يقولون قطعاً وقد اجتمع في طائفة منهم فأنكرت عليهم ذلك وامتنعت من فعل مطلوبهم حتى يقولوا قطعاً وأحضروا إلى كتاباً فيه

أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهي أن يقول الرجل قطعاً وهي أحاديث موضوعة مختلفة قد افترها بعض المتأخرين . . . والمقصود هنا ان الاستثناء في الإيمان لما علق مثل تلك العلة طرد أقوام تلك العلة في الأشياء التي لا يجوز الاستثناء فيها بإجماع المسلمين بناء على ان الأشياء الموجودة الآن اذا كانت في علم الله تبدل أحوالها فيستثنى في صفاتها الموجودة في الحال ويقول هذا صغير ان شاء الله لان الله قد يجعله كبيراً ويقول هذا مجنون ان شاء الله لان الله قد يجعله عاقلاً ويقول للمرتد هذا كافر ان شاء الله لا يمكن أن يتوب وهو لاء الذين استثنوا في الإيمان بناء على هذا المأخذ ظنوا هذا قول الساف وهو لاء وأمثالهم من أهل الكلام ينصرون ما ظهر من دين الاسلام كما ينصر ذلك المعتزلة والجهمية وغيرهم من المتكلمين فينصرون اثبات الصانع والنبوة والمعاد ونحو ذلك وينصرون مع ذلك ما ظهر من مذاهب أهل السنة والجماعة كما ينصر ذلك الكلابية والكرامية والاشعرية ونحوهم فينصرون ان القرآن كلام الله غير مخلوق وان الله يرى في الآخرة وان أهل القبلة لا يكفرون بالذنوب ولا ينجدون في النار وان النبي صلى الله عليه وسلم له شفاعة في أهل الكبائر وان فتنة القبر حق وعذاب القبر حق وحوض نبينا صلى الله عليه وسلم في الآخرة حق وأمثال ذلك من الأقوال التي شاع أنها من أصول أهل السنة والجماعة كما ينصرون خلافة الخلفاء الاربعة وفضيلة أبي بكر وعمر ونحو ذلك . . . وكثير من أهل الكلام في كثير مما ينصره لا يكون عارفاً بحقيقة دين الاسلام في ذلك ولا ما جاءت به السنة ولا ما كان عليه السلف فينصر ما ظهر من قولهم بغير المأخذ التي كانت مأخذهم في الحقيقة بل بمأخذ آخر قد تلقاها عن غيرهم من أهل البدع فيقع في كلام هؤلاء من التناقض والاضطراب والخطأ ما ذم به السلف مثل هذا الكلام وأهله فان كلامهم في ذم مثل هذا الكلام كثير والكلام المذموم هو المخالف للكتاب والسنة وكل ما خالف الكتاب والسنة فهو باطل وكذب فهو مخالف للشرع والعقل ونمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً فهو لاء لما اشتهر عندهم عن أهل السنة أنهم يستثنون في الإيمان ورأوا ان هذا لا يمكن الا اذا جعل الإيمان هو ما يعوت العبد عليه وهو ما يوافي به العبد ربه ظنوا ان الإيمان عند السلف هو هذا فصاروا يحكون هذا عن الساف وهذا القول لم يقل به أحد من الساف ولكن هؤلاء حكموه عنهم بحسب ظنهم لما رأوا ان قولهم لا يتوجه الا على هذا الأصل وهم يدعون ان مانصروه من أصل جههم في الإيمان هو قول المحققين والنظار من أصحاب الحديث ومثل هذا يوجد في الإيمان كثيراً في مذاهب الساف التي خالفها بعض النظار وأظهر حجته في ذلك ولم يعرف حقيقة قول الساف فيقول من عرف حجة هؤلاء دون الساف أو من يعظمهم لما يراه من تميزهم عليه هذا قول المحققين وقول المحققون ويكون ذلك من الأقوال الباطلة المخالفة للعقل مع الشرع وهذا كثيراً ما يوجد في كلام بعض المبتدعين وبعض الملاحدين ومن آتاه الله علماً وإيماناً علم انه لا يكون عند المتأخرين من التعقيب الا ما هو دون تحقيق الساف لافي العلم ولا في العمل ومن كان له خبرة بالنظريات والعقليات وبالعمليات علم ان مذهب الصحابة دائماً أرجح من قول من بعدهم وانه لا يتبدع أحد قولاً في الاسلام الا كان خطأ وكان الصواب قد سبق اليه من قبله قال أبو

القاسم الانصاري فيما حكاه عن أبي اسحق الاسفرائيني لما ذكر قول أبي الحسن وأصحابه في لايمان وصحح
انه تصديق القلب قال ومن أصحابنا من قال بالموافاة وشرط في الايمان الحقيقي ان يوافي ربه به ويحتم عايمه
ومنهم من لم يجعل ذلك شرطاً فيه في الحال قال الانصاري لما ذكر ان معظم أئمة السالف كانوا يقولون
الايمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح قال الاكثر من هؤلاء على القول بالموافاة ومن
قال بالموافاة فانما يقوله فيمن لم يرد الخبر بأنه من أهل الجنة وأما من ورد الخبر بأنه من أهل الجنة فانه
يقطع على ايمانه كالمشرة من الصحابة ثم قال والذي اختاره المحققون ان الايمان هو التصديق وقد ذكرنا
اختلاف أقوالهم في الموافاة وان ذلك هل هو شرط في صحة الايمان وحقيقته في الحال وكونه معتداً عند
الله به وفي حكمه فن قال ان ذلك شرط فيه يستنون في الاطلاق في الحال لا انهم يشكون في حقيقة
التوحيد والمعرفة لكنهم يقولون لا يدري أي الايمان الذي نحن مؤمنون به في الحال هل هو معتد به
عند الله على معنى انا ننتفع به في العاقبة ونجنى من ثماره فاذا قيل لهم مؤمنون أنتم حقاً أو تقولون ان
شاء الله أو تقولون نرجو فيقولون نحن مؤمنون ان شاء الله يعنون بهذا الاستثناء تفويض الامر في
العاقبة الى الله سبحانه وتعالى وانما يكون الايمان ايمانا معتداً به في حكم الله اذا كان ذلك علم الفوز وآية
النجاة واذا كان صاحبه والعياذ بالله في حكم الله من الاشقياء يكون ايمانه الذي يحمل به في الحال عارية
قال ولا فرق عند الصائرين الى هذا المذهب بين أن يقول أنا مؤمن من أهل الجنة قطعاً وبين أن يقول
أنا مؤمن حقاً قلت هذا انما يحجى على قول من يجعل الايمان متداً ولا لاداء الواجبات وترك المحرمات
فن مات على هذا كان من أهل الجنة وأما على قول الجهمية والمرجئة وهو القول الذي نصره هؤلاء
الذين نصروا قول جهم فانه يموت على الايمان قطعاً ويكون كامل الايمان عندهم وهو مع هذا عندهم
من أهل الكبار الذين يدخلون النار فلا يلزم اذا وافى بالايمان أن يكون من أهل الجنة وهذا اللازم
لقولهم يدل على فسادهم لان الله وعد المؤمنين بالجنة وكذلك قالوا لا سيما والله سبحانه يقول (وعد الله
المؤمنين والمؤمنات جنات) الآية قال هؤلاء يعني القائلين بالموافاة جعلوا الثبات على هذا التصديق والايمان
الذي وصفناه الى العاقبة والوفاء به في المال شرطاً في الايمان شرعاً لا لغة ولا عقلاً قال وهذا مذهب
سلف أصحاب الحديث والأكثرين قل وهو اختيار الامام أبي بكر بن فورك وكان الامام محمد بن اسحق
ابن خزيمة يقلو فيه وكان يقول من قال أنا مؤمن حقاً فهو مبتدع وأما مذهب سلف أصحاب الحديث
كابن مسعود وأصحابه والثوري وابن عيينة وأكثر علماء الكوفة ويحيى بن سعيد القطان فيما برويه
عن علماء أهل البصرة وأحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنية فكانوا يستنون في الايمان وهذا متواتر
عنهم لكن ليس في هؤلاء من قال أنا أستني لاجل الموافاة وان الايمان انما هو اسم لما يوافي به العبد ربه
بل صرح أئمة هؤلاء بأن الاستثناء انما هو لان الايمان يتضمن فعل الواجبات فلا يشهدون لانفسهم بذلك
كما لا يشهدون لها بالبر والتقوى فان ذلك مما لا يعلمونه وهو تزكية لانفسهم بلا علم كما سند كرا أقوالهم
ان شاء الله في ذلك وأما الموافاة فما علمت أحداً من السالف علل بها الاستثناء ولكن كثير من المتأخرين

يعمل بها من أصحاب الحديث من أصحاب أحمد ومالك والشافعي وغيرهم كما يعمل بها نظارهم كما في
الحسن الأشعري وأكثر أصحابه لكن ليس هذا قول سلف أصحاب الحديث ثم قال فان قال قائل
اذا قلتم ان الايمان المأمور به في الشريعة هو ما وصفتموه بشرائط وليس ذلك متلقى من اللغة فكيف
يستقيم قولكم ان الايمان لغوي قلنا الايمان هو التصديق لغة وشرعا غير ان الشرع ضم الى التصديق
أوصافا وشرائط مجموعها يصير مجزيا مقبولا كما قلنا في الصلاة والصوم والحج ونحوها والصلاة في اللغة
هو الدعاء غير أن الشرع ضم اليها شرائط فيقال هذا يناقض ما ذكرناه في معنى الايمان فانهم لما
زعموا انه في اللغة التصديق والشرع لم يغيره أوردوا على أنفسهم فان قيل أليس الصلاة والحج والزكاة
معدولة عن اللغة مستعملة في غير مذهب أهلها قلنا قد اختلف العلماء في ذلك والصحيح انها مقررة
على استعمال أهل اللغة ومبقة على مقتضياتها وليست منقولة الا انها زيد فيها أمور فلو سلمنا لاخصم كون
هذه الالفاظ منقولة أو محمولة على وجه من الحجاز بدليل مقطوع به فعليه اقامة الدليل على وجود ذلك
في الايمان فانه لا يجب ازالة طواهر القرآن بسبب ازالة ظاهر منها فيقال أنتم في الاستثناء جعلتم الشرع
زاد فيه وجعلتموه كالصلاة والزكاة مع انه لا يمكن أحدا أن يذكر من الشرع دليلا على ان الايمان لا
يسمى به الا الموافقة به ويتقدير ذلك فمعلوم ان دلالة الشرع على ضم الاعمال اليه أكثر وأشهر فكيف
لم تدخل الاعمال في معناه شرعا وقوله لا بد من دليل مقطوع به عنه جوابان أحدهما النقض بالموافاة
فانه لا يقطع فيه الثاني لا نسلم بل نحن نقطع بأن حب الله ورسوله ونحو ذلك داخل في معنى الايمان
في كلام الله ورسوله أعظم مما نقطع ببعض أفعال الصلاة والصوم والحج كمسائل النزاع ثم أبو الحسن
وان فورك وغيرهما من القائلين بالموافاة وهم لا يعملون الشرع ضم اليه شيئا بل عندهم كل من سلبه
الشرع اسم الايمان فقد فقد من قلبه التصديق قال ومن أصحابنا من لم يجعل الموافاة على الايمان شرطا
في كونه ايمانا حقيقيا في الحال وان جعل ذلك شرطا في استحقاق الثواب عايه وهذا مذهب المعتزلة
والكرامية وهو اختيار أبي اسحق الاسفرائيني وكلام القاضي يدل عليه قول وهو اختيار شيخنا أبي المعالي
فانه قال الايمان ثابت في الحال قطعاً لاشك فيه ولكن الايمان الذي هو عم الفوز وآية النجاة ايمان الموافاة
فاعتني السلف به وقرنوه بالاستثناء ولم يقصدوا الشك في الايمان الناجز قل ومن صار الى هذا يقول
الايمان صفة يشتق منها اسم المؤمن وهو المعرفة والتصديق كما أن العالم يشتق من العلم فاذا عرفت ذلك
من نفسى قطعت به كما قطعت بأني عالم وعارف ومصدق فان ورد في المستقبل ما يزيله خرج اذ ذاك عن
استحقاق هذا الوصف ولا يقل تبينا انه لم يكن ايمانا مأمورا به بل كان ايمانا مجزيا فتغير وبطل وليس
كذلك قوله أنا من أهل الجنة فان ذلك مغيب عنه وهو مرجو قل ومن صار الى القول الاول يتمسك
بأشياء منها أن يقال الايمان عبادة العمر وهو كطاعة واحدة فيتوقف صحة أولها على سلامة آخرة
كما يقول في الصلاة والصيام والحج قالوا ولا شك انه لا يسمى في الحال ولياً ولا سعيداً ولا مرضياً عند
الله وكذلك الكافر لا يسمى في الحال عدوا لله ولا شقيلاً إلا على معنى انه تجري عليه أحكام الاعداء في

الحال لآظهاره من نفسه علامتهم قلت هذا الذي قالوه انه لاشك فيه هو قول ابن كلاب والاشعري وأصحابه ومن وافقهم من أصحاب أحمد وملاك والشافعي وغيرهم وأما أكثر الناس فيقولون بل هو اذا كان كافرا فهو عدو الله ثم اذا آمن واتقى صار ولياً لله قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم) الى قوله (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منه مودة والله قدير والله غفور رحيم) وكذلك كان فان هؤلاء أهل مكة الذين كانوا يعادون الله ورسوله قبل الفتح آمن أكثرهم وصاروا من أولياء الله ورسوله وابن كلاب وأتباعه بنوا ذلك على ان الولاية صفة قديمة لذات الله هي الارادة والمحبة والرضا ونحو ذلك فنحنها ارادة ثابتة بعد الموت وهذا المعنى تابع لعلم الله فن علم انه يموت مؤمناً لم يزل ولياً لله لانه لم يزل الله مريداً لادخاله الجنة وكذلك العداوة وأما الجمهور فيقولون الولاية والعداوة وان تضمنت محبة الله ورضاه وبغضه وسخطه فهو سبحانه يرضى عن الانسان ويحبه بعد أن يؤمن ويعمل صالحاً وانما يسخط عليه ويفض بعد أن يكفر كما قال تعالى (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه) فأخبر أن الاعمال أسخطته وكذلك قال (فلما آسفونا انتقمنا منهم) قال المفسرون أغضبونا وكذلك قال الله تعالى (وان تشكروا يرضه لكم) وفي الحديث الصحيح الذي في البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب الى عبدي بشئ اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها في يسمع وبصره ويبيطش ويبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه فأخبر أنه لا يزال يتقرب اليه بالنوافل حتى يحبه ثم قال فاذا أحببته كنت كذا كنت كذا وهذا بين في أن حبه لعبده بعد أن يأتي بمحبه والقرآن قد دل على مثل ذلك قال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فقوله يحببكم جواب الامر في قوله فاتبعوني وهو بمنزلة الجزاء مع الشرط ولهذا جزم وهذا ثواب عمائم وهو اتباع الرسول فاتباعهم على ذلك بأن أحبهم وجزاء الشرط وثواب العمل ومسبب السبب لا يكون الا بعده لا قبله وهذا كقوله تعالى (ادعوني أستجب لكم) وقوله تعالى (يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويخرجكم من غداً بئيم) وقوله تعالى (اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصاح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم) ومثل هذا كثير وكذلك قوله (فأتوا اليهم عهدهم الي مدينهم ان الله يحب المتقين) وقوله (لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) وكانوا قد سأله لو علمنا أي العمل أحب الى الله لعلمناه وقوله (ان الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون) فهذا يدل على ان حبه ومقتة جزاء لعملهم وانه يحبهم اذا اتقوا وقاتلوا ولهذا رغبتهم في العمل بذلك كما يرغبهم بسائر ما يمدهم به وجزاء العمل

بعد العمل وكذلك قوله (اذ تدعون الى الايمان فتكفرون) فانه سبحانه يمتحنهم اذ يدعون الى الايمان فيكفرون
ومثل هذا قوله (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة
عليهم وأأنابهم فتحاً قريباً) فقوله لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك بين أنه رضى عنهم هذا الوقت
فان حرف اذ ظرف لما مضى من الزمان فعلم انه ذاك الوقت رضى عنهم بسبب ذلك العمل وأأنابهم عليه
والمسبب لا يكون قبل سببه والموقت بوقت لم يكن قبل وقته واذا كان راضياً عنهم من جهة فهذا الرضى
الخاص الحاصل بالبيعة لم يكن الا حينئذ كما ثبت في الصحيح انه يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة هل رضيتم
فيقولون يا ربنا وما لنا لا نرضى وقد أعطينا ما لم تعط أحداً من خلقك فيقول ألا أعطيكم ما هو أفضل
من ذلك فيقولون يا ربنا وأي شيء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده
أبداً وهذا يدل على أنه في ذلك الوقت حصل لهم هذا الرضوان الذي لا يتعبه سخط أبداً ودل على أن
غيره من الرضوان قد يتعبه سخط وفي الصحيحين في حديث الشفاعة يقول كل من الرسل ان ربي قد
غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
من غير وجه انه قال لله أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل أضل راحلته بأرض دوية مهلكة عليها طعامه
وشرا به يطلبها فلم يجدها فاضلجع ينتظر الموت فلما استيقظ اذا دابته عليها طعامه وشرا به وفي رواية
كيف تجدون فرحها بها قالوا عظيماً يا رسول الله قال لله أشد فرحاً بتوبة عبده من هذا راحلته وكذلك
ضحكه الى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة وضحكه الى الذي يدخل الجنة آخر الناس
ويقول أتسخر بي وأنت رب العالمين فيقول لا ولكنى على ما أشاء قادر وكل هذا في الصحيح وفي دعاء
التموت تولي فيمن توليت والقديم لا يتصور طلبة وقد قال تعالى (إن ولى الله الذى نزل الكتاب وهو
يتولى الصالحين وقال (والله ولى المتقين) فهذا التولى لهم جزاء صلاحهم وتقواهم ومسبب عنه فلا
يكون متقدماً عليه وان كان انما صاروا صالحين ومتقين بمشيئته وقدرته وفضله واحسانه لكن تعلق بكونهم
متقين وصالحين فدل على ان هذا التولى هو بعد ذلك مثل كونه مع المتقين والصالحين بنصره وتأيدته
ليس ذلك قبل كونهم متقين وصالحين وهكذا الرحمة قال صلى الله عليه وسلم الراحون برحمتهم الرحمن
بفضل رحمة ارحوا من في الارض برحمتهم من في السماء قل الترمذي حديث صحيح وكذلك قوله (ان
تشكروا يرزقكم) علق الرضا به تعليق الجزاء بالشرط والمسبب بالسبب والجزاء انما يكون بعد الشرط
وكذلك قوله (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين) يدل على انه يشاء ذلك فيما بعد وكذلك
قوله (انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) فاذا ظرف لما يستقبل من الزمان فدل على انه
اذا أراد كونه قال له كن فيكون وكذلك قوله (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم) فبين فيه انه سيري
ذلك في المستقبل اذا عملوه .. والمأخذ الثاني في الاستثناء ان الايمان المطلق يتضمن فعل ما أمر الله به
عبده كله وترك المحرمات كلها فاذا قل الرجل أنا مؤمن بهذا الاعتبار فقد شهد لنفسه بأنه من الابرار
المتقين القائمين بفعل جميع ما أمروا به وترك ما نهوا عنه فيكون من أولياء الله وهذا من تزكية الانسان

لنفسه وشهادته لنفسه بما لا يعلم ولو كانت هذه الشهادة صحيحة لسكان ينبغي له أن يشهد لنفسه بالجنة
 أن مات على هذه الحال ولا أحد يشهد لنفسه بالجنة فشهادته لنفسه بالايمان شهادته لنفسه بالجنة اذا مات
 على هذه الحال وهذا مأخذ عامة السالف الذين كانوا يستثنون وان جوزوا ترك الاستثناء بمعنى آخر كما
 سنده كره ان شاء الله تعالى . قال الخلال في كتاب السنة حدثنا سليمان بن الاشعث يعني أبا داود السجستاني
 قال سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل قال له رجل قيل لي مؤمن أنت قلت ام هل على في ذلك شيء
 هل الناس الا مؤمن وكافر فغضب أحمد وقال هذا كلام الارعاء قال الله تعالى (وآخرون مرجون
 لأمر الله) من هؤلاء ثم قال أحمد أليس الايمان قولاً وعمل قال له الرجل بلى قال فجننا بالقول قل نعم
 قال فجننا بالعمل قال لا قال فكيف تعيب أن يقول ان شاء الله ويستثنى . قال أبو داود أخبرني أحمد بن
 أبي شريح ان أحمد بن حنبل كتب اليه في هذه المسألة ان الايمان قول وعمل فجننا بالقول ولم نجى بالعمل
 فمنعنا نستثنى في العمل ذكر الخلال هذا الجواب من رواية الفضل بن زياد وقال زاد الفضل سمعت أبا
 عبد الله يقول كان سليمان بن حرب يحمل هذا على التقبل يقول نحن نعمل ولا ندرى يتقبل منا أم لا قلت
 والتقبل متعلق بفعله كما أمر فكل من اتقى الله في عمله ففعله كما أمر فقد تقبل منه لكن هو لا يجزم بالقبول
 لعدم جزمه بكامل الفعل كما قال تعالى (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة) قالت عائشة يا رسول الله أهو
 الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر ويخاف فقال لا يا بنت الصديق بل هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدق
 ويخاف أن لا يتقبل منه وروى الخلال عن أبي طالب قال سمعت أبا عبد الله يقول لا نجد بدءاً من الاستثناء
 لانهم اذا قالوا مؤمن فقد جاء بالقول فانما الاستثناء بالعمل لا بالقول وعن اسحق بن ابراهيم قال سمعت أبا
 عبد الله يقول اذهب الى حديث ابن مسعود في الاستثناء في الايمان ان الايمان قول وعمل والعمل الفعل فقد
 جئنا بالقول ونخشى أن نكون فرطنا في العمل فيعجبني أن يستثنى في الايمان يقول أنا مؤمن ان شاء الله قال
 وسمعت أبا عبد الله وسئل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون الاستثناء هذه على
 أي شيء يقع قال على البقاع لا يدري أي دفن في موضع الذي سلم عليه أم في غيره وعن الميموني انه سأل أبا
 عبد الله عن قوله ورأيه في مؤمن ان شاء الله قال أقول مؤمن ان شاء الله ومؤمن أرجو لانه لا يدري
 كيف البراءة للأعمال على ما افترض عليه أم لا ومثل هذا كثير في كلام أحمد وأمثاله وهذا مطابق لما
 تقدم من ان المؤمن المطلق هو القائم بالواجبات المستحق للجنة اذا مات على ذلك وان المفرط بترك
 المأمور أو فعل المحذور لا يطلق عليه انه مؤمن وان المؤمن المطلق هو البر التقي ولى الله فاذا قال أنا
 مؤمن قطعاً كان كقوله أنا بر تقي ولى الله قطعاً وقد كان أحمد وغيره من السلف مع هذا يكرهون
 سؤال الرجل لغيره مؤمن أنت ويكرهون الجواب لان هذه بدعة أحدثها المرجئة ليجتجوا بها
 لقولهم فان الرجل يعلم من نفسه انه ليس بكافر بل يحجب قلبه مصداقاً بما جاء به الرسول فيقول أنا مؤمن
 فيثبت ان الايمان هو التصديق لانك تجزم بانك مؤمن ولا تجزم بانك فعلت كل ما أمرت به فلما علم
 السلف مقصدهم صاروا يكرهون الجواب أو يفصلون في الجواب وهذا لان لفظ الايمان فيه اطلاق

وتقييد فكانوا يجيبون بالإيمان المقيد الذي لا يستلزم أنه شاهد فيه لنفسه بالكمال ولهذا كان الصحيح أنه يجوز أن يقال أنا مؤمن بلا استثناء إذا أراد ذلك لكن ينبغي أن يقرن كلامه بما يبين أنه لم يرد الإيمان المطلق الكامل ولهذا كان أحمد يكره أن يجيب على المطلق بلا استثناء يقدمه وقال المروزي قيسل لأبي عبد الله نقول نحن المؤمنون فقال نقول نحن المسلمون وقال أيضاً قلت لأبي عبد الله نقول إنا مؤمنون قال ولكن نقول إنا مسلمون ومع هذا فلم ينكر على من ترك الاستثناء إذا لم يكن قصده قصد المرجئة أن الإيمان مجرد القول بل تركه لما يعلم أن في قلبه إيماناً وإن كان لا يجزم بكمال إيمانه قال الخلال أخبرني أحمد بن أصرم المزني أن أبا عبد الله قيل له إذا سألت الرجل فقال أمؤمن أنت قال سؤالك آتاي بدعة لا يشك في إيمانه أو قال لا نشك في إيماننا قال المزني وحفظي أن أبا عبد الله قال أقول كما قال طاوس آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله وقال الخلال أخبرني حرب بن اسمعيل وأبو داود قال أبو داود سمعت أحمد قال سمعت سفيان يعني ابن عيينة يقول إذا سئل أمؤمن أنت لم يجب ويقول سؤالك آتاي بدعة ولا أشك في إيماني وقال إن قال إن شاء الله ليس يكره ولا يداخل الشك فقد أخبر عن أحمد قال لا نشك في إيماننا وإن السائل لا يشك في إيمان المسؤل وهذا أبغ وهو إنما يجزم بأنه مقرر مصدق بما جاء به الرسول لا يجزم بأنه قائم بالواجبات فعلم أن أحمد وغيره من السلف كانوا يجزمون ولا يشكون في وجود ما في القلب من الإيمان في هذه الحال ويجملون الاستثناء عائداً إلى الإيمان المطلق المتضمن فعل المأمور ويحتجون أيضاً بجواز الاستثناء فيما لا يشك فيه وهذا مأخذ ثان وإن كنا لا نشك في ما في قلوبنا من الإيمان فلا استثناء فيما يعلم وجوده قد جاءت به السنة لما فيه من الحكمة وعن محمد بن الحسن بن هارون قال سألت أبا عبد الله عن الاستثناء في الإيمان فقال نعم الاستثناء على غير معنى شك مخافة واحتياطاً للعمل وقد استثنى ابن مسعود وغيره وهو مذهب الثوري قال الله تعالى (لندخلن المسجد الحرام إن شاء الله) وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه إني لأرجو أن أكون أنفكم لله وقال في الميت وعليه بيعت إن شاء الله فقد بين أحمد أنه يستثنى مخافة واحتياطاً للعمل فإنه يخاف أن لا يكون قد كمل المأمور به فيحتاج بالاستثناء وقال على غير معنى شك يعني من غير شك مما يعلمه الإنسان من نفسه والا فهو يشك في تكميل العمل الذي خاف أن لا يكون كمله فيخاف من نقصه ولا يشك في أصله قال الخلال وأخبرني محمد بن أبي هارون أن حبيش بن سندی حدثهم في هذه المسئلة قال أبو عبد الله قول النبي صلى الله عليه وسلم حين وقف على المقابر فقال وإنا إن شاء الله بكم لاحقون وقد نعت إليه نفسه وعلم أنه صائر إلى الموت وفي قصة صاحب القبر عليه حية وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم إني اختبأت دعوتي وهي نائلة إن شاء الله من لا يشارك بالله شيئاً وفي مسئلة الرجل النبي صلى الله عليه وسلم أحدنا يصبح جنباً يصوم فقال إني أفعل ذلك ثم أصوم فقال أنك لست مثلنا أنت قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وهذا كثير وأشبهاه على اليقين قال ودخل عليه شيخ فسأله عن الإيمان فقال له قول وعمل يزيد وينقص فقال له أقول مؤمن إن شاء الله

قال نعم فقال له انهم يقولون لي إنك شك قال بئس ما قالوا ثم خرج فقال ردوه فقال أليس يقولون الإيمان قول وعمل يزيد وينقص قال نعم قال هؤلاء يستثنون قال له كيف يا أبا عبد الله قال قل لهم زعمتم أن الإيمان قول وعمل قالقول قد آتيت به والعمل لم تأتوا به فهذا الاستثناء لهذا العمل قيل له يستثنى في الإيمان قال نعم أقول أنا مؤمن أن شاء الله استثنى على اليقين لأعلى الشك ثم قال قال الله (لندخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) فقد أخبر الله تعالى أنهم داخلون المسجد الحرام فقد بين أحمد في كلامه أنه يستثنى مع يتيقنه بما هو الآن موجود فيه يقوله بلسانه وقلبه لا يشك في ذلك ويستثنى ليكون العمل من الإيمان وهو لا يتيقن أنه أكمله بل يشك في ذلك ففنى الشك وأثبت اليقين فيما يتيقنه من نفسه وأثبت الشك فيما لا يعلم وجوده وبين أن الاستثناء مستعجب لهذا الثاني الذي لا يعلم هل أتى به أم لا وهو جائز أيضاً لما يتيقنه فلو استثنى لنفس الموجود في قلبه جاز كقول النبي صلى الله عليه وسلم والله إنى لأرجو أن أكون أخشاكم لله وهذا أمر موجود في الحال ليس بمستقبل وهو كونه أخشانا فانه لا يرجو أن يصبر أخشانا لله بل هو يرجو أن يكون حين هذا القول أخشانا لله كما يرجو المؤمن إذا عمل عملاً أن يكون الله يقبله منه ويخاف أن لا يكون تقبله منه كما قال تعالى (والذين يؤمنون بما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون) وقال النبي صلى الله عليه وسلم هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه والقبول هو أمر حاضر أو ماضٍ وهو يرجوه ويخافه وذلك أن ماله عاقبة مستقبلة محمودة أو مذمومة والالسان يجوز وجوده وعذمه يقال أنه يرجوه وأنه يخافه فتعلق الرجاء والخوف بالحاضر والماضي لأن عاقبته المطلوبة والمكروهة مستقبلة فهو يرجو أن يكون الله يقبل عمله فيثيبه عليه فيرجمه في المستقبل ويخاف أن لا يكون يقبله فيحرم ثوابه كما يخاف أن يكون الله قد سخط عليه في مهابته فيعاقبه عليها وإذا كان الانسان يسمي فيما يطلبه كمتاجر أو يريد أرسله في حاجته بقضيتها في بعض الاوقات فاذا مضى ذلك الوقت يقول أرجو أن يكون فلان قد قضى ذلك الأمر وقضاؤه ماضٍ لكن ما يحصل لهذا من الفرح والسرور وغير ذلك من مقاصده مستقبل ويقول الانسان في الوقت الذي جرت مادة الحاج بدخولهم الى مكة أرجو أن يكونوا دخلوا ويقول في سيرة بعثت الى الكفار نرجو أن يكون الله قد نصر المؤمنين وغنمهم ويقال في نيل مصر عند وقت ارتفاعه نرجو أن يكون قد صعد النيل كما يقول الحاضر في مصر مثل هذا الوقت نرجو أن يكون النيل هذا العام نبلا مرتفعاً ويقال لمن له أرض يحب أن تمطر اذا مطرت بعض النواحي أرجو أن يكون المطر تاماً وأرجو أن يكون قد مطرت الأرض الفلانية وذلك لان المرجو هو ما يفرح بوجوده ويسره وهذا يتعلق بالعلم والعلم بذلك مستقبل فاذا علم ان المسلمين انتصروا والحاج قد دخلوا أو المطر قد نزل فرح بذلك وحصل به مقاصد أخر له واذا كان الأمر بخلاف ذلك لم يحصل ذلك المحبوب المطلوب فيقول أرجو وأخاف لان المحبوب والمكروه متعلق بالعلم بذلك وهو مستقبل وكذلك المطلوب بالإيمان من السعادة والنجاة هو أمر مستقبل فيستثنى في الحاضر بذلك لان المطلوب به مستقبل ثم كل مطلوب مستقبل تعلق بمشيئة الله وان جزم بوجوده لانه

لا يكون مستقبل الا بمشيئة الله فقولنا يكون هذا ان شاء الله حق فانه لا يكون الا ان شاء الله والشك واللفظ ليس فيه الا التعليق وليس من ضرورة التعليق الشك بل هذا بحسب علم المتكلم فتارة يكون شاكا وتارة لا يكون شاكا فلما كان الشك يصحها كثيراً لعدم علم الانسان بالعواقب ظن الظان ان الشك داخل في معناها وليس كذلك فقوله (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله) لا يتصور فيه شك من الله بل ولا من رسوله المخاطب والمؤمنين ولهذا قال نعلب هذا استثناء من الله وقد علمه والخلق يستنون فيما لا يعلمون وقال أبو عبيدة وابن قتيبة ان ان بمعنى اذ أي اذ شاء الله ومقصودهم بهذا تحقيق الفعل بان كما يتحقق مع اذ والا فاذ ظرف توقيت وان حرف تعليق فان قيل فالعرب تقول اذا احمر البسر فأتني ولا تقول ان احمر البسر قبل لان المقصود هنا توقيت الايمان بحين احمراره فأتنا بالظرف المحقق ولفظ إن لا يدل على توقيت بل هي تعليق محض تقتضي ارتباط الفعل اثنائي بالاول ونظير ما نحن فيه أن يقولوا البسر يحمر ويطيب ان شاء الله وهذا حق فهذا نظير ذلك فان قيل فطائفة من الناس قرأوا من هذا المعنى وجعلوا الاستثناء لامر مشكوك فيه فقال الزجاج لتدخلن المسجد الحرام أي أمركم الله به وقيل الاستثناء يعود الى الامن والخوف أي لتدخلنه آمنين فأما الدخول فلا شك فيه وقيل لتدخلن جميعكم أو بعضكم لانه علم ان بعضهم يموت فلا استثناء لانهم لم يدخلوا جميعهم قيل كل هذه الاقوال وقع أصحابها فيما فروا منه مع خروجهم عن مدلول القرآن فخرقوه تحريفاً لم ينتفعوا به فان قول من قال أي أمركم الله به هو سبحانه قد علم هل يأمرهم أو لا يأمرهم فعلمه بأنه سيأمرهم بدخوله كعلمه بان سيأمرهم بدخولهم فعلقوا الاستثناء بما لم يدل عليه اللفظ وعلم الله متعلق بالمظهر والمضمر جميعاً وكذلك أمنهم وخوفهم هو يعلم انهم يدخلون آمنين أو خائفين وقد أخبر انهم يدخلون آمنين مع علمه بانهم يدخلون آمنين فكلها لم يكن فيه شك عند الله بل ولا عند رسوله وقول من قال جميعهم أو بعضهم يقال المعلق بالمشيئة دخول من أريد باللفظ فان كان أراد الجميع فالجميع لا بد أن يدخلوه وان أريد الاكثر كان دخولهم هو المعلق بالمشيئة وما لم يرد لا يجوز أن يعاقب بان وانما علق بان ما يكون وكان هذا وعداً مجزوماً به ولهذا لما قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية ألم تكن تحدثنا أنا نأتي البيت ونطوف به قال بلى أقلت لك انك تأتيه هذا العام قال لا قال فانك آتية ومطوف به فان قيل لم لم يعاقب غير هذا من مواعيد القرآن قبل لان هذه الآية نزلت بعد مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية وكانوا قد اعتمرنا ذلك العام واجتهدوا في الدخول فصدهم المشركون فرجعوا وبهم من الاثم ما لا يعلمه الا الله فكانوا منتظرين لتحقيق هذا الوعد ذلك العام اذ كان النبي صلى الله عليه وسلم لم وعدهم وعداً مطلقاً وقد روى انه رأى في المنام قائلاً يقول (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله) فأصبح فحدث الناس برؤياه وأمرهم بالخروج الى العمرة فلم تحصل لهم العمرة ذلك العام فنزلت هذه الآية ووعدهم بما وعدهم به الرسول من الامر الذي كانوا يظنون حصوله ذلك العام وكان قول ان شاء الله هنا تحقيقاً لدخوله وان الله يحقق ذلك لكم كما يقول الرجل فيما عزم على أن يفعله لا محالة والله لا يفعلن كذا ان شاء الله لا يقولها لشك في ارادته

وعزمه بل تحقيقاً لعزمه وإرادته فإنه يخاف إذا لم يقل أن شاء الله أن ينقض عزمه ولا يحصل ماطلبه كما
 في الصحيحين أن سليمان عليه السلام قال والله لا أطوفن الليلة على مائة امرأة كل منهن تأتي بفارس يقاتل
 في سبيل الله فتقال له صاحبه قل أن شاء الله فم يعل فلم يحمل منهن إلا امرأة جاءت بشق رجل قال
 النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ابن شاء الله لجاءوا في سبيل الله فرساناً أجمعون فهو
 إذا قال أن شاء الله لم يكن لشك في طلبه وإرادته بل لتحقيق الله ذلك له إذا الأمور لا تحصل إلا بمشيئة
 الله فإذا تألى العبد عليه من غير تعليق بمشيئته لم يحصل مراده فإنه من تألى على الله يكذبه ولهذا يروي
 لا أتممت لمقدر أمراً وقيل لبعضهم بما إذا صرفت ربك قل بفسخ العزائم ونقض الهمم وقد قال تعالى
 (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله) فان قوله لا فاعل فيه معنى الطلب والخبر
 وطلبه جازم وأما كون مطلوبه يقع فهذا يكون أن شاءه وطلبه للفعل يجب أن يكون من الله بحوله وقوته
 ففي الطلب عليه أن يطلب من الله وفي الخبر لا يخبر إلا بما علمه الله فإذا جزم بلا تعليق كان كالتألى على
 الله فيكذبه الله فلمسلم في الأمر الذي هو عازم عليه ومريد له وطالب له طلباً لا تردد فيه يقول أن شاء
 الله لتحقيق مطلوبه وحصول ما أقسم عليه لكونه لا يكون إلا بمشيئة الله لا لتردد في إرادته والرب
 تعالى مريد لا إنجاز ما وعدهم به إرادة جازمة لا مثنوية فيها وما شاء فعل فإنه سبحانه ما شاء كان وما لم
 يشأ لم يكن ليس كالعبد الذي يريد ما لا يكون ويكون ما لا يريد فقوله سبحانه أن شاء الله تحقيق أن
 ما وعدتكم به يكون لا محالة بمشيئتي وإرادتي فان ما شئت كان وما لم أشأ لم يكن فكان الاستثناء هنا لقصد
 التحقيق لكونهم لم يحصل لهم مطلوبهم الذي وعدوا به ذلك العام وأما سائر ما وعدوا به فلم يكن كذلك
 ولهذا تنازع الفقهاء فيمن أراد باستثنائه في اليمين هذا المعنى هل يكون مستثنياً به أم تنزعه الكفارة إذا
 حنث بخلاف من ترددت إرادته فإنه يكون مستثنياً بلا نزاع والصحيح أنه يكون في الجميع مستثنياً اعموم
 المشيئة ولأن الرجل وإن كانت إرادته للمخلوق به جازمة فقد علقه بمشيئة الله فهو يحزم بإرادته له
 لا يحزم بحصول مراده ولا هو أيضاً مريد له بتقدير أن لا يكون فان هذا تمييز لإرادة فهو إنما التزمه
 إذا شاء الله فإذا لم يشأ لم يلتزمه بيمينه ولا حلف أنه يكون وإن كانت إرادته له جازمة فليس كما أريد
 التزم باليمين فلا كفارة عليه وقد تبين بما ذكرناه أن قول القائل أن شاء الله يكون مع كل إرادته في
 حصول المطلوب وهو يقولها لتحقيق المطلوب لاستعانة بالله في ذلك لا لشك في الإرادة هذا فيما يخلف
 عليه ويريد كقوله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام) فإنه خبر عما أراد الله كونه وهو عالم بأن سيكون
 وقد علقه بقوله أن شاء الله فكذلك ما يخبر به الإنسان عن مستقبل أمره مما هو جازم بإرادته وغازم
 بوقوعه فيقول فيه أن شاء الله لتحقيق وقوعه لا لشك في إرادته ولا في العلم بوقوعه ولهذا يذكر
 الاستثناء عند كل الرغبة في المعلق وقوة إرادة الإنسان له فتبقى خواطر الخوف تعارض الرجاء فيقول
 أن شاء الله لتحقيق رجاء مع علمه بن سيكون كما يسأل الله ويدعوه الأمر الذي قد علم أنه يكون كما كان
 النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر قد أخبرهم بمصارع المشركين ثم هو بعد هذا يدخل إلى العريش

يستغث ربه ويقول اللهم أنجز لي ما وعدتني لأن العلم بما يقدره لا ينافي أن يكون قدره بأسباب والدعاء من أعظم أسبابه كذلك رجاء رحمة الله وخوف عذابه من أعظم الأسباب في الرجاء من عذابه وحصول رحمته والاستثناء بالمشيئة يحصل في الخبر المحض وفي الخبر الذي معه طلب فالأول إذا حلف على جملة خبرية لا يقصد به حضاً ولا منعاً بل تصديقاً أو تكذيباً كقوله والله ليكون كذا إن شاء الله أو لا يكون كذا والمستثنى قد يكون علماً بأن هذا يكون أو لا يكون كما في قوله اندخلن فإن هذا جواب غير محذوف والثاني ما فيه معنى الطلب كقوله والله لأفعلن كذا أو لأفعله إن شاء الله فلهيئة صيغة خبر ضمنها الطلب ولم يقل والله أني لمريد هذا ولا عزم عليه بل قال والله ليكونن فإذا لم يكن فقد حث لوقوع الأمر بخلاف ما حلف عليه فحث فإذا قال إن شاء الله فأنما حلف عليه بتقدير إن يشاء الله لا مطلقاً ولهذا ذهب كثير من الفقهاء إلى أنه متى لم يوجد المخوف عليه حث أو متى وجد الحلوف عليه أنه لا يفعله حث سواء كان ناسياً أو محضاً أو جاهلاً فأنهم لحظوا أن هذا في معنى الخبر فإذا وجد بخلاف مخبره فقد حث وقال الآخرون بل هذا مقصوده الحث والمنع كلاهما والنهي ومتى نهى الإنسان عن شيء ففعله ناسياً أو مخطئاً لم يكن مخالفاً فكذلك هذا قال الأولون فقد يكون في معنى التصديق والتكذيب كقوله والله ليقمن المطر أو لا يقع وهذا خبر محض ليس فيه حث ولا منع ولو حلف على اعتقاده فكان الأمر بخلاف ما حلف عليه حث وبهذا يظهر الفرق بين الحلف على الماضي والحلف على المستقبل فإن الميمين على الماضي غير منعقدة فإذا أخصها فيها لم يلزمه كفره كالغموس بخلاف المستقبل وليس عليه أن يستثنى في المستقبل إذا كان فعله قال تعالى (زعم الذين كفروا أن إن يبعثوا قلاً بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما علمنا وذلك على الله يسير) فأمره أن يقسم على ما سيكون وكذلك قوله (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم) كما أمره أن يقسم على الحشر في قوله (وبستنبؤنك أحق هو قل أى وربى أنه الحق) (وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليزان فيكم ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً وقال والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتى على الناس يوم لا بدرى القاتل فيما قتل ولا المقتول فيما قتل وقال هلك كسرى أو لم يكن كسرى ثم لا يكون كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهم في سبيل الله وكلاهما في الصحيح فأقسم صلوات الله وسلامه عليه على المستقبل في مواضع كثيرة بلا استثناء والله سبحانه وتعالى أعلم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ فهرس كتاب الايمان ﴾

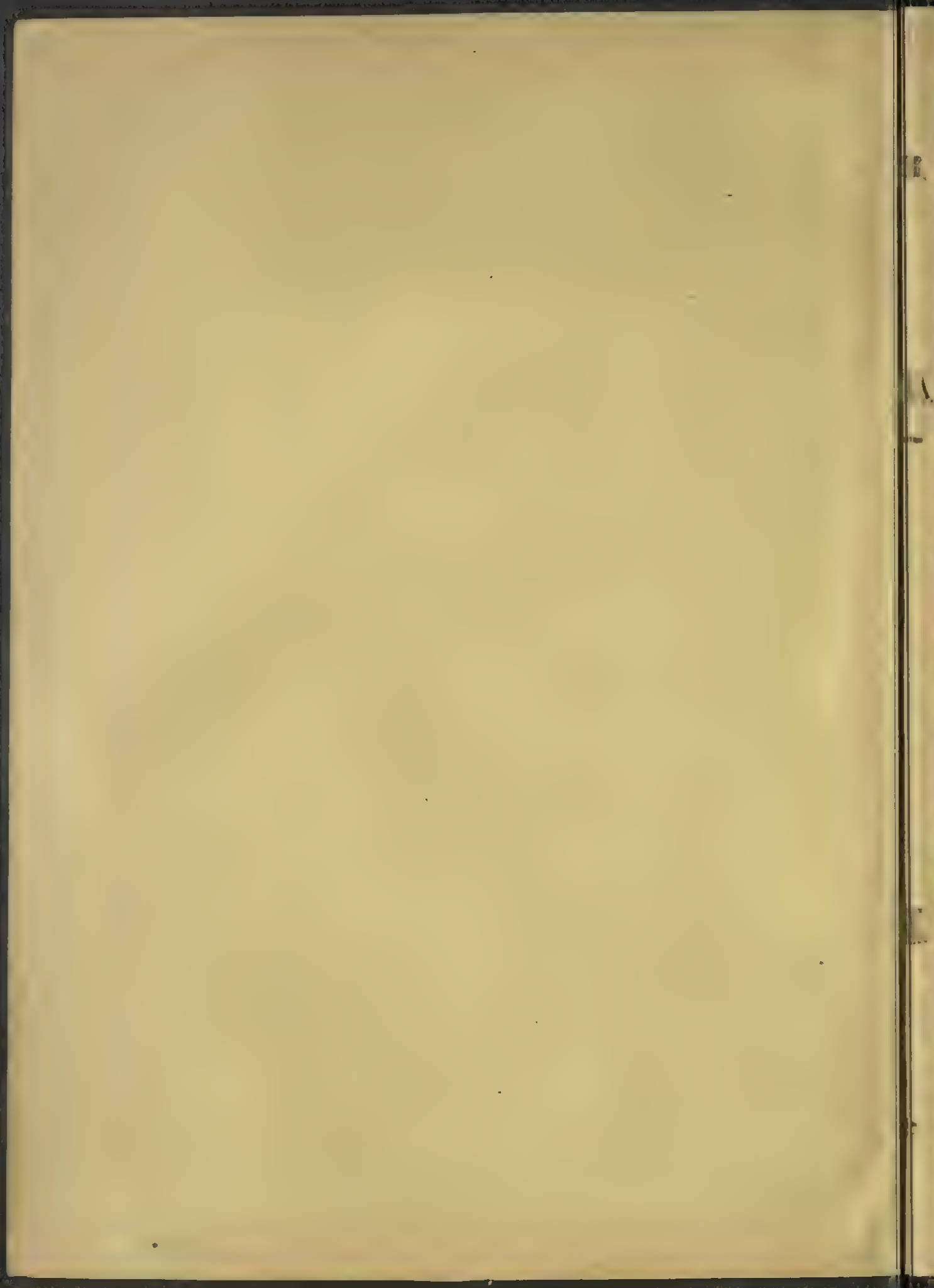
صفحة	
٢	خطبة الكتاب
٢	مطلب تفريق النبي صلى الله عليه وسلم بين الاسلام والايمان
٣	مطلب في بيان علم معنى المؤمن والمسلم والمهاجر
٣	كلام الحسن البصري في حسن الخلق
٥	مطلب في أن الايمان يذكر تارة مفرداً ويقرن تارة بالاسلام والعمل الصالح
٥	مطلب في أن الاعمال ان نفي الايمان عند عدمها كانت واجبة والا كانت مستحبة
٧	مطلب في بيان قوله تعالى (أولئك هم المؤمنون حقاً) بعد ذكر الأعمال الخمسة
٩	مطلب في أن العلم علماً علم القلب وعلم اللسان
١١	مطلب في أن خشوع الجسد تبع لخشوع القلب
١٢	مطلب في أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
١٢	فصل وقد جاءت أحاديث تنازع الناس في معنها مثل قوله لا صلاة الا بوضوء وبيان الحق فيها
١٤	مطلب في أنه ينبغي أن يقدر كلام الله ورسوله قدرهما والنهي
	عن التأويل فيهما من غير علم مرادهما
١٥	مطلب فيما يدل على أن اجماع المؤمنين حجة
١٦	مطلب في أن حب الانصار آية الايمان وبفضهم آية النفاق
١٧	مطلب في أن المعاصي منها ما هو كفر ومنها ما هو فسوق ومنها ما هو عصيان
١٨	مطلب في أن الله ميز بين خطاب المؤمنين وخطاب عموم الناس
٢٠	فصل المعصية اذا أطلقت تناولت الكفر والفسوق
٢٢	فصل ولفظ الصالح والشهيد والصديق يتناول النبيين عند الاطلاق
٢٤	فصل وظلم النفس اذا أطلق تناول جميع الذنوب
٢٦	مطلب فيما ورد من الوعيد في حق مانع الزكاة
٢٨	مطلب في معنى قوله تعالى (اتخذوا أحيارهم ورجبانهم أرباباً)
٢٨	مطلب فيما يجوز من التقليد وما لا يجوز
٢٩	مطلب في أن عبيد المال والرجال يعذبون أقل من عذاب المشركين
٣٠	مطلب في أنه لم يذهب أحد الى أن للعالم خالقين متماثلين حق المجوس القائلين بالاصلين النور والظلمة
٣١	مطلب في بيان معنى الشفاعة
٣٣	فصل ومن هذا الباب لفظ الصلاح والفساد
٣٤	فصل في أن دلالة الايمان على العمل حقيقة لا مجاز

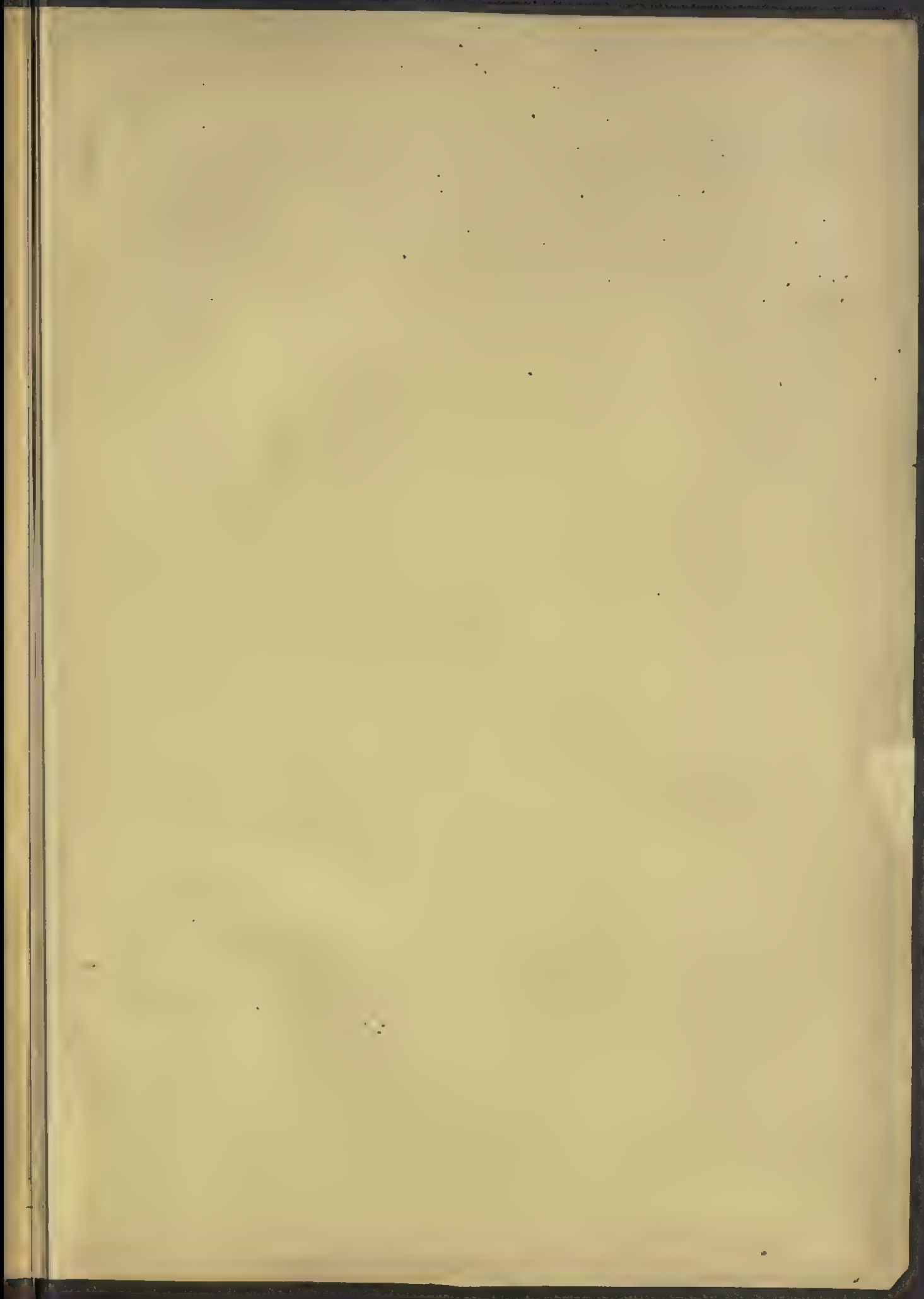
صحيفه

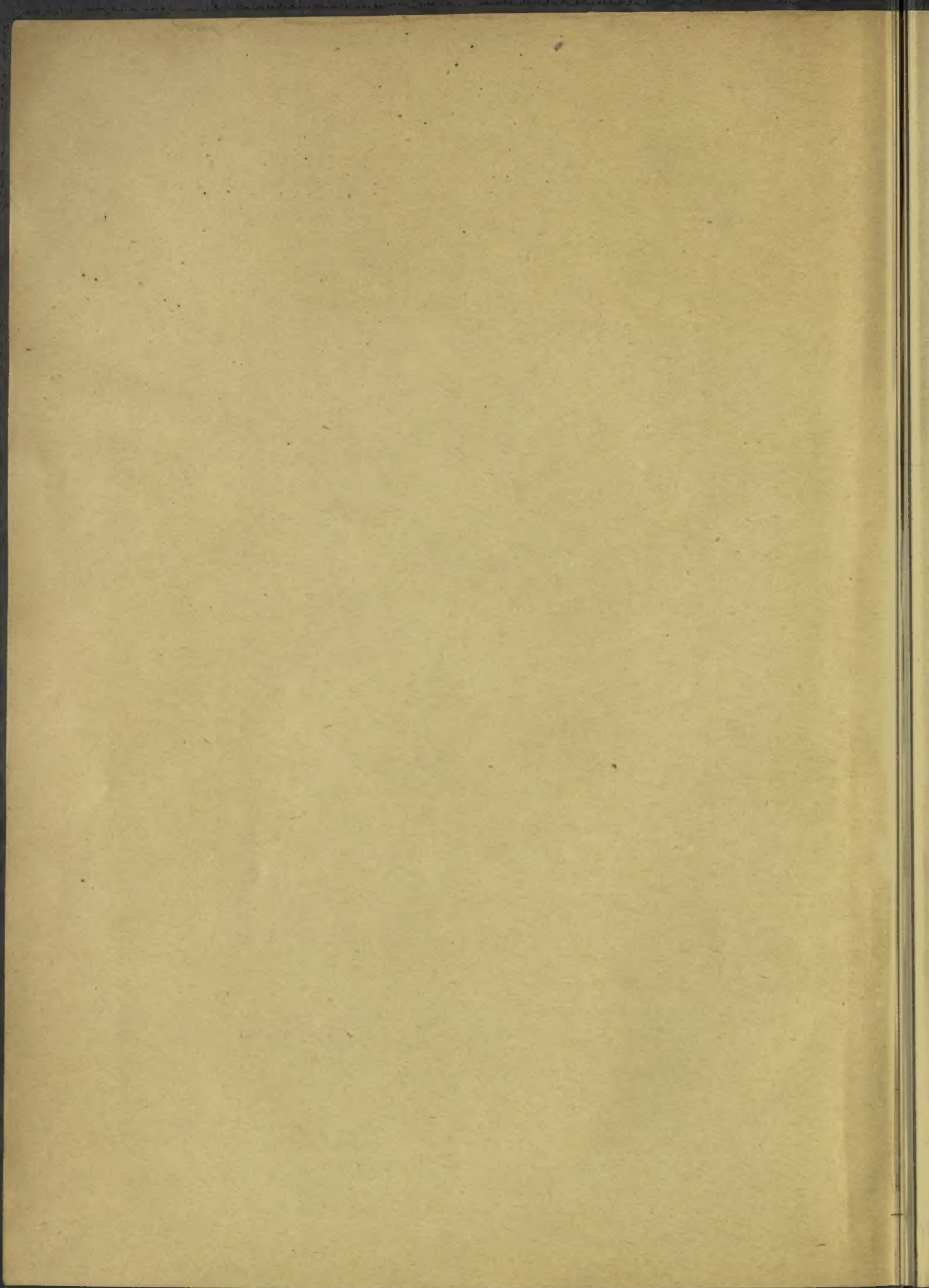
- ٣٥ مطلب تقسيم اللفظ الى حقيقة ومجاز اصطلاح حادث بعد القرون الثلاثة
- ٣٦ مطلب في ابطال المجاز في اللغة
- ٣٧ مطلب في تعليم الله آدم الاسماء وبيان معنى ذلك
- ٤٢ مطلب في أن الله ورسوله لم يدع شيئاً من القرآن والحديث إلا بين معناه
- ٤٣ مطلب في رد ما زعموا من الفاظ القرآن أنه مجاز
- ٤٨ فصل وأبو الحسن الاشعري نصر قول جهنم في الايمان
- ٤٩ مطلب في ذكر مذاهب الناس في الايمان وبيان الحق منها
- ٥٦ مطلب في معنى قول الاخطاء أن الكلام لني الفؤاد وانما
- ٥٧ مطلب في ابطال قول الجهمية والكرامية في الايمان
- ٥٩ كلام أبي المعالي في الايمان وشرح أقوال الناس فيه
- ٦٠ مذهب الاشعري في أن الجهل ببعض الصفات هل يكون جهلاً بالموصوف أم لا
- ٦٢ فصل في حجة من نصر قول جهنم في الايمان كالقاضي أبي بكر
- ٦٤ فصل وما يدل من القرآن على أن الايمان المطلق مستلزم للأعمال
- ٦٥ فصل وأما إذا قيد الايمان بقرن بالاسلام أو بالعمل الصالح
- ٦٧ مطلب في تفسير قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته) وأقوال السلف فيها
- ٦٨ مطلب في أن أقوال السلف في الايمان متفقة وان اختلفت ظواهرها
- ٦٩ فصل وعطف الشيء على الشيء في القرآن وسائر الكلام يقتضى مغايرة بين المتعاطفين مع اشتراكهما في الحكم
- ٧١ مطلب رد ما قيل في أن العطف قد يكون لاختلاف المتعاطفين لفظاً فقط
- ٧١ فصل فلفظ الايمان اذا أطلق في القرآن يرادف لفظ البر
- ٧٤ فصل وهذا النوع من نمط أسماء الله
- ٧٥ مطلب ومن هنا يظهر خطأ قول جهنم في الايمان
- ٨١ فصل الوجه الثاني من غلط المرجئة
- ٨٤ مطلب ومن حجج المرجئة قول النبي صلى الله عليه وسلم في الجارية أعتقها فإنها مؤمنة
- ٨٥ مطلب والنفاق شعب كثيرة
- ٨٩ فصل واذا كان الايمان المطلق يتناول جميع ما أمر به لزم تكفير أهل الذنوب
- ٩٠ مطلب في أن الايمان يزيد وينقص
- ٩٢ فصل وزيادة الايمان من وجوه
- ٩٤ فصل وقد أثبت في القرآن اسلاماً بلا إيمان
- ٩٦ مطلب في أن نفي الايمان المطلق لا يستلزم النفاق
- ١٠٥ مطلب في حقيقة الفرق بين الايمان والاسلام
- ١٠٦ مطلب في تفسير قوله تعالى (أدخلوا في السلم كافة)

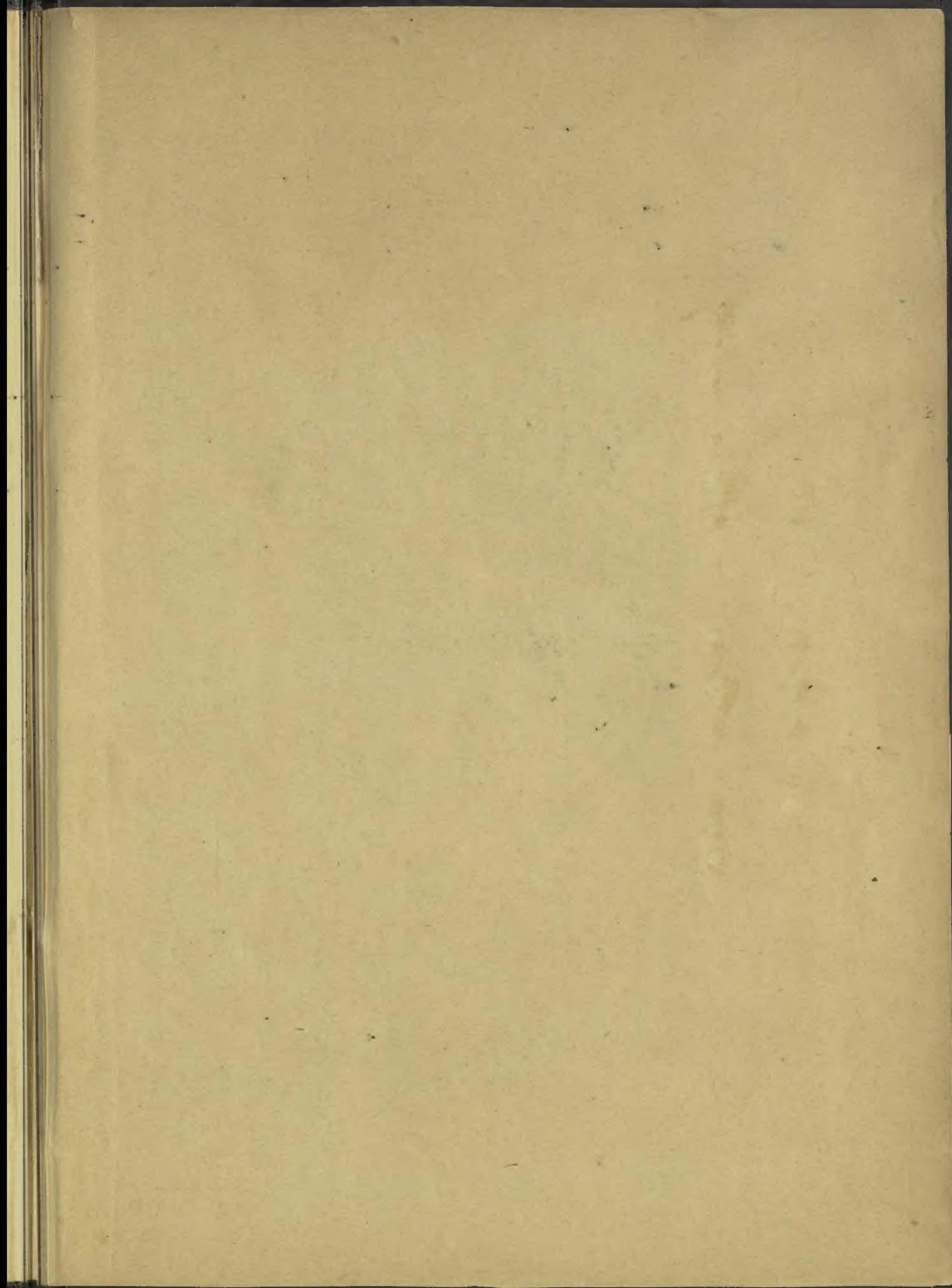
مصحفة

- ١١٣ مطلب فيما يعرض للانسان من الشك والوسوسة
- ١١٤ فصل واذا عرف تفسير الالفاظ الواردة في القرآن والحديث من جهة النبي عليه الصلاة والسلام لم يخرج في ذلك الى الاستدلال
- ١١٦ مطلب في ابطال ما يقال أن لفظ الايمان مرادف للتصديق
- ١١٩ مطلب اختلف الناس هل في اللغة أسماء شرعية نقلها الشارع عن مسماها في اللغة
- ١٢١ مطلب اتفق الناس على كفر من ترك الشهاداتين واختلفوا في التكفير بترك الاركان الاربعة
- ١٢٢ مطلب القلوب اربعة
- ١٢٢ مطلب في أنه قد يجتمع في القلب ايمان ونفاق
- ١٢٣ مطلب في نقل اجماع الصحابة والتابعين على أن الايمان قول وعمل
- ١٢٤ ذكر من قال ان الايمان قول وعمل من علماء الافاق
- ١٢٥ مطلب في أن الانسان قد يكون فيه ايمان وكفر وان من الكفر مالا ينقل عن الملة
- ١٢٦ فصل ومما يسأل عنه أنه اذا كان ما أوجبه الله
- ١٢٧ فصل واستدلوا على أن الايمان هو ما ذكره بالآيات
- ١٣١ مطلب في أن من الكفر كفراً لا ينقل عن الملة
- ١٣١ مطلب في تفسير قوله تعالى [الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم
- ١٣٣ مطلب حكاية قول المعتزلة في الايمان واثبات المنزلة بين المنزلتين
- ١٣٦ » في أن من الايمان مالا يذم تاركه عنه المعجز عند
- ١٣٧ » حديث انما الدنيا لاربعة رجل آتاه الله علماً ومالا
- ١٣٨ » في أن التفاضل بأعمال القلوب لا بأعمال الجوارح وفي أن أهل الكبار ايمانهم ناقص
- ١٤١ » في أن اسم المسلمين يجري على المتأقين لانهم استسلموا ظاهراً
- ١٤٢ » في انكار المعتزلة والجوارح والسكرامية أن يجتمع في العبد ايمان ونفاق والرد عليهم في ذلك
- ١٤٤ » في ذكر أصل جامع تبني عليه معرفة النصوص
- ١٤٨ » الناس في الايمان والاسلام على ثلاث مراتب
- ١٤٩ » الاسلام في قول احمد بن حنبل بمقتضى روييتين
- ١٥١ » في حديث لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن
- ١٥٢ » في ابطال احتجاج من احتج لان الاسلام والايمان واحد بقوله تعالى [قالت الاعراب آمنا]
- ١٥٣ » في احتجاج محمد بن نصر على أن الاعمال من الاسلام
- ١٥٥ » في الكلام على القدر
- ١٥٨ » سورة كتاب احمد بن حنبل من خراسان الى أبي عبد الله
- ١٦٠ » في أن الارجاء من بدع الاقوال لا من بدع العقائد
- ١٦٨ » الناس في الاسلام على ثلاثة أقوال
- ١٧٤ فصل في الاستثناء في الايمان (ثم الفهرس)









297.3:1131mA:c.1
النفساني، محمد بدر الدين
الايمان
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01207863



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

297.3
I13i mA
C.1